الدكتور محمد عبده يماني

بدر الكبرى

المدينة والغزوة

طُبِعَ عَلى نَفقة وقف الشيخ
هاشم بن أحمد البدر شيني
غفر الله له ولوالديه ولذرّيّته
ولإخوانه المؤمنين
يوزع مجاناً ولا يباع

بَدْرُ الكُبْرَى

المَدِينَةُ وَالغَزْوَة

بدر الكبرى

المدينة والغزوة

الدكتور محمد عبده يماني
(رحمه الله)

دار القبلة للثقافة الإسلامية
مؤسسة علوم القرآن

جميع الحقوق محفوظة

الطبعَة الثَّالِثَة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار القبلة للثقافة الإسلامية

جدة - المملكة العربية السعودية - تلفاكس:٦٦٥٩٩٥١

مؤسسة علوم القرآن

Uloom alquraan EST.

دمشق هاتف: ٢٢٢٤٩٩٠فاكس: ٢٢٣٨٤٩٠ص.ب ١٣٢٧٧

موبايل :٠٩٦٦٥٠٥٦٥٣٩٩٠بيروت تلفاكس: ٠٠٩٦١١/٦٤٠٨٣٢

E-mail: uloom.alquraan@gmail.com

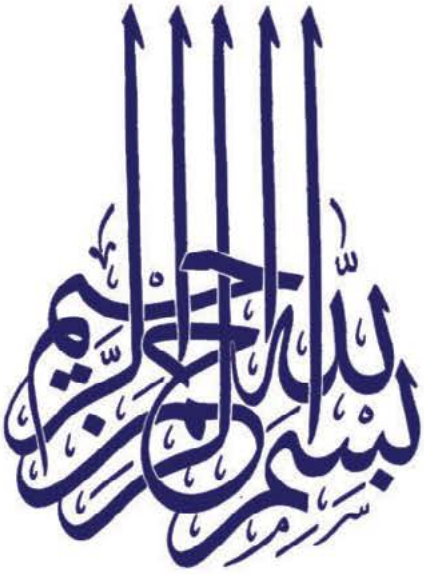
بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ

فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

صَدَقَ ٱللهُ العَظِيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلعَلِيمُ

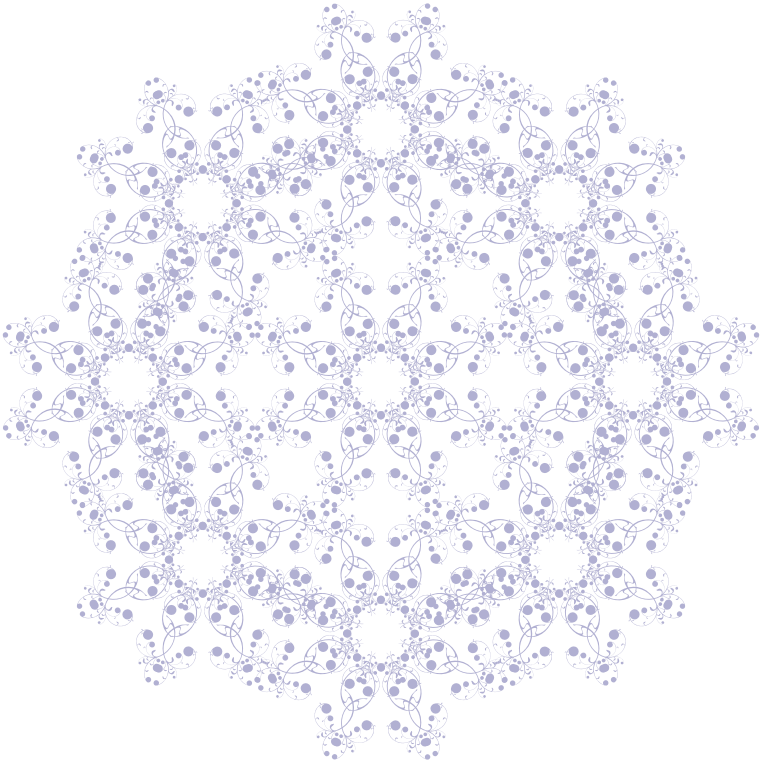

الإهداء

إلى روح الوالدة الكريمة .

وقد تعلّمنا منكِ حبَّ بدرٍ وأهلَ بدرٍ وفضلَ بدرٍ .

وإلى أهل مدينة بدرٍ الكرام .

الّذين ساهموا معنا في إخراج هذا الكتاب .

وإلى كلّ محبٍّ لهذه المدينة الخالدة .

أهدي كتابي هذا ...

محمد عبده يماني

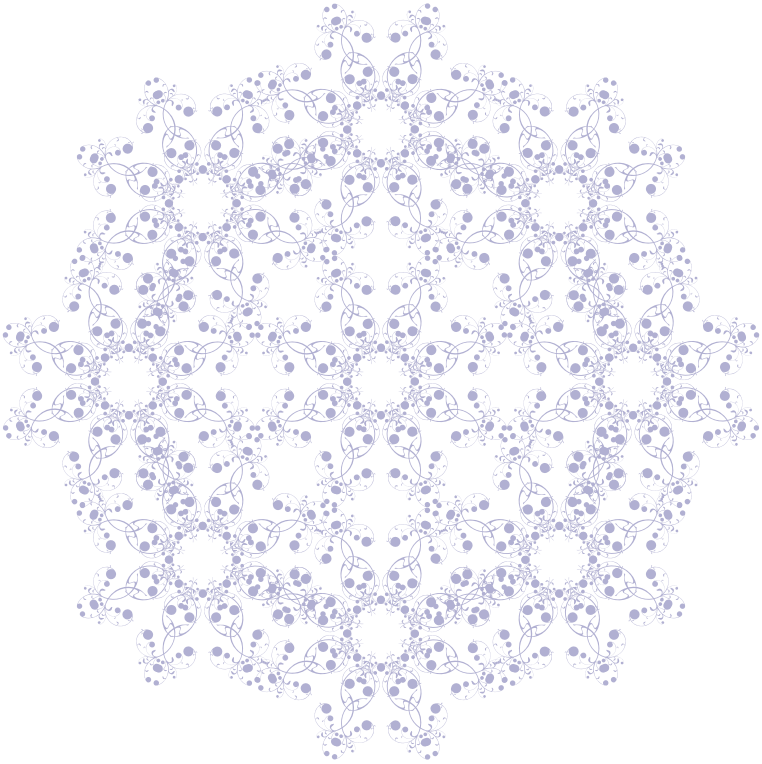

وكانت بدر هي كلمة السر..

يوم بدر وما يوم بدر.

بدر الأمل..

بدر السعي والعمل..

بدر العزم والإصرار..

بدر البيعة والعهود..

بدر الوفاء والإلتزام..

بدر البذل والفداء..

بدر الرجال والأبطال..

بدر المحبة والصفاء..

بدر النصر والفلاح..

بدر الحسم والفرقان..

بدر الهدف والمثال على مدى الأزمان..

في حياة الأمم مواقف مضيئة..

لا يخبو إشعاعها مهما دارت الأيام..

ولا ينسى أمرها مهما تقادمت الأزمان..

ولا تقاس بغيرها مهما تعاظمت الأحداث.

حوادث فذة :

تنبت في ثناياها القيم.

وتنجلي غمراتها عن المثل.

وتتربى في أحضانها طاقات الشعوب والأمم.

وتصبح هذه الأحداث في التاريخ الإنساني معالم.

يفيء إليها الوجدان، كلما ادلهمت الليالي واشتدت الأنواء.

فتنهض العزائم وتلتئم الجراح.

وتنطلق الهمم لتحاول من جديد.

فعندها المثال.

وعندها الأمل.

وكانت وقعة بدر أروع هذه المواقف في حياة المسلمين.

وكانت إرهاصاً يستشرفون إليه أيام الشدة والبأساء.

وكانت حافزاً يستحث العاملين حتى يواصلوا الكفاح.

وكانت عصاماً يربط قلوبهم فتمتلئ بالإصرار ولا تميل بها الأهواء.

وكانت آية على رعاية الله يفيض نورها باليقين والإمداد.

وكانت أملاً غالياً يدعو المؤمنين إلى حسن التأسيس والإعداد.

وكانت صدقاً طاهراً أكدته العهود.

ووثقته البيعة والعقود.

وكانت تجربة فذة كشفت عن أصدق الوفاء وأطهر النقاء.

وكانت محبة غامرة برز في عبابها صدق الفداء.

وكانت ميداناً دارت في جوانبه أحداث هي معدن البطولة.

وعنفوان الرجولة.

وكانت طهراً فاض في غلواء الحرب بأصفى معاني الحبة والوداد.

وكانت معركة قلبت كل موازين البشر، حتى تحقق فيها النصر المراد.

وكانت فيصلاً بين الحق والباطل حتى سميت يوم الفرقان.

وكانت على مر الأيام مثلاً يُذكر عند كل فوز ونصر.

في كل هذا كانت «بدر» هي كلمة السر.

واسمع معي نبأ ذلك في حديث الأيام والليالي، وارقب وجيب القلوب وسبح المشاعر كلما ذكرت «بدر» بين الأحداث الخوالي.

يوم قام الصحابة الكرام يشكون إلي نبيهم الكريم عليه الصلاة والسلام وطأة المشركين، ورهق العذاب الأليم، وشدة البأس وقلة النصير.

فأجابهم بثقة في نصر الله، ويقينه بوعد الله، وأمله في غد آمن وعيش كريم :

«والله لُيتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ.. ولكنكم تستعجلون».

وكانت بَدر في الغيب عنوان ذلك الأمل.

ويوم تجمع المؤمنون عند الصفا في دار الأرقم، حول نبيهم ومرشدهم، يوجههم ويزكيهم، ويعلمهم، ويربيهم فيسعى كل مؤمن منهم، يسر إلى صديق أو قريب، يعرض

عليه الإسلام، ويضمه نصيراً إلى كتيبة الرحمن، حتى تكاثر جند الله ارتقاباً ليوم يؤذن لهم فيه بالمواجهة والجهاد.. وكانت «بدر» موعد ذلك الإذن، وثمرة ذلك العمل الدءوب.

ويوم أوسع المشركون بالعذاب، من أعلنوا إسلامهم وزادوهم رهقاً وقتلوا منهم رجالاً ونساء، وحبسوا وعذبوا منهم أحراراً وعبداناً، وألجأوهم مع الرسول الكريم ﷺ إلى شعب أبي طالب سنين عدداً، يكابدون العزلة والحصار، والجوع والأذى، وكانت أطياف الأمل في يوم كيوم «بدر» منبع إصرارهم وزاد صبرهم وثباتهم.

ويوم أن هجروا الأوطان، وتركوا الأهل والعشيرة، طوراً إلى الحبشة وطوراً إلى يثرب الطاهرة، حتى إن أحدهم(صهيب بن سنان) يبذل للمشركين كل ماله، حتى يخلوا بينه وبين ما هاجر إليه، ثقة بما عند الله ويقيناً بوعد الله : فجاء مدحه بالقرآن الكريم ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (البقرة :٢٠٧).

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور : ٥٥)

ويبشر الرسول بالفوز والفلاح حين بلغ المدينة مهاجراً :

«ربح البيع أبا يحيى.. ربح البيع أبا يحيى».

وكانت «بدر» آية هذا اليقين، وحلم هؤلاء المهاجرين الصادقين، ويوم قام رسول الله ﷺ ، يؤمن المدينة، ويؤاخي بين المهاجرين والأنصار، ويوادع القبائل من حولها، ويبث السرايا ويتحسس أخبار أعدائه، ويحاصر قوافلهم ليذوقوا ما ذاقه المسلمون على أيديهم من حصار ومصادرة للأموال والعقيدة.

ما كان كل هذا إلا إعداداً للميدان والرجال.

أظهرت أهدافه وحكمته «بدر».

ويوم تسلل في ظلام الليل رجال الأوس والخزرج في ليالي «منى» يبايعون رسول الله ﷺ على النصر والمنعة وهلكة الأموال، وقتل الأشراف. حتى استفز صدقهم شيطان العقبة، فقام يصرخ في الليل ليوقظ المشركين حتى يفسد هذه البيعة.

وما كانت تلك البيعة إلا عهد الجهاد الذي حققته «بدر».

ويوم قام ﷺ يستخرج مكنون الوفاء من خير الوافين أنصار الله وأنصار رسوله الميامين، سائلاً: «أشيروا علي أيها الناس». في شأن جيش بدر، وقافلة بدر، فيقوم صوت الوفاء الصادق ونقيب الأنصار الواثق، يزكي عهد بيعة العقبة المكي، إذ يجيب خير المرسلين يقول قولاً هو الوفاء الأبي أو هو الصدق الوفي:

«يا رسول الله: آمنا بك وصدقناك وأعطينا على ذلك عهودنا، ومواثيقنا، فسالم بنا من شئت، وحارب بنا من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، ودع منها ما شئت، وما أخذت منها أحب إلينا مما تركت، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، فوالله لو استعرضت هذه البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، إنا لصبر في الحرب، صُدُق عند اللقاء، وعسى الله أن يريك منا ما تقر به عينك».

فكان ذلك القول ميثاق الوفاء تخطه للوافين أمجاد «بدر» ويوم تقدم صناديد الأنصار لمبارزة أعداء الله يفدون بأنفسهم الحق، والرسول، وجيش الإيمان، فطلب طغاة الشرك أن يبارزهم أكفاء من قريش، فيخرج بأمر من رسول الله ﷺ، أبطال هاشم الأبرار عم الرسول حمزة أسد الله، وابنا عميه عبيدة بن الحارث بن المطلب، وعلي بن أبي طالب الكرار يفدي بهم رسول الله ﷺ جند المؤمنين، وهم خاصة أهله، وأعمدة عشيرته، فيدمرون طواغيت الكفر في فداء صادق وعزم متين.

وكان كرهم فاتحة نصر «بدر».

ويوم قام غلامان حدثان من شباب الأنصار على مجنبتي عبد الرحمن بن عوف، فاستصغر سنهما وشأنهما في القتال، وتمنى لو ان مكانهما رجلان جلدان مجربان، حتى

رآهما يتنافسان لمنازلة طاغية الكفر وفرعون الأمة «أبي جهل» فعرف عندئذ أي بطولة تسكن في إهاب هذين الغلامين الغضين حتى لقد قال عنهما : «فأحسست أني بين جبلين» وكانت هذه صور من بطولات بدر.

ويوم أن برز «سواد بن غزية» من الصف بصدره، فطعنه الرسول ﷺ في بطنه بقدح ما، في يده فقال «سواد» أوجعتني يا رسول الله فأقدني (أي دعني آخذ بثأري من طعنك لي) فإن الله بعثك بالحق.

فكشف له الرسول ﷺ عن بطنه ليطعنه كما طعنه، فأكب «سواد» على بطن النبي الكريم يعانقه ويقبله، فيسأله الرسول الحبيب : «ما حملك على هذا يا سواد؟ « فيقول «سواد» : يا رسول الله : حضر من أمر الله ما ترى فأحببت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جسدي جسدك».. حب عظيم كشفت عن صدقة أحداث «بدر».

ويوم أن ثبت ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، معظمهم بلا سلاح يصلح لمعركة وليس معهم غير فرس واحدة ولا يلبس الدروع منهم غير سبعين، وفي مواجهتهم زهاء الألف من المشركين المجهزين بالشكة الكاملة، ومع الفارق الشاسع بين الفئتين تحقق للفئة القليلة النصر الساحق على الفئة الكثيرة بإذن الله.. وكان بذلك يوم «بدر» يوم الفوز والنصر المبين.

وقد كان قبل يوم «بدر» أمراً مريجاً والكفر مزهواً والباطل مستعلياً عادياً، والناس يرقبون الموقف في حيرة، ويظنون بمقاييسهم أن الغلبة لا محالة لأعداء الله كما أرجف بذلك اليهود يتوقعون هلاك المسلمين، حتى جاء يوم «بدر» فأبلج الحجة، وقضى على الأوهام والظنون، وتحقق نصر الله لعباده المؤمنين، فأصبحت معركة فاصلة سماها الله في وحيه «يوم الفرقان» فرق فيها بين الحق والباطل، يوم «بدر».

وتمضى السنون والقرون، فما تمر بالمسلمين شدة إلا وذكروا يوم بدر. ولا حققوا نصراً إلا وتمثلوا بيوم «بدر».

ولا أرادوا صموداً إلا وتنادوا بأمجاد «بدر».

وكم لهم على مدى التاريخ من أيام مجد خرجوا فيها للقاء عدوهم في شهر رمضان شهر «بدر» فاستلهموا صدقها واستعادوا أحداثها وتنادوا بشعارها.. فتحقق لهم نصر عزيز في أمثال «حطين» و «عين جالوت» وسواهما من أيام جعلت «بدر» فيها مثالاً فبلغوا فيها آمالاً عزت على الغافلين.

وهكذا كلما عشنا هذه الذكريات العطرة وشعرنا بالعزة والفرحة تذكرنا نصر الله عز وجل وعزة سيدنا رسول الله ﷺ والمسلمين معه واستشرفنا ذلك التاريخ المشرق ارتاحت نفوسنا وامتلأت عزة كرامة ورفعة رأس، وكان من واجبنا أن نعلم أولادنا وتنتعلم نحن ومن حولنا من دروس بدر ومن فضائل بدر نرددها نشيداً جميلاً وكما قال الشاعر :

رددوهـــا عسـى تعـــود رؤاهـــا واصنعـوا اليـــوم مثلهـــا أشـباها

وامـلأوا الـروح مـن هواتـف بـدر واطلبـوا العـز في طـــريق هـــداها

عـلّ يومـــاً يعزنـــا مثـــل بـــدر ويـداوي مـــن النفـوس أســـاها

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

محمد عبده يماني

١٧ من رمضان ١٤١٣هـ

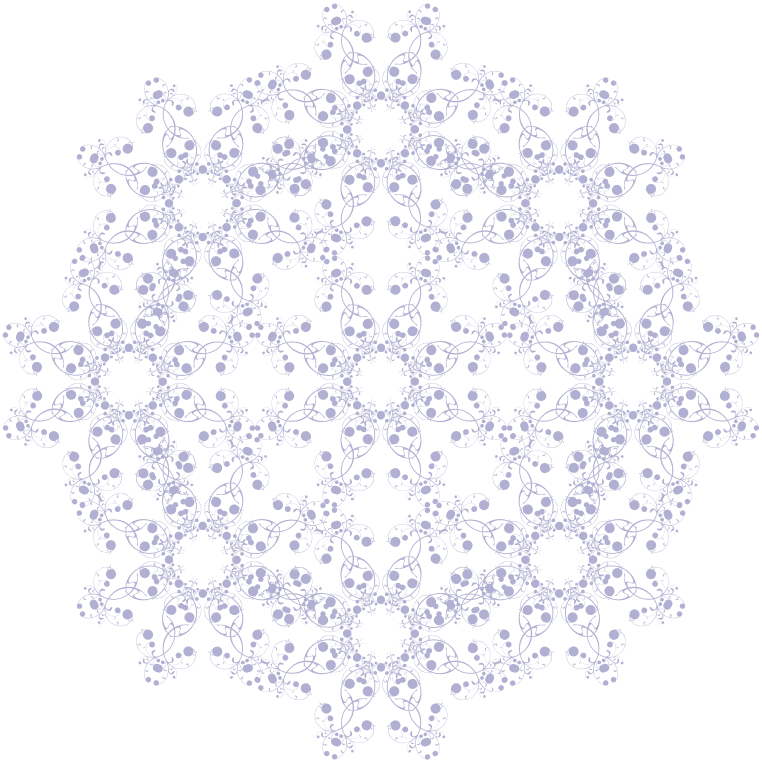

لِمَاذا بَدْر ؟

لقد هدفت من وراء كتابي هذا إلى تقديم صورة متكاملة عن بدر المدينة، والموقع، والغزوة، والتاريخ، وعملت على تصوير كل معالم المدينة الحاضرة، والآثار الباقية حتى يمكن للقارئ الذي لم تتيسر له زيارة هذه المدينة الخالدة أن يتصورها ويعرف موقعها ومكانها، ولماذا سميت «بدر» ؟ ولماذا كانت الغزوة هناك؟ وما المعالم الأساسية والآثار الخالدة في القرآن الكريم؟ أين وقف رسول الله ﷺ ؟ وهل سلك نفس الطريق في العودة؟.

ثم رحلت إلى بدر أكثر من مرة، وصورت المواقع، بهدف تقريبها لرؤية القارئ الكريم : أين العدوة الدنيا ؟ وما طبيعتها ؟ وأين كان رسول الله ﷺ منها وأين الكثيب الحنان؟ وما هو بالنسبة للعدوة الدنيا ؟... ثم ما هي العدوة القصوى؟ وما هو بالنسبة للعدوة الدنيا ؟.. ثم ما هي العدوة القصوى ؟ وأين تقع من بدر ؟ وما طبيعة هذه العدوة القصوى ؟ وأين العقنقل منها ؟ وفي أي مكان منه كانت تعسكر قريش ؟ ثم أين مكان المعركة وموقعها ؟ وأين الآبار التي ردمها رسول الله ﷺ ؟ وأين موقع الحوض الذي بناه الصحابة بأمر رسول الله ﷺ وشربوا منه أثناء المعركة ؟ وأين موقع القليب الذي قذفوا فيه جثث قتلى قريش ؟.

ثم أين العريش الذي أدار منه رسول الله ﷺ المعركة ؟ وما طبيعة مكان العريش اليوم.

وبعد ذلك أخذت صوراً جوية لمدينة بدر، وقمت بوضع المعالم الأساسية عليها، وحددت بكل دقة ممكنة مكان جيش المسلمين، ومكان جيش قريش، ومكان التقاء الجيشين، ومنطقة المبارزة، ثم ساحة المعركة الكاملة بعد الهجوم، والكر الفر، وقذف النبال والتحام الجيشين.

ثم أخذت صوراً جوية للمدينة الحالية، وذكرت المعلومات الأساسية عنها من ناحية الموقع وعدد السكان وطبيعة المدينة وجيولوجيتها وتوسعاتها والثروات الطبيعية بها، وطبيعة سكانها ومصادر المياه بها، وذكرت القبائل التي كانت تقطنها عند دخول رسول الله ﷺ إليها وحددت القبائل التي تسكنها اليوم.

ثم بعد ذلك تحولت إلى تفاصيل المعركة، وحرصت أن أتناول الموضوع بطريقة شرحت فيها الأسباب التي جعلت رسول الله ﷺ يخرج لملاقاة القافلة، ومحاولة مصادرتها وتخويف معسكر قريش في مكة وإشعاره أن معسكر الإيمان في المدينة لم يعد ضعيفاً خائفاً، ولا لقمة سائغة لمشركي قريش يرهبون أفراده في مكة وينهبونهم ويؤذونهم ويعتدون عليهم فكان هذا التحرك لملاقاة القافلة تحركاً استراتيجياً، وشرحت ذلك بما وفقني الله إليه، حتى أدحض مغالطات أولئك المغرضين الذين حاولوا تصوير خروج رسول الله ﷺ لملاقاة القافلة على أنه نوع من قطع الطريق على قافلة آمنة، ونسوا كل شيء قبلها وعزلوها عن الأحداث العظام والبلايا التي مني بها المسلمون في مكة، وقسوة وظلم معسكر قريش الذي حاول القضاء على الدعوة في مهدها واستمر في تحديها، وحددت – والحمد لله – أبعاد هذا الموضوع وشواهده ودواعيه وعدالة التصرف، وفعل الله عز وجل الذي جعل الخروج فتحاً مبيناً.

ولعله من المناسب أن نستعرض الآن بعض المعلومات الأساسية عن هذه المدينة العزيزة.

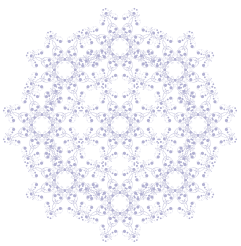

لماذا سُمِّيَتْ بَدْراً ؟

المعروف أن الغزوة المباركة قد سميت باسم المكان الذي وقعت فيه، والذي كان يعرف ببدر، وهو سوق من أسواق العرب المعروفة، تقصده العرب وخاصة القوافل القادمة من الشام، والذاهبة إليه، وقد كانت تقام فيه السوق لمدة ثمانية أيام عند هلال ذي القعدة.

وهذا المكان سمي بدراً كما تقول الروايات نسبة إلى اسم بدر بن يخلد بن النضر وهو من كنانة وقيل من بني ضمرة وكان هذا الرجل قد سكن هذا المكان فنسب إليه وسمي باسمه، وبعد ذلك غلب على المكان الاسم وكان قرية صغيرة قليلة السكان، وقيل إن الاسم جاء انتساباً إلى بدر بن قريش الذي حفر بئراً في هذا المكان فسميت البئر باسمه، ثم غلب الاسم المكان، وعرفت بماء بدر، والرجل الذي حفر البئر هو ابن لقريش من بني الحارث بن يخلد، وكان دليل قريش وصاحب ميرتها[1] وقد غلب اسمه على المكان وسمي بدراً.

ومن يراجع معجم البلدان لياقوت الحموي يلاحظ أنه تكلم عن بدر على أنها ماء مشهور بين مكة والمدينة في أسفل وادي الصفراء وبين هذا الماء وبين ساحل البحر ليلة واحدة.

ويقول ابن حجر : «هي قرية مشهورة نسبت إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، ويقال بدر بن الحارث، وهناك من الروايات المتداولة المعروفة حتى اليوم ما يذكر أن سبب تسمية بدر هو أن بها بئراً مشهورة بصفاء مائها فكان الناظر على سطح البئر ليلاً يري البدر فيها في الليالي المقمرة، وعلى أي حال فهذه روايات مختلفة تناقلها الناس عبر التاريخ مع أن الأسماء لا تعلل ولكن بدراً مهما كان اسمها وشهرتها قبل المعركة، فإنها إنما عرفت واشتهرت وهب صوتها مدوياً عبر التاريخ بعد معركة غزوة بدر، وما حقق الله فيها من نصر وفلاح، أنجز فيه وعده ونصر جنده وأعز رسوله ﷺ وصحبه وأذل الشرك وأهله فعرفت بدر بعدها وتعرف بهذا الشرف العظيم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(١) الميرة : جلب الطعام، وصاحب ميرتها أي الذي كان يؤمن لها الطعام ويجلبه من مظانه

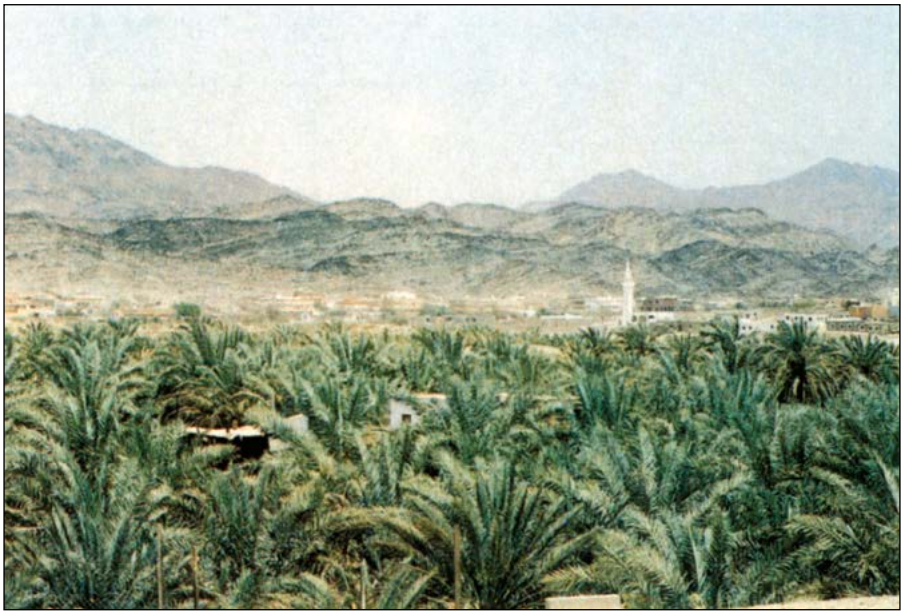

مدينة بدر خلف النخيل

مدخل مدينة بدر من طريق مكة

منظر جوي لمدينة بدر

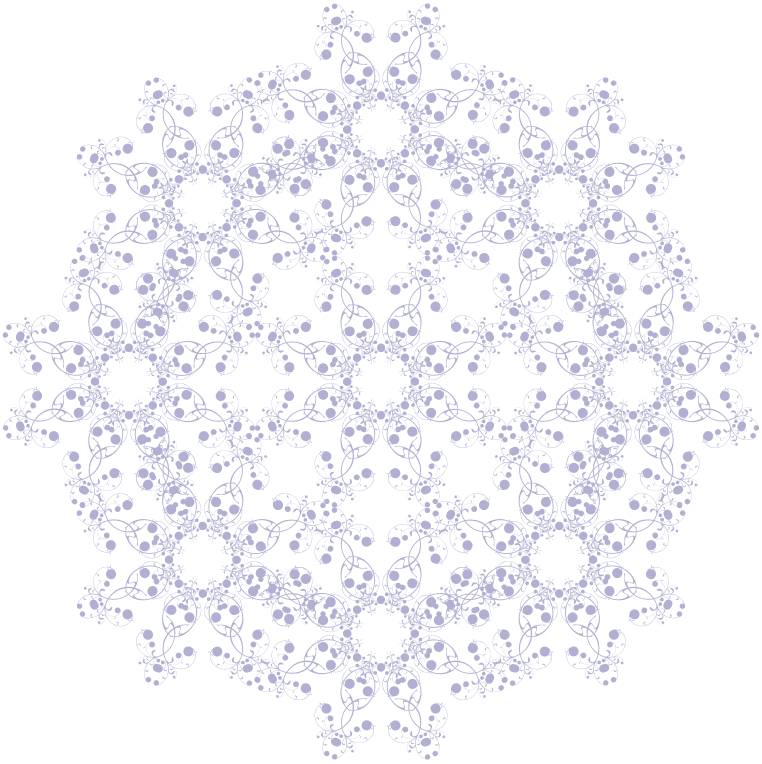

موقعُ مدينة بَدْر اليـوم

تقع بدر اليوم على خط الإسفلت الذي يربط مدينة جدة بالمدينة المنورة، وتبعد مدينة بدر عن المدينة المنورة بمسافة ١٥٣ كيلو متراً، وهي جنوب غربي المدينة المنورة، كما تقع في شمال مكة المكرمة وتبعد عنها بمسافة ٣٠٠ كيلو متر تقريباً.

ومدينة بدر اليوم هي مركز لمنطقة بدر، وهي مركز وادي الصفراء وتقع على مفترق الطرق بين مكة المكرمة وجدة وينبع. انظر الخارطة رقم (١) لمدينة بدر.

ومن يدخل إلى مدينة بدر اليوم يلاحظ أنها مدينة هادئة تقع في سهل بدر، ويمر بها طريق المدينة المنورة القديم وهي منطقة مهمة اليوم للمسافرين إلى شمال المملكة وإلى مدينة ينبع وغيرها وإذا وقف الإنسان في وسط مدينة بدر يلاحظ مسجد العريش وهو مسجد جميل بني في نفس المكان الذي كان به عريش المصطفى ﷺ ويمكن أن يرى الإنسان العدوة الدنيا ويمثلها كثيب الحنان المرتفع في شمال مدينة بدر والمسافة بين مسجد العريش وكثيب الحنان في العدوة الدنيا تبلغ (٤) كيلو متر. والمسافة بين مسجد العريش وكثيب العقنقل في العدوة القصوى بجوار جبل كراش تبلغ (٦) كيلو متر. ويشاهد العدوة القصوى وأمامها كثيب العقنقل الذي عسكرت عنده قريش، وهو في الجنوب الغربي من بدر.

مدينة بدر القديمة وخلفها مدينة بدر الجديدة

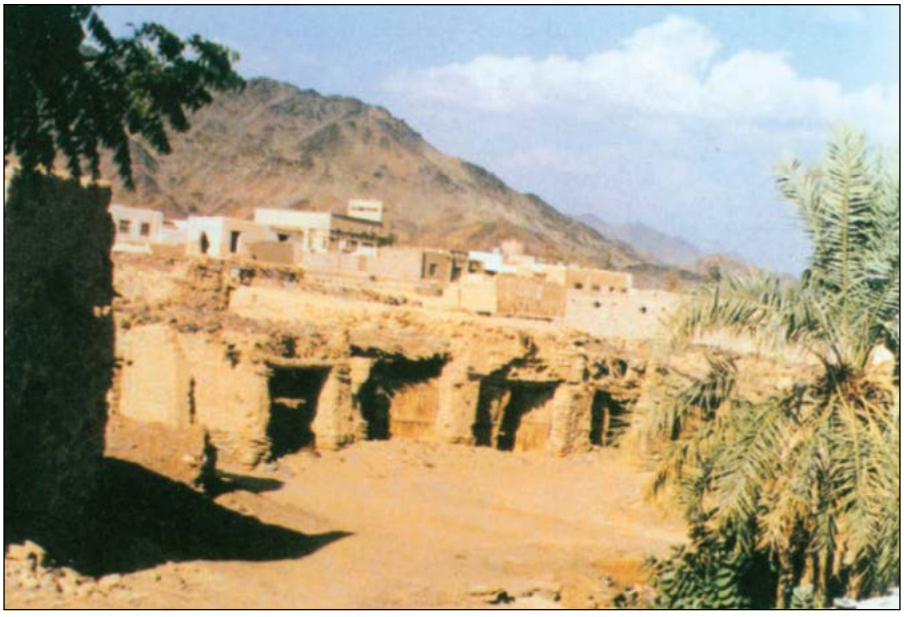

صورة لجانب مدينة بدر القديمة

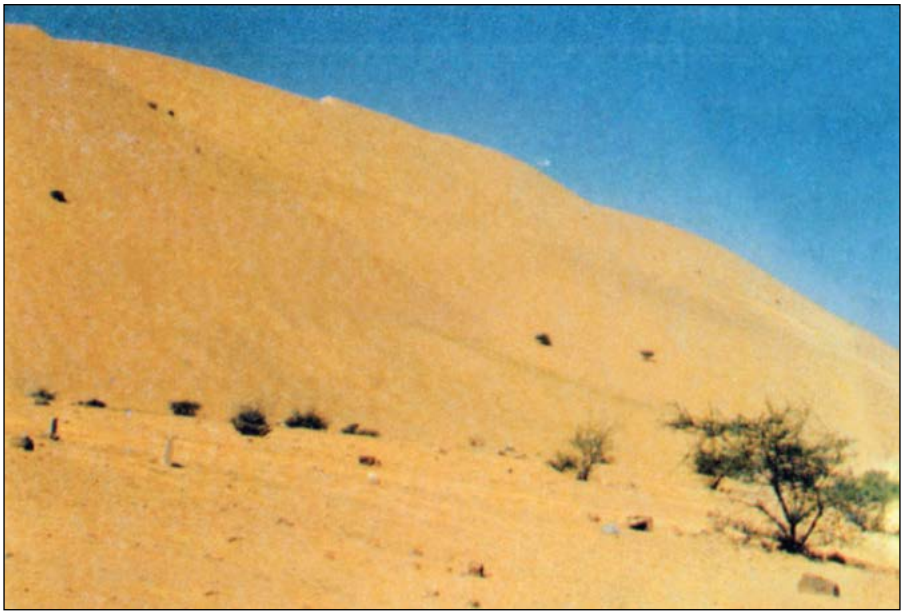

الحنان

جانب من الحنان

جبل كراش الاسود والعقنقل بجانبه وبينهما نزل المشركون بالعدوة القصوى

العقنقل

بداية كثيب العقنقل حيث عسكرت قريش

اشجار السلم تنتشر وسط العدوة القصوى

خارطة رقم(١) توضح موقع مدينة بدر اليوم

سَبَبُ اختيار مَكَان الغزوة في بَدْر

هذا المكان تمت فيه الغزوة أولاً وقبل كل شيء بسابق علم الله وتقديره لأن رسول الله ﷺ أصلاً لم يخرج لقتال كما هو معلوم، وسوف يأتي تفصيل ذلك في مكانه إن شاء الله، ولكن عند تدارس مكان الغزوة نلاحظ أن ماء منطقة بدر ماء مشهور ومعروف وسوق من أسواق العرب تمر بها القوافل التجارية، وكذلك كانت بعض المناسبات الشعرية ومواسم اللهو والغناء تتخلل أسواق التجارة و تعقبها، مما أكسب المكان شهرة.

وكان خروج رسول الله ﷺ تحركاً استراتيجياً مناسباً للقاء القافلة، وإرهاب قريش واخذ ما تحمله قافلتهم تعويضاً للمسلمين عن بعض ما استولى عليه المشركون، ولكن إرادة الله شاءت أن تفلت القافلة ويهرب بها أبو سفيان إلى ساحل البحر الأحمر، وإلا فكان من الممكن أن تكسر شوكة قريش التجارية في هذا المكان بدون قتال وتتسامع العرب بذلك ويذاع الخبر وفيه ما فيه بالنسبة لإرهابهم وإشعارهم بقوة المعسكر الإسلامي في المدينة المنورة.

ومن الناحية الثانية فقد حرص أبو جهل على أن يبلغ «بدراً» ويقيم فيها ويذل المسلمين ويشعرهم بغطرسته وخيلاء قومه وحتى عندما بلغه خبر نجاة القافلة أصر على مواصلة المسير إلى بدر حتى يثبت قوته وقومه وجبروتهم وقال قولته المشهورة التي أودت به وبقومه وأوردتهم موارد الهلاك : «والله لن نعود حتى نرد ماء بدر فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها فامضوا»[1]. فكان اللقاء الذي دبرته الحكمة الإلهية.

(١) سيرة ابن هشام ج ص ٦١٨.

﴿ ..وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٤٢)

وإذا لم يكن هناك خيار أو اختيار لمكان الغزوة والقتال فرسول الله ﷺ خرج للقاء القافلة.. وقريش خرجت لحماية قافلتها والتهويش[١] على النبي ﷺ وإرهابه وصحابته ثم العودة في خيلاء لمكة ولكنها إرادة الله حددت الزمان والمكان ودبرت اللقاء والقتال، وكانت النتيجة التي قدرها الله عز وجل بسابق علمه.. فمكان الغزوة إذن كان اختياراً إلهياً شرف به الزمان والمكان.

(١) التهويش : هو التهييج وإثارة الاضطراب.

القَبائِل التى كانت تسكن بدراً قَدِيماً

إن المتتبع لموضوع سكان بدر قديماً وبصورة خاصة قبل معركة بدر يلاحظ أن معظم المؤرخين قد ذكروا بأنها بلاد غفار، وأن القبائل التي كانت تسكنها هي من غفار، فالمكان للغفاريين والماء لهم .

ذكر الهمداني (ت: بعد سنة ٣٤٤ هـ) أن « بدراً من أرض جهينة وذلك فى سرده لديار جهينة»[١]، ولكن معظم المصادر الأخرى ذكرت أنها من ديارغفار .

البكري: (ت: ٤٨٧) قال : « عبد الله بن جعفر بن مصعب الزبيري عن مصعب بن عبد الله : كان قريش بن بدر بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة دليل بني كنانة في تجارتهم ، فكان يقال : قدمت عير من قريش فسميت قريش به، قال : وهو صاحب بدر الذي لقي عليه رسول الله ﷺ مشركي قريش، أنبط[٢]هناك بئراً فنسبت إليه ».

وروى زكريا عن الشعبي قال : سميت بدراً لأنه كان ماء لرجل من جهينة اسمه بدر .

قال الواقدي : فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ، ومحمد بن صالح فأنكراه، وقالا : لأي شيء سميت الصفراء؟ ولأي شيء سمي الجار؟ إنما هو اسم لموضع .

قال : وذكرت ذلك ليحيى بن النعمان الغفاري ، فقال سمعت شيوخنا من غفار يقولون : هو ماؤنا ومنزلنا ، وما ملكه أحد قط يقال له بدر، وما هو من بلاد جهينة، إنما هو من بلاد غفار، قال الواقدي : وهو المعروف عندنا[٣]ويقول الفيروز أبادي (ت :

(١) صفة جزيرة العرب ،٧٧١/ تحقيق محمد بن على الأكوع، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض ١٤٠٢هـ ١٩٧٤م .

(٢) أنبط : حفر .

(٣) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ١/ ٢٣١ حققه مصطفى السقاءطباعة عالم الكتب، بيروت .

٨١٧هـ) : «بدر بالفتح ثم السكون اسم بئر احتفرها رجل من غفار ثم من بني النار[١].. وقيل هو رجل من بني ضمرة ، سكن هذا الموضع فنسب إليه، ثم غلب اسمه عليه[٢] ، ثم سرد ما ذكره البكري فيما يتعلق بنسبته لقريش.

ولم يزد «ياقوت» عما ذكر في النقول السابقة ممن نسبت إليهم عدا جهينة فلم يذكر عنها شيئاً، ولم يذكر أياً من القبائل ناسباً إليها بدر[٣].

ومما يؤيد نسبة بدر لغفار ، وأنها ديارهم ما رواه ابن هشام في السيرة النبوية أن النبي ﷺ « استقل الصفراء وهي قرية بين جبلين وسأل عن جبليها وما اسماهما فقالوا : يقال لأحدهما هذا مسلح، وللآخر مخريء، وسأل عن أهلهماء فقيل : بنو النار، وبنو حراق ، بطنان من بني غفار فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما[٤].

وكل هذه النقول تؤكد أن بدراً التي دارت فيها المعركة كانت من ديار بني غفار، مع ملاحظة أن الاسم يطلق على مواضع أخرى في الجزيرة منها موضع قرب نجران.

ونستخلص من المعلومات السابقة أن قبيلة غفار هي القبيلة التي كانت تسكن وادي الصفراء، وبالتالي كانت تسكن بدراً وهي القبيلة التي عرفت ببدر قبل الإسلام ، أما ما ذكر من وجود بعض المنتسبين لقبيلة جهينة فأغلب الظن أنهم كانوا من السقاة أو المسافرين الذين يمرون ببدر فليسوا من أهل بدر وإنما من العابرين فيها أو المتاجرين بها لبضعة أيام .

---

(١) علق هنا حمد الجاسر «كذا في الأصل» ولم أر في نسب غفار (النار)، وفيه بدر بن أحيمس بن غفار، وفي «التاج» حكى الواقدي إنكار نسبة بدر لقريش عن شيوخ غفار، وأنهم قالوا : «ماؤنا ومنازلنا لم يملكها أحد، وإنما بدر علم عليها كغيرها من البلاد» ص/ ٥١ .

(٢) المغانم المطابة في معالم طابة (قسم المواضع) ص/ ٥١ تحقيق حمد الجاسر الطبعة الأولى(١٣٨٩هـ-١٩٦٩م) منشورات دار اليمامة للبحث (الترجمة والنشر الرياض) .

(٣) معجم البلدان ١/ ٣٥٧، دار صادر - بيروت .

(٤) السيرة النبوية ٢/ ٦١٤ تحقيق السقا والأبياري، وشلبي، ونشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م .

القبائل التي تسكن بَدراً اليَوم

أما عن القبائل التي تسكن بدراً اليوم فهم الأشراف والسادة وقبائل صبح والظواهرة، إضافة إلى بعض أفخاذ من قبائل الحوازم والمحاميد والأحامدة والرحلة والكحلة وعوف وبني محمد وجهينة[١] .

وذكر عاتق البلادي أن سكان بدر هم الآن قبيلة صبح من بني سالم بن حرب[٢] ويليهم أشراف بدر والسادة الردنة[٣].

(١) انظر في ذلك عاتق البلادي : معجم قبائل الحجاز : ٢٦٠و٤١٤، ونسب حرب:٩٢، ٩٣ والأمير شكيب أرسلان : الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف : ٢٧٤، إذ قال في كلامه عن قبائل الحرمين : «ثم قبيلة صبح ببدر وشيخها ابن حصاني الصبحي» .

(٢) انظر عاتق البلادي : معجم قبائل الحجاز : وشكيب أرسلان : الارتسامات اللطاف : ٢٧٤ : وقد قال : «ويوجد فرقة من الأشراف ببدر كان شيخهم الشريف محمد بن سالم بن عبد الله بن نامي» .

(٣) انظر عاتق البلادي : معجم قبائل الحجاز : ١٧٨، ٤١٤ .

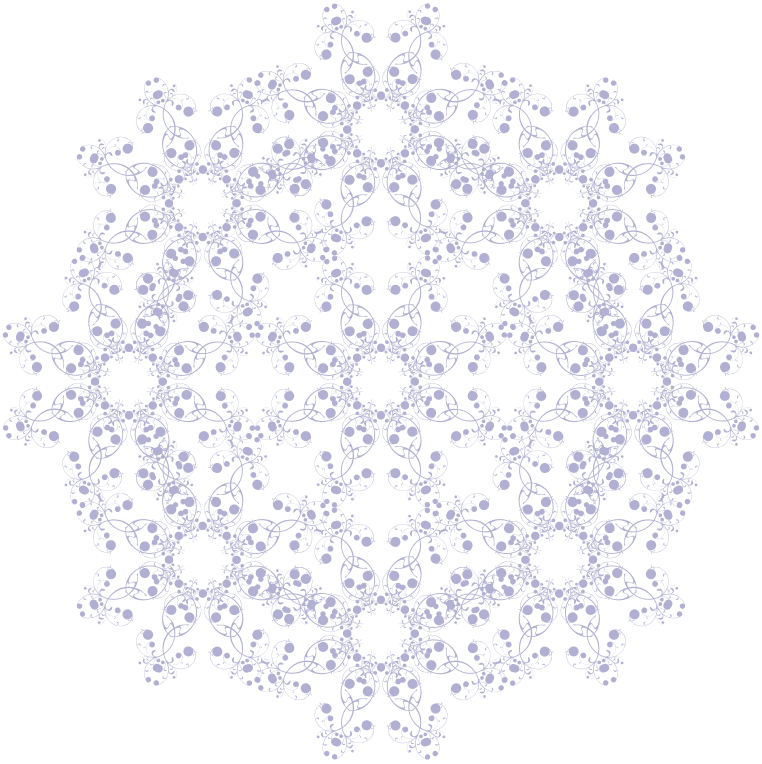

طبوغرافيَّة وجغرافية مدينة بدر

الموقع : تقع مدينة بدر (ميدان المعركة والمعالم التي حولها) في سهل منبسط واسع يحتوي على رسوبيات غرينية (طينية)، وتحدها من الجنوب والغرب جبال بدر الأصفر والتي تتكون من صخور جرانيتية خشنة الجيات فاتحة اللون غالباً . أما من الشمال الغربي فيحدها كثيب الحنّان والذي يتكون من رمال دقيقة متماسكة على هيئة كثيب رملي . وتحد مدينة بدر من الشمال والشمال الشرقي سلسلة جبال الصدماء وجبل الدقيقة من الشرق، وهذه السلسة الجبلية تتكون من صخور بركانية فتاتية منطبقة وطفوح بركانية.

وتتميز هذه الجبال بقمم مرتفعة نسبياً وخاصة في الجزء الشمالي منها وتتساوى في الارتفاع في الناحية الجنوبية منها مع سلسلة جبال بدر الأصفر .

أما الارتفاعات في الجهة الجنوبية والجهة الشمالية الغربية فتتراوح ما بين الانخفاض والارتفاع المتوسط . أما السهل المنبسط لمنطقة بدر (ميدان المعركة) فهو على هيئة شريط يمتد باتجاه الجنوب – الشمال الغربي ويحده المرتفعات من الجهات الأخرى، ويظهر هذا جلياً من خلال الصور الجوية، كما تُظهرها الأشكال المجسمة ذوات الأبعاد الثلاثة والمعتمدة على بيانات الارتفاعات لمنطقة بدر . وهذه الأشكال المجسمة لمنطقة ميدان المعركة وما حولها رُسم بواسطة الحاسب الآلي اعتماداً على قيم الارتفاعات المأخوذة من الخرائط الكنتورية لمنطقة بدر .

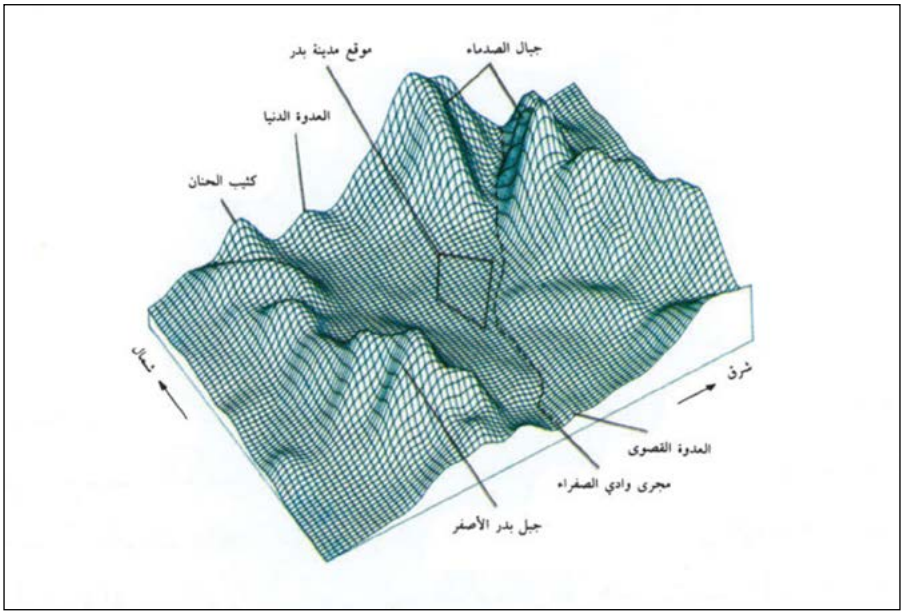

(شكل ١٠/ م٢)

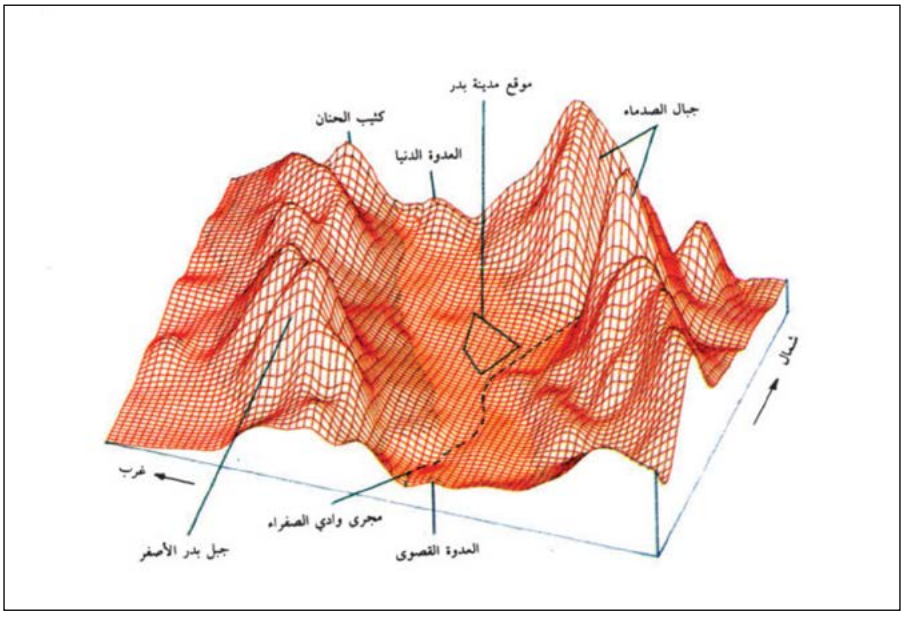

(شكل ١٠/ م١)

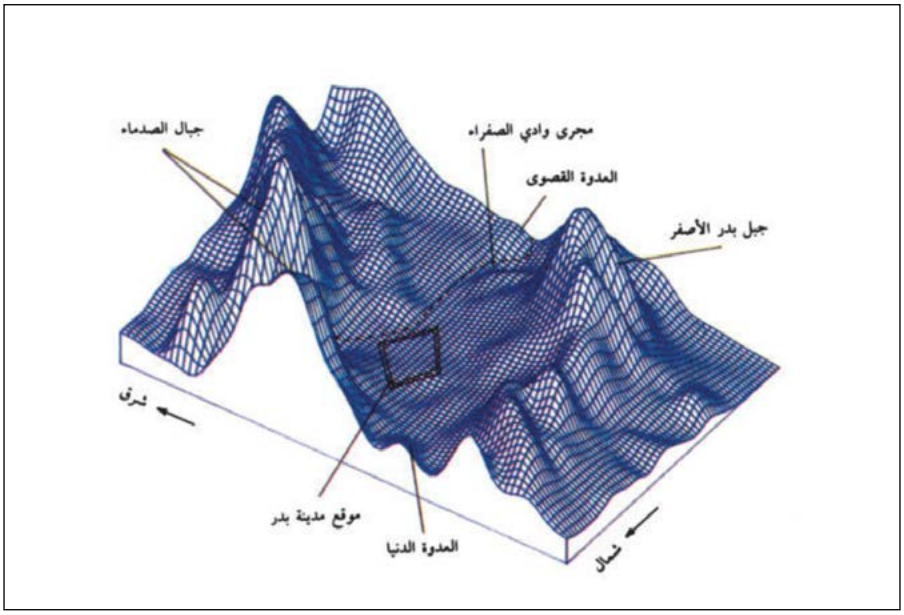

(شكل ١٠/ م٤)

جبلا الصدمة الشرقي والغربي

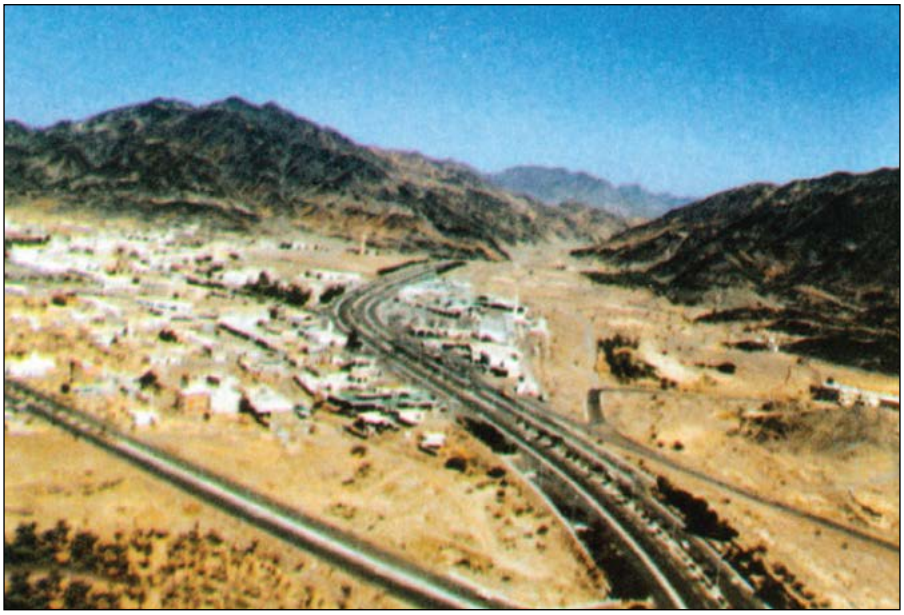

جبلا الصدمة الشرقي والغربي حيث خرج رسول الله ﷺ من بدر في طريق عودته للمدينة المنورة

الأودية ومصادر المياه: تتميز منطقة بدر بوجود عدد كبير من الأودية الصغيرة والكبيرة والتى تنحدر من المرتفعات القريبة من المنطقة مارة بالتراكيب الصخرية العديدة، وتصب الأودية الكبيرة منها في البحر الأحمرغرباً . وتأخذ هذه الأودية اتجاهات مختلفة من مصدرها حتى مصبها .

وأشهر هذه الأودية وأكبرها هو : وادي الصفراء ؟ وهذا هو الوادي الرئيسي في المنطقة . ويحد هذا الوادي العدوة القصوى من الشمال الغربي والغرب كما أنه يحد مدينة بدر من الشرق والجنوب . وتمر روافده العديدة فى ميدان معركة بدر .

- وادي الخشبي : ويمتد من الشمال نحو الجنوب ماراً بميدان المعركة، ويحد العدوة الدنيا من الغرب وتتلاقى روافده مع بعض روافد وادي الصفراء قريباً من الموقع الذي دفن فيه شهداء المسلمين .

- وادي الدمان : ينحدر من المرتفعات بالجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي ويصب في وادي الصفراء .

- وادي الدقيقة : ينحدر من المرتفعات الشرقية من جبال الدقيقة (شرق العدوة القصوى) ويصب غرباً في وادي الدمان .

كما أن هناك العديد من الأودية الصغيرة والتي تقع إلى الشرق والشمال الشرقي والشمال من منطقة بدر مثل ذبران – العش – الوّجاء – واسطة – أم الطبقات – دِمدِمْ – شِغب– والنجيل .

أرض بدر. . . . دراسة جيولوجية

أشجار السلم المنتشرة في منطقة بدر

أما عن مصادر المياه فتعتبر الأمطار المصدر الرئيسي للمياه في مدينة بدر والتي بدورها تمد الآبار بمخزونها من المياه الجوفية عن طريق تسرب مياه الأمطار إلى باطن الأرض من خلال الأودية العديدة . وتستخلص هذه المياه الجوفية عن طريق حفر الآبار ويستفاد منها للاستعمال البشري أو للاستخدام الزراعي.

أما المحاصيل الزراعية فأشهرها وأكثرها إنتاجاً التمور، والتي تتميز بها منطقة المدينة المنورة عموماً . كما أن هناك مزارع خاصة لإنتاج الحبوب والخضروات .

أما النباتات البرية المنتشرة في منطقة بدر والتي هي انعكاس لكثرة الأودية وروافدها فهي على نوعين : إما معمرة أو حولية .

أما المعمرة منها فمن أمثلتها : السدر– السرح – السمر– السلم – البشام – المرخ – العرفج والحرمل .

والحولية منها مثل : القْبّهِ – الخفير – القطب – العشرق – الديدمان والأتوبل .

أما الحيوانات البرية التى تتواجد فى منطقة بدر، فمن أمثلتها الغزلان والذئاب والضباع والثعالب والوعول والأرانب البرية كثدييات والورل والثعابين والضب كزواحف وأخيراً النحل والعقارب والفراش والجراد كحشرات .

السكان : يبلغ عدد سكان مدينة بدر حوالي ٢٥ألف نسمة، كما يسكن القرى التابعة لمدينة بدر حوالي ٢٠ألف نسمة، أما غير السعوديين والمقيمين في بدر وضواحيها فيبلغ عددهم حوالي ٣٧٠٠ نسمة .

ويشتغل السكان بالتجارة والزراعة والرعي، كما أن بعضهم يعمل في صيد الأسماك في الشواطىء القريبة من منطقة بدر على البحر الأحمر . وهناك نسبة من السكان يعملون في الوظائف الحكومية .

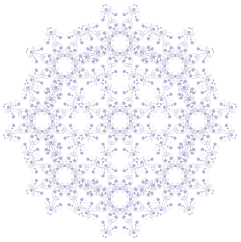

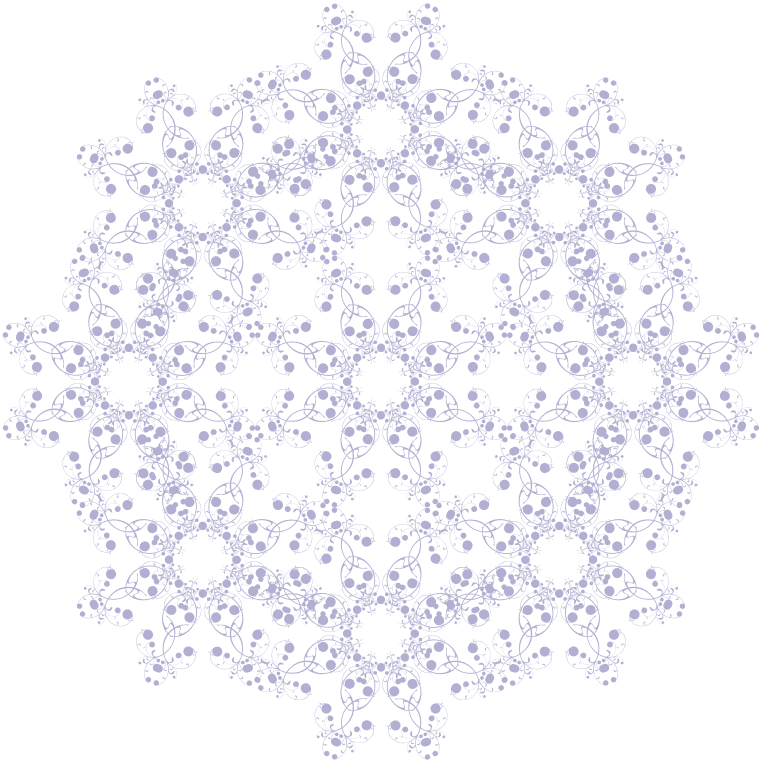

جيولوجيّة منطقة بَدر

تتبع مدينة بدر من الناحية الجيولوجية منطقة الحمراء وبدر وحنين، وهي متكونة من ست مجموعات صخرية . وقد تمت نسبتها إلى مجموعة الحمراء وتتابعها على النحو التالي من الأقدم إلى الأحدث من ناحية العمر الجيولوجي المتكونات التالية :

١- متكون بدر .

٢- متكون الفرع .

٣- متكون الحسينية .

٤- متكون الخرماء .

٥- متكون الغرابة .

٦- متكون الصفراء .

وهذه المتكونات تمثلها مدينة بدر وما يحيط بها أنواع مختلفة من الصخور . فنجد أن متكوني بدر والفرع يسودان منطقة بدر، وهما يتألفان من فيوض بركانية وطف بركاني ذات تراكيب مختلفة تتدرج من الحامضي إلى متوسط كيميائياً ومعدنياً، كما ينطبقان مع بعض طبقات من الفتاتيات البركانية من الكونجلوميرات والحجر الرملي الناعم وبعض من الرخام .

وعند مقارنة هذه الصخور في المتطبقات الوسطى لمجموعتي سمران والعيص في مناطق أخرى مع متكوني بدر والفرع نجد أن الصفات الصخرية متقاربة، ويبدو أنها تكونت جميعاً في بيئات ترسيبية وذلك طبقاً للدراسات السابقة لبعض الجيولوجيين، حيث كانت دراساتهم عبارة عن مضاهاة لمجموعة صخور الحمراء مع مجموعة صخور

العيص في الناحية الشمالية من منطقة بدر، ومجموعة صخور سمران في الناحية الجنوبية الشرقية من منطقة بدر .

وتوجد المتكونات الحديثة جداً في الناحية الشمالية الشرقية من منطقة بدر، وتوجد الصخور الرسوبية ذات التطبق الخفيف (الضعيف) والجيد كقاعدة لمتكون الخرماء والذي يمثل التتابع الأحدث ويتميز بوجود وحدات صخرية سميكة .

أما أنواع الصخور النارية الجوفية المختلفة في منطقة بدر فتتدرج من صخور قاعدية (الأقدم) ويمثلها صخر الجابرو، إلى صخور حامضية (الأحدث) ويمثلها صخر الجرانيت، وبينهما أنواعٌ مختلفة من الصخور تركيبها المعدني والكيميائي ما بين القاعدي والحامضي . كما أن هناك صخوراً مختلفة تتداخل وتتخلل كل المتكونات الصخرية التابعة لمجموعة الحمراء .

أما الصخور النارية البركانية (السطحية) فتتدرج سحنتها الصخرية من صخور قاعدية بركانية تسود بكثرة المتكونات القديمة إلى صخور سليكاتية (حامضية) بركانية وصخور فتات بركاني تشكل قاعدة متكون الفرع .

وما سبق ذكره يمثل وصفاً مختصراً ومحدوداً من الناحية الجيولوجية وبصفة خاصة لمدينة بدر .

أوضحت الأبحاث التي أجريت على الدلائل السطحية الموجودة في

منطقة بدر أنها تتوافق مع انبعاث بركاني النشأة . وهذه الدلائل والتي تعرف علمياً باسم الجوسان ذات مظهر سطحي ملون بألوان قاتمة (بني – أحمر – أصفر داكن) تعكس المكونات المعدنية التى تحويه وغالباً ما تكون أكاسيد حديد مائية، يستدل على وجودها على احتمال تواجد خامات معدنية تحتها، وقد دلت النتائج الأولية على وجود بعض المعادن مثل النحاس

والقصدير في بعض الأجزاء السطحية، غير أن منطقة بدر فقيرة في مثل هذه العناصر بصفة عامة، ولا بد من إجراء بعض الاختبارات الجيو فيزيائيك . على مناطق الجوسان السطحية، وإن كان الاعتقاد يتجه إلى عدم وجود معادن ذات قيمة اقتصادية في منطقة بدر، على الأقل في المناطق التى تمت دراستها .

عينه من متمون الصفرا

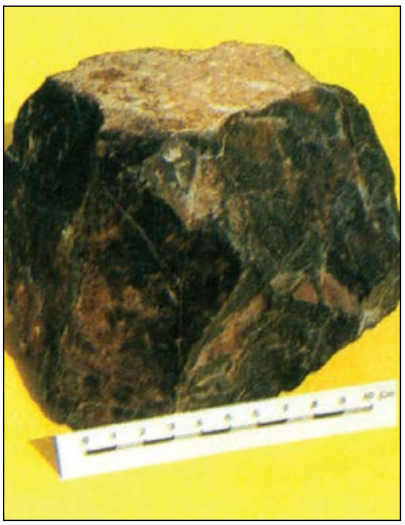

نموذج من صخور متكون بدر

جانب من صخور القاعدة ويظهر جانب من عمليات التحول والتداخل في صخور المنطقة

مُقدِّمَات وَأسبَاب

إذا أردنا أن نعود إلى الجذور الحقيقية لغزوة بدر فلابد أن نستعرض الأمر من أوله وننظر أساسه، فقد بدأت القضية منذ اللحظة الأولى التي انبثق فيها النور من غار حراء، وجاء الوحي إلى رسول الله ﷺ وقال له : أقرأ ثم بعد أن أمر ﷺ أن يجهر بالدعوة، وينذر عشيرته الأقربين، وهنا بدأت الجولة الأولى، ومن هنا خرجت أولى شرارات الحقد والحسد، فما إن أعلن سيدنا محمد أنه نبي مرسل من الله عز وجل حتى رفض أبو لهب وقال في سخرية : تباً لك ألهذا جمعتنا.

وظل هو وقومه ينظرون باستخفاف وسخرية لدعوته ﷺ، وبدأت جدور المشكلة من هناك، وبذور العداء الذي أججه وزاده الحسد، والحقد، والغيرة وغذته الغطرسة والكبرياء وحمل لواءه الشيطان وأعوانه وكان الحسد لأن هذا الشرف الذي ناله رسول الله ﷺ، وحظيت به بنو هاشم قد خلخل موازين الجاه والأنفة والرئاسة، والقيادة، وقد عبر عن هذا أبو جهل عندما قال مقالته المعروفة يخاطب العباس عم رسول الله ﷺ : «كنا نطعم وتطعمون، ونسقي وتسقون، وننحر وتنحرون، كفرسي رهان، ثم قلتم منا نبي فلا واللات والعزى لا كان هذا أبداً».

ولذا بدأت العداوة، وبدأ الرفض والمعارضة والمكائد والمؤامرات للقضاء على هذا النبي الذي سفه أصنامهم، وفضح آلهتهم.

وإذا كانت البداية منذ اللحظة التي جاء فيها جبريل عليه السلام بآيات المدثر يبلغه أمر ربه عز وجل في أن ينذر بالدعوة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾ (المدثر : ١-٥).

فبدأ بالدعوة سراً وبعد ثلاث نزل عليه﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾(الحجر : ٩٤).

فكان لابد من الجهر بالدعوة، فكان البلاغ، وكان الصدام، وتوالت الأحداث فلقد انقضى عهد الانتظار والترقب والقلق، وبدأت أيام الجهاد والصبر والمصابرة، ولا بد لمحمد ﷺ ان يعد نفسه لحرب ضروس سوف يعلنها عليه أهل الشرك والفساد أصحاب المصلحة الراغبون في بقاء الحال على ما هي عليه، من عبادة الأوثان، وطاعة الشيطان، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، والخضوع للنزوات والشهوات. ولقد قال له ورقة بن نوفل من قبل والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتُكَذَّبنَّه، ولتؤذَينه، ولتُخرجَنه، ولتقاتلنَّه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه[1]، هذا ما أهمه وهذا ما قاله ورقة، وهذه سنة الله في الأنبياء من قبله.

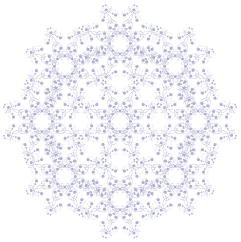

(١) سيرة ابن هشام ج١ ص٢٣٨.

وفي خفاء وستر أخبر عليه الصلاة والسلام أقرب الناس : خديجة بنت خويلد، الزوجة التي آمنت به قبل خمسة عشر عاماً، حين ألمحت برغبتها في الزواج منه دون أشراف مكة جميعاً، ثقة في أمانته وصدقه وعفة نفسه، وعلو همته، فكيف بها اليوم وقد أنبأها بشرف الرسالة؟.

وهذا على بن أبي طالب ابن عمه الذي ضمه محمد إلى كنفه ليخفف عن عمه الفقير كثير العيال، فرأي من بره وعطفه وصدقه وطهارة نفسه الكثير أيتردد اليوم في تصديقه؟، وما رآه قبل اليوم ينحرف عن الصدق قيد أنملة ثم هو لم يأت بشيء لا تقبله الفطرة السليمة.

ثم هذا غلامه زيد بن حارثه الذي آثر الحياة معه على الرجوع إلى أبيه وأهله، فاتخذه عليه السلام ابناً وأعلن على الملأ وأشهدهم أنه ابنه وله كل حقوق الأبناء حتى جاء أمر الله ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ فعاش في كنفه ﷺ كريماً مكرماً عزيزاً محبوباً، ورأي من آيات سمو نفسه وحلاوة شمائله ما يعجز اللسان عن وصفه بل ما يعجز الخيال عن تصوره.

ثم يخرج عليه السلام بدعوته من بيته إلى أقرب خاصته وأصدقائه عبد الله بن أبي قحافة الذي عرف فيما بعد بابي بكر الصديق، وكان يتردد على دار محمد، وكان يثق في صدق صاحبه وصديقه القريب إلى قلبه، ويعلم من طهارة قلبه ونبل خلقه ما يكفيه ليستجيب لأي شيء يدعوه إليه، فما إن حدثه في شأن الدعوة على التوحيد حتى انفتح لها قلبه، وكأنه كان في انتظارها فاحتواها وعاشت فيه كأنه صاحبها، فكان عليه الصلاة السلام كلما ذكر أحداث الدعوة الأولى يقول : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أمر أبي بكر بن قحافة، ما عكم [1]

(١) ما عكم : أي ما تمهل ولا انتظر.

حين ذكرته له وما تردد فيه»[1].

وبديهي أن الدعوة لم يكن من الممكن أن تبقى في طي الخفاء والكتمان، وقد وصلت إلى أبي بكر الشاب الوسيم، الأنيس، العالم بالأنساب، المحبب إلى الناس، يألفه الناس ويستطيبون مجالسته وحديثه، ويحبون فيه التاجر الصادق الماهر، والدعوات في أول أمرها في حاجة إلى اللين والرفق، والأناة والصبر، وسعة الصدر والحلم، وكلها كانت في ابن أبي قحافة، فأخذ منذ آمن ينفذ في سلاسة وعذوبة بصوته الأنيس، وحديثه العذب السهل، وصدق لهجته وأمانته مع أصدقائه ومحبيه الكثيرين من التجار والأثرياء، يحدثهم في غير جلبة ولا صخب بأمر هذا الدين الذي آمن به فأضاء قلبه، تحدث إلى عثمان بن عفان وكان رجلاً جم الحياء خافت الصوت فأنصت عثمان وعقل الأمر، وأضاء قلبه بنور الإيمان، وما لبث أن قال لصديقه أبي بكر إنه لم يعلم عن محمد أنه كذب قط وأنه يعلم عن أبي بكر الصدق، ثم أعلن إسلامه قائلاً: اللهم إني على هذا الدين، ثم اسلم على يد أبي بكر الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، ثم أسلم بعدهم أبو عبيدة بن الجراح، وعبيدة ابن الحارث، وسعيد بن زيد وزوجه فاطمة بنت الخطاب، وأسماء وعائشة ابنتاه وعائشة يومئذ صغيرة، ومولاه عامر بن فهيرة وبلال، وعمار بن ياسر. أسلم هؤلاء ونفر قليل غيرهم، ودعوته ﷺ إلى الإسلام ما زالت سراً في طور الكتمان، يدعى إليها من الناس أصحاب الفطر السليمة والأخلاق القويمة في الخفاء، يدعو كل مسلم ممن يثق فيه ويعلمه حكيماً عاقلاً، تتقبل نفسه ما يدعو إليه هذا الدين من الطهر والنقاء والعفاف والإخلاص لعبادة الله الواحد، وإذا خرجوا إلى الصلاة التمسوا شعاب الجبال بعيداً عن نوادي قريش وأسواقها.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٤.

الجَهرُ بالدّعوَةِ

لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أخذ عليه الصلاة والسلام يتلطف في تبليغ دعوته إلى أهله وعشيرته من أبناء عبد المطلب، فدعاهم يوماً على طعام وشراب سائغ، فطعموا وشربوا، ثم حدثهم بأمر الدعوة ودعاهم إلى دين الله، فأعرضوا عنه وما استجابوا بل ربما سخر منه بعضهم وربما استهزأ به[1]، ولم يفز منهم بطائل، ولم يكن يستطيع السكوت أو الكتمان بعد اليوم، فقد أمره ربه بالجهر فامتثل وأطاع، وعليه أن يتم ما بدأ، ولا بد أن يجهر بدعوته ويعلنها ما وسعه الإعلان.

صعد عليه الصلاة والسلام الصفا، وصاح بأعلى صوته ينادي قريشاً، ويخص بالنداء بني هاشم، وبني عبد المطلب، فلما اجتمعوا حوله بادرهم يسألهم: «لو أخبرتكم أن خيلاً وراء هذا الوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم. ما جربنا عليك كذباً، الحقيقة واضحة جلية نطقت بها قلوبهم قبل ألسنتهم، ما جربنا عليك كذباً[2].

فبلغهم عليه الصلاة والسلام النبأ العظيم، خبر الرسالة والنبوة وأن الله قد أرسله نذيراً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وأن يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا أبو لهب يقول ساخراً: تباً لك ألهذا جمعتنا؟ وانصرفوا عنه مستهزئين ساخرين.

وظلت قريش تنظر إلى دعوة النبي ﷺ باستخفاف واستهانة وعدم اكتراث، وهم يظنون أنها ستظل في هذا المحيط الضيق المحدود، ولا تتجاوز بيوت مكة، ولا يتجاوز أتباعها ومعتنقوها العشرة أو العشرات.

ظل هذا موقفهم من الدعوة الإسلامية ما دامت قاصرة على دعوة الناس إلى مكارم الأخلاق ولا تتعرض لالهتهم بسوء، فكانوا يقولون ويعجبون ويسخرون، هذا فتى

(١) فقه السيرة للغزالي تعليق ناصر الدين الألباني بصحة الحديث.

(٢) فقه السيرة للغزالي.

عبدالمطلب يحدث عن السماء ولكن دوام الحال على هذه الصورة كان محالاً ولا بد من مواجهتهم بما هم عليه من ضلال وحمق ولا بد من إعلامهم بالحقيقة التي يعرفونها ويتعامون عنها غباءً وضلالاً، لا مفر من مواجهة الشرك فأخذ عليه الصلاة والسلام يلفت أنظارهم إلى حقيقة هذه الأصنام والأحجار العمياء البكماء الصماء التي لا تملك من أمر نفسها شيئاً ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها حيواناً يقضي حاجته الطبيعية فوق رؤوسها فأنى لها أن تملك مصائر البشر من عبادها وتشملهم بحمايتها ورعايتها.

حقيقة لا يجهلها أحد منهم ولا يستعصى عليهم إدراكها ﷺ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور أعمتها الأهواء والمصالح الدنيوية والانغماس في الرذائل والشهوات، فما إن سمعوه ﷺ يتحدث فيذكر آلهتهم ويظهرهم على حقيقة عجزها وهوانها، حتى ثارت ثائرتهم واندفعوا يتخبطون بكل طريق ويهددون ويتوعدون النبي ﷺ ومن تابعه بالويل والثبور وعظائم الأمور، ذهبوا إلى عمه أبي طالب يشكون محمداً الذي يعيب آلهتهم ويذكرها بسوء، ويطلبون منه أن يكفه عن هذه الأوثان، ثم يعرضون عليه عرضاً عجيباً، عرضاً لا يفكر فيه إلا فارغ لا عقل له ولا قلب، يقولون له: يا أبا طالب هذا أنهد فتى في قريش خذه ليكون أبناً لك وسلم إلينا ابن أخيك لنقتله، لقد كان أبو طالب حليماً غاية الحلم، كريماً غاية الكرم، مهذباً غاية التهذيب حين رد عليهم هذا الرد : «عجباً لكم اتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه»، وها هم أولاء يعرضون عليه الجاه والسيادة، والمال والثراء، وحين يتحدث عمه إليه ناصحاً مشفقاً، يجيبه بعد أن استمع وأنصت فيقول قولته الحاسمة التي تغلق كل أبواب الجدال والمساومة، يقول ﷺ : «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»[1].

واستمر في دعوته غير هياب ولا وجل لا يخشى في الله شيئاً ولا يبالي ما يقع عليه وعلى أصحابه من الأذى، وانطلق يدعو إلى الله على بصيرة صابراً صامداً محتسباً في وجه هذه القوة الباغية الطاغية التي أعلنتها عليه حرباً لها كل أشكال الحرب وأنواعها.

(١) نور اليقين للخضري.

قريش الكافِرة تحارِبُ رَسُولَ الإيمان

أعلنت قريش حرباً قاسية على النبي ﷺ ومن آمنوا معه، بل ومن ساندوه من بني هاشم وبني المطلب، نعم هي حرب لها كل مقومات الحرب من ضرب وقتل، حرب اقتصادية واجتماعية تشمل المقاطعة والمصادرة وتدميرالموارد الاقتصادية، وحصار يمنعهم حق البيع والشراء والتعامل المشروع وكانت هذه بعض إرهاصات بدر والمقدمات التى قادت لتلك الغزوة وذلك النصر المبين .

حرب الأذى :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد الحرام، ورفقة من قريش، ونبي الله ﷺ يصلي ، وقد نحر قبل ذلك جزور، وقد بقي فرثه (ما في كرشه) وقذره، فقال أبو جهل : ألا رجل يقوم إلى هذا القذر يلقيه على محمد ؟، ونبي الله ﷺ ساجد، إذ انبعث أشقاها فقام فألقاها عليه ، قال عبد الله فهبنا أن نلقيه عنه ، حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها فألقته فقام، فسمعته يقول وهو قائم يصلي : «اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، اللهم عليك بأبي الحكم ابن هشام (أبو جهل) وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وعقبة بن أبي معيط ، وأمية بن خلف، ورجل آخر».

ثم قال عبد الله : رأيتهم من العام المقبل صرعى بالطويِّ - طوي بدر- صرعى بالقليب .

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال : حدثني عمرو بن عثمان بن عفان عن أبيه عثمان بن عفان قال : كان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت، ويده في يد أبي بكر، وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس : عقبة ابن أبي معيط، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، فمر رسول الله ﷺ فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره، فعرف ذلك فى وجه النبى ﷺ فدنوت منه حتى وسطته،

فكان بيني وبين أبي بكر، وأدخل أصابعه في أصابعي حتى طفنا جميعاً، فلما حاذاهم قال أبو جهل : والله لا نصالحك ما بلّ بحر صوفة – وأنت تنهى أن نعبد ما يعبد آباؤنا فقال رسول الله ﷺ : أنى ذلك ؟ ثم مضى عنهم، فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك، حتى إذا كان في الشوط الرابع ناهضوه، ووثب أبوجهل يريد أن يأخذ بمجامع ثوبه، فدفعت في صدره فوقع على إسته، ودفع أبو بكر أمية بن خلف، ودفع رسول الله ﷺ عقبة بن أبي معيط، ثم انفرجوا عن رسول الله ﷺ وهو واقف .

ثم قال : «أما والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقاب عاجل»، قال عثمان: فوالله ما منهم من رجل إلا أخذه إفْكل (رعدة) وهو يرتعد، فجعل رسول الله ﷺ يقول : «بئس القوم أنتم لنبيكم »، ثم انصرف إلى بيته، وتبعناه خلفه حتى انتهى إلى باب بيته، ووقف على السدة ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : «أبشروا فإن الله عز وجل مظهر دينه، ومتم كلمته، وناصر نبيه، إن هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بأيديكم عاجلاً» ، ثم انصرفنا إلى بيوتنا فوالله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله بأيدينا. (في بدر)[1].

وقد قص علينا المؤرخون ورواة السيرة كيف كانت أم جميل زوجة أبي لهب تؤذي الرسول الكريم، فتنتظره على الطرقات تسبه وتشتمه بأقذع الشتائم وكيف كانت تلقي القذى والقذر على بابه وهو صابر حليم .

وهذه صور لحرب قريش التي أعلنتها عليه ﷺ بالأيدي والألسنة وغير ذلك من صنوف الأذى وألوانه فهل يستغرب عاقل أو منصف خروج رسول الله كِلةٍ للقاء قافلة قريش في بدر ؟

وقد امتدت هذه الحرب فشملت أصحابه رضي الله عنهم : الأشراف والمستضعفين على تفاوت فى درجات الأذى وقسوته .

فهذا طلحة بن عبيد الله قرين أبي بكر الصديق وصاحبه ورفيقه في الأذى حدث

(١) انظر سيرة ابن هشام من ٢٨٩ الى ٣١٠.

مسعود بن خراش قال : بينما كنت أسعى بين الصفا والمروة إذا أناس يتتبعون فتى أوثقت يداه إلى عنقه، يهرولون وراءه، ويدفعونه في ظهره، ويضربون على رأسه، وخلفه امرأة عجوز تسبه وتضربه، فقلت : ما شأن هذا الفتى قالوا : طلحة بن عبيد الله صبأ عن دينه، وتبع غلام بني هاشم قلت : ومن هذه العجوز ؟ فقالوا : هي الصعبة بنت الحضرمي أم الفتى ثم إن نوفل بن خويلد قام فأوثقه في حبل وأوثق معه أبا بكر الصديق، قرنهما معاً، ثم قدمهما إلى سفهاء مكة ليذيقوهما أشد العذاب، ومن هنا لقبا القرينين.[1]

وهذا سعد بن أبي وقاص الفتى القرشي الثري المنعم المحب لأمه شديد الحب لها، والبر بها، ما إن سمعت أمه المشركة خبر إسلامه حتى ثارت ثائرتها وأقبلت عليه تقول : يا سعد ما هذا الدين الذي اعتنقته فصرفك عن دين أمك وأبيك ؟ والله لتدعن دينك الجديد أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت، فينفطر فؤادك حزناً علي، ويأكلك الحزن على فعلتك التي فعلت وتعيرك الناس بها أبد الدهر، فيقولون يا قاتل أمه . . فقال وهو يغالب مشاعره وألمه : لا تفعلي يا أماه، فأنا لا أدع ديني لأي شيء ، لكنها مضت تنفذ وعيدها، فاجتنبت الطعام والشراب ومكثت أياماً على ذلك لا تأكل ولا تشرب، حتى هزل جسمها ووهن عظمها، وخارت قواها، والفتى يعانى الحزن والحيرة فهو يحب أمه ولا يريد أن يفقدها، وهو أيضاً يحب النور الذي أضاء قلبه وأشرق في نفسه بهذا الدين، فجعل يأتيها ساعة بعد ساعة، يترفق بها، ويبذل جهده لإقناعها أن تتبلغ بشيء من طعام، أو قليل من شراب، فتأبى ذلك أشد الإباء، وتقسم ألا تأكل أو تشرب حتى تموت أو يدع دينه، عذاب شديد هذا الذي يعانيه هذا الفتى الكريم، اخترعته نفس استولى عليها الشيطان وأوحى إليها بهذه الحيلة الشيطانية، لكن الإيمان الذي عمر قلب سعد بن أبى وقاص ألهمه الشجاعة والصبر وأمده بقوة الاحتمال فقال لها : يا أماه . . إني على شديد حبي لك لأشد حبا لله ورسوله . . . والله لو كان لك ألف نفس فخرجت منك نفساً بعد نفس ما تركت ديني هذا لشيء !! فأنزل الله عز وجل فيهما : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾ (لقمان: ١٥).

(١) سيرة إبن هشام ص ٢٨٢.

وهذا خباب بن الأرت مولى أم أنمار وكان حداداً يصنع السيوف لأهل مكة، يحبه الناس لعقله وأمانته، وإتقانه صنعته، ما أن ترامى إليه ظهور محمد صلاة الله وسلامه عليه ، ودعوته إلى الإسلام حتى أسرع إليه يسمع منه فبهره الإسلام وغمره سناه، وبسط يده يبايع النبي ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فكان سادس ستة اعتنقوا دين الإسلام على ظهر الأرض حتى لقد قيل : مضى على خباب وقت وهو سدس الإسلام[1].

ولم يكتم خباب إسلامه، فلم يلبث خبر إسلامه أن وصل إلى مولاته أم أنمار، فاستشاطت غضباً وسلطت عليه أخاها سباع بن عبد العزى وجماعة من فتيان خزاعة، وأوكلت إليهم أمر تعذيبه لرده عن الإسلام بعد أن واجهها بإسلامه في جرأة وشجاعة أغرت غيره من المستضعفين وشجعتهم فأعلنوا إسلامهم .

لقد أعلنها السادة عليه وعليهم حرباً ضارية لا هوادة فيها ولا لين، فكان إذا اشتدت الهاجرة، والتهبت الأرض بأشعة الشمس في بطحاء مكة، أخرجوه ونزعوا عنه ثيابه، وألبسوه دروع الحديد، ومنعوا عنه الماء، حتى إذا بلغ منه الظمأ والجهد كل مبلغ قالوا ما تقول في محمد ؟ فيقول عبد الله ورسوله، جاءنا بدين الهدى والحق، ليخرجنا من الظلمات إلى النور. . . فينهالون عليه ركلا ولكماً وضرباً ثم يعودون يسألونه : ما تقول في اللات والعزى؟ فيقول صنمان أبكمان لا يضران ولا ينفعان. . ، فيأتون بالحجارة المحماة ويلصقونها بظهره، ويبقونها عليه حتى يسيل دهن كتفيه، ومرة رأت أم أنمار رسول الله ﷺ يمر بدكانه ويكلمه فطار عقلها وفقدت صوابها فأخذت حديدة محمية من كيره، ووضعتها على رأسه حتى دخن رأسه وأغمي عليه .

هذا نموذج للظلم والبغي في معسكر المشركين في مكة ضد صحابة رسول الله ﷺ .

وصارت تفعل به ذلك كلما ذهبت إلى دكانه، وهو صابر لا يملك غير الدعاء عليها وعلى أخيها القاسي، فاستجاب الله دعاءه حتى لقد رآها وقد أصابها صداع الرأس، فلم

(١) انظر ابن هشام ص ٣٥٧.

يجد أبناؤها إلا كي رأسها بالحديد المحمي بالنار وهذه سمية أم عمار بن ياسر، كانت سابع سبعة سبقوا إلى الإسلام، عذبها آل المغيرة وألبسوها الحديد، وصهرت في الشمس وأذاقوها الجوع والعطش، كل ذلك لم يغير من عقيدتها وإيمانها شيئاً. واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها حتى طعنها عدو الله أبو جهل بحربة في قبلها فماتت ، فكانت أول شهيدة في الإسلام .

وهذا عمار بن ياسر ابن سمية الشهيدة، كان مولى لبني مخزوم لأن سمية كانت أمة لهم، وأعتقه أبو حذيفة، دخل في الإسلام مع أمه سمية، فلحقه ما لحق أمه وأباه من العذاب، تعرض للضرب المبرح وذاق آلام الجوع والعطش، وكان صبره وصبر أمه وأبيه مضرب المثل في احتمال العذاب والتمسك بالإيمان والإسلام، وقد مر بهم رسول الله ﷺ وهم يعذبون،، فقال لهم : «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»[1].

وهذا بلال بن رباح مؤذن الرسول عليه الصلاة والسلام، أمه حمامة، من مولدي مكة، وهو مولى بالعتق لأبي بكر الصديق، اشتراه وأعتقه ليرحمه مما كان يلاقي من العذاب الشديد[2].

كان أمية بن خلف يبطحه على وجهه في الشمس، ويضع الرحا عليه حتى تصهره الشمس، ويقول له اكفر بمحمد، اكفر برب محمد، فيقول أحد أحد، لا يزيد عليها وهذا نموذج آخر لأنواع البلايا والرزايا التي صبوها على المسلمين في مكة المكرمة فهل يستغرب خروج رسول الله ﷺ ليثأر من قافلتهم ؟.

عمر بن الخطاب يضرب ويعذب مع غيره من المسلمين:

قال عمر : لما أسلمت تذكرت أي أهل مكة أشد عداوة لرسول الله ﷺ ، حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت، فذكرت أبا جهل، فجئت له فدققت عليه الباب فقال : من بالباب ؟ قلت عمر بن الخطاب، فخرج إلي فقال : مرحباً وأهلا بابن أختي، ما جاء

(١) سيرة ابن هشام ج١ ص٣١٧.
(٢) سيرة ابن هشام ج١ ص٣١٧.

بك ؟ قلت : جئت لأبشرك ببشارة، فقال أبو جهل وما هى يا ابن أختى ؟ قلت : آمنت بالله وبرسوله محمد ﷺ ، وصدقت ما جاء به ، فضرب الباب في وجهي (أغلقه) وقال : قبحك الله وقبح ما جئت به، ثم جئت الحجر فأتيت جميل بن معمر، وكان معروفاً أنه لا يكتم سراً، فأخبرته الخبر، وقلت لا تخبر أحداً، فوقف وصاح بأعلى صوته، وقال ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ، فما زال الناس يضربونني وأضربهم حتى جاء خالي أبو جهل وصاح : ابن الخطاب في جواري، فصرت بعد ذلك أرى الواحد من المسلمين يضرب وأنا لا أضرب فقلت : ما هذا بشيء حتى يصيبني ما يصيب المسلمين ٠ فأتيت الحجر ووقفت على أبي جهل وقلت له : جوارك رد وصرت إلى أمر المسلمين مع المشركين أضرب وأضرب[1].

هذه أمثلة وصور، وقليل من كثير يكشف لنا ما كان يأتيه طغاة الشرك في مكة من جرائم وحشية، يحاربون بها الإسلام والمسلمين ٠ يضربونهم بالأيدي والسياط والحجارة ويكوونهم بالحديد المحمي، ويلقونهم على الصخور في وهج الشمس ويحبسونهم محرومين من الطعام والماء، وقد استشهد بعض المسلمين نتيجة لهذه الأعمال الانتقامية، أليست هذه هي الحرب، وألم يكن خروج الرسول ﷺ رد فعل طبيعي وحكيم وعادل واستراتيجي لوقف هذه المظالم ؟ .

(١) سيرة ابن هشام ص٣٤٢.

حمي وطيس المعركة، واستفاضت شهرة النبي ﷺ، ووصل صيته إلى يثرب، وتسامعت به القبائل العربية حول مكة، وتطلع كثير من العرب إلى معرفة الخبر اليقين في أمر هذا الذي جابه قريشاً والعرب بتسفيه أحلامهم وأحلام آبائهم وسب آلهتهم.

واقترب موسم الحج وأحست قريش أن العرب الذين سيفدون إلى مكة للحج سيبحثون عن محمد أو يستقصون أخباره ولو بدافع الفضول، وحباً في أن يعودوا إلى قومهم بالجديد من أخبار مكة وبيت الله الحرام.

استشعرت قريش الخطر من لقاء محمد بهذه الوفود، وهم يعلمون يقيناً ما أوتي من بلاغة القول، وفصاحة اللسان، وحلاوة الحديث، فضلاً عن قوة الحق الذي جاء به، وتأثير دعوته الناس إلى مكارم الأخلاق، والإحسان، ونبذ الشهوات والرذائل، فلا مناص من البحث عن وسيلة للرد على ما سيثور من التساؤلات في نفوس هؤلاء الوافدين، وتحذيرهم من فتنته.

اجتمعوا في دار ندوتهم (دار قصي بن كلاب) يشاورون ويقلبون الأمر على مختلف وجوهه، ماذا يقولون؟ كذاب، لم يجرب عليه أحد الكذب وهو مشهور بينهم بالصادق الآمين، كان؟ حديثه لا يشبه حديث الكهان لا من قريب ولا من بعيد، شاعر؟ الشعر عندهم له مواصفات يعرفها العرب جميعاً، مجنون؟.. لا بل هو ساحر، أليس يفرق بين الولد وأبيه، والرجل وزوجه، والعبد ومولاه، والرجل وأخيه، والمرء وعشيرته... إلخ.

وانطلقوا في شعاب مكة وطرقاتها، وكل سبيل يؤدي إليها يعبره القادمون إليها، يستقبلون وفود الحجيج، يستوقفونهم، ويتحدثون إليهم، ويحذرونهم ويخوفونهم على أنفسهم وأهليهم من أن يقعوا تحت تأثير سحر محمد فيصيبهم ما أصاب من دخلوا الإسلام قبلهم.

واستمر كفار مكة يطلقون أبواق دعاياتهم المسمومة ضد رسول الله ﷺ وما جاء به، وينشرون الشائعات والأكاذيب، وما علموا أن وفداً جاء للقاء رسول الله ﷺ إلا أسرعوا إليه يزيفون الحقائق ويشوهون صورة الإسلام ونبيه حتى يحولوا بينهم وبين لقاء الرسول الكريم.[1]

وفد نجران:

قدم وفد نجران - وهم قوم من النصارى - عليه ﷺ بمكة، وكانوا نحو عشرين رجلا قدموا حين علموا من مهاجري الحبشة بمبعثه وظهور الإسلام، فوجدوه ﷺ في المسجد، فجلسوا إليه وسألوه وكلموه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ينظرون إليهم، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ كما أرادوا، دعاهم إلى الله تعالى، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وعرفوا فيه ما هو موصوف به في كتابهم .

فلما قاموا اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون الأخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال ، لا نعلم ركباً أحمق منكم، فقال له أهل نجران : سلام عليكم، لانجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه . قيل أن فيهم نزل قول الحق سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾.

ضماد الازدي :

هذا الرجل من أزد شنوءة وكان يعالج بالرقى، قدم مكة، فسمع سفهاءها يقولون : محمد مجنون، فقال لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال : فأتيته فقلت : يا محمد أرقي من الريح[2] فإن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك ؟ فقال رسول

(١) انظر سيرة ابن هشام ج١ ص٢٩٩-٣٠٠.

(٢) المقصود بالريح : المس والجنون.

الله ﷺ: « إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهد الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله» فقال ضماد : أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال : لقد سمعت الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه، وقال له رسول الله ﷺ : وعلى قومك ؟ قال : وعلى قومي[1] .

الطفيل بن عمرو الدوسي :

شريف في قومه، شاعر نبيل، قدم مكة، فمشى إليه رجال من قريش، فقالوا : يا طفيل ، إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا، قد أعضل أمره بنا، وفرق جماعتنا ، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين المرء وأخيه ، وبين الرجل وزوجته، وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا منه، فلا تكلمه ولا تسمع منه .

قال الطفيل : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئاً، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً (قطناً) فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريباً منه، فأبى الله إلا أن أسمع بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي : أنا ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع منه، وانتظرت حتى فرغ من صلاته، وخرج إلى بيته فتبعته وهناك أسمعني من القرآن . حتى امتلأ قلب الطفيل الدوسي بالإيمان وأسلم، وكلفه رسول الله ﷺ بدعوة قومه إلى الإسلام فأسلم والده وبعض قومه، أما بقية دوس فاستعصوا عليه زمناً، ثم أسلموا بعد أن دعا لهم رسول الله ﷺ[2].

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٣٩١ - ٣٩٢.

(٢) سيرة ابن هشام ص٣٨٢.

الوشاية عند النجاشي :

لما خرج جماعة من المسلمين إلى الحبشة مهاجرين، فوجدوا فيها الأمن على أنفسهم ودينهم، عز على أهل البغي والظلم من مشركي مكة أن يتركوهم وشأنهم، وسولت لهم أنفسهم ووسوس لهم الشيطان أن يمشوا بالنميمة إلى النجاشي ملك الحبشة، فأرسلوا الرسل بالهدايا والطرف له ولحاشيته، ثم بلغوه بوشايتهم الكاذبة المخادعة، وأخذوا يزيفون الحقائق ويشوهون صورة الإسلام عنده، وزعم له عمرو بن العاص أن المسلمين يقولون في عيسى ابن مريم وأمه قولاً سيئاً فاستدعاهم النجاشي وسألهم في ذلك وسمع منهم منهم القرآن وما يقولون في عيسى ابن مريم ، واقتنع بكذب رسل قريش واعترف بأن الإسلام من عند الله، حتى لقد قيل إنه أسلم، وإن النبي ﷺ أخبر بموته وصلى عليه صلاة الغائب[1].

ومن الحرب النفسية والدعائية إغراء بعض الشعراء وإغوائهم بالمال وغيره ليسلطوا شعرهم بالهجاء على الإسلام والمسلمين والنبي ﷺ ، وقد كان للشعر أثره الكبير في نفوس العرب تلك الأيام، أثر يعدل الصحافة والإذاعة والشاشات في أيامنا هذه، بل ربما أثر أعظم منها .

(١) سيرة ابن هشام من ص ٣٣٣-٣٣٨.

كما حاربت قريش ومن شايعها من أهل الشرك المسلمين بالأيدي والحجارة وغيرها من أدوات الأذى والقتال والقتل، وكما سلطوا عليه ﷺ وعلى أصحابه ألسنتهم تبث ضدهم الدعايات المسمومة، وتشيع عنهم الأباطيل والأكاذيب كذلك كما كانوا يحذرون الغرباء الوافدين إلى مكة من محمد وسحره وكذبه .

استخدموا السلاح الأخير . . حرب الأرزاق والأموال والتجويع عسى أن يؤثر ذلك في هذه النفوس المؤمنة، فتكف على الأقل عن إعلان إسلامها والدعوة إليه فيندثر كما اندثرت دعوات أخرى سبقته أو يتحجم في نطاق محدود كما تحجمت أديان سبقته إلى جزيرة العرب.

المقاطعة : طلب المشركون من بني هاشم أن يسلموهم رسول الله ﷺ ، ليقتله رجل من قريش ، ويدفعوا إليهم الدية مضاعفة، فأبى بنو هاشم ذلك ،وظاهرهم بنو المطلب بن عبد مناف، فأجمع المشركون على مقاطعتهم ومنابذتهم ، وتجمع بنو هاشم وبنو المطلب في شعب أبي طالب، وأمر رسول الله ﷺ من بقي في مكة من المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، وكانت متجراً لقريش وكان عليه الصلاة والسلام يثني على النجاشي ويقول : «إنه لا يظلم عنده أحد» ، فانطلق إليها عامة من آمن بالله ورسوله، ودخل بنو هاشم وبنو المطلب شعبهم، مسلمهم وكافرهم ، فالمؤمن لدينه، والكافر أنفة وحمية .

فلما علمت قريش وأيقنت أن رسول الله ﷺ قد منعه قومه، أجمعوا على مقاطعتهم: لا يبايعونهم ولا يدخلون إليهم شيئاً من الرزق، وقطعوا عنهم الأسواق، ولم يتركوا طعاماً ولا إداماً إلا بادروا إليه واشتروه دونهم، ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم، ولا يقبلون منهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل .

وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة، واستمروا على العمل بما فيها ثلاث

سنين، لم يتورعوا خلالها عن مراقبة مسالك الشعب، حتى يمنعوا من يحاول أن يسرب إليهم شيئاً من طعام أو شراب أو كساء، حتى اشتد الأمر على بني هاشم وبني المطلب حتى كانوا يأكلون العضاه[1]، ويعللون صبيانهم بقطع الأحجار يمصونها ويتعللون بها على الجوع .

فلما كان على رأس ثلاث سنين، واقتضت حكمة الله أن تنتهي هذه المقاطعة، وأن تنقض هذه الصحيفة الظالمة حدثت عدة أمور .

رأى[2] رسول الله ﷺ أن الأرضة قد أكلت الصحيفة وما فيها من الظلم ، ولم يبق منها غير اسم الله، فأخبر بذلك عمه أبا طالب، فاستوثق منه أبو طالب، ثم انطلق في عصابة من بني المطلب حتى أتوا المسجد، فلما رأتهم قريش أنكروا ذلك، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله ﷺ وتكلم أبو طالب وقال : قد جرت بيننا وبينكم أمور نذكرها لكم، فأتوا بصحيفتكم التي فيها مواثيقكم، فلعله يكون بيننا وبينكم صلح فأتوا بالصحيفة ووضعوها بينهم، فقال أبو طالب : إن ابن أخي أخبرني – ولم يكذب – أن هذه الصحيفة قد بعث الله عليها دابة الأرض (الأرضة) ففعلت فيها كذا وكذا، فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا، فلا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان الذي يقول باطلا دفعنا إليكم صاحبكم فقتلتم أو استحييتم ، فقالوا : قد رضينا .

ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام .

وفي نفس الوقت الذي وقعت فيه الأحداث حدث أمر آخر عجل بنقض الصحيفة، فقد تلاوم قوم من قصي ممن لهم رحم في بني هاشم في أمر هذه الصحيفة، فأجمعوا أمرهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر، فوافق هذا الإجماع ما أخبر به رسول الله ﷺ من خبر الصحيفة فنقضت، وبذلك طويت صفحة قاتمة السواد من تاريخ الشرك والوثنية في مكة وبقيت صفحات لابد أن تطوى بمشيئه الله[3].

---

(١) العضاه : نوع من أعظم الشجر وقيل هو الخمط، والمقصود أنهم أكلوا الورق وهو جاف شديد.

(٢) اي اوحي اليه.

(٣) انظر سيرة ابن هشام من ص ٣٧٤-٣٨١.

الهجرَةُ ومرحَلة بِنَاء الأمّة في المدينَة المنوَّرةِ

في الوقت الذي أخذت قريش تشدد من قبضتها على المسلمين في مكة المكرمة، وتضايقهم وتحمل المسلمين ألواناً من العذاب وتذيقهم ويلات التنكيل بجميع صنوفه وألوانه من ضرب وتعذيب ومصادرة للأموال، وحصار وتآمر وحرب نفسية وإعلامية في هذا الوقت وفي هذا الجو المشحون بالمتناقضات والصراغ المحتدم بين الإسلام وقيمه ونظامه ومبادئه، والجاهلية وشركها، وفسادها، وفوضويتها، التقى رسول الله ﷺ بوفد الحجاج من يثرب مرتين في عامين متتاليين، وتتم البيعة عند العقبة على إيواء الإسلام وأهله، ونصرته والذود عن حياضه.

ضاق المسلمون صدراً بالحياة في مكة وسط هذه المكائد والمؤامرات، فوجدوا في هذه البيعة الحل الأمثل، والفرصة المواتية للهجرة بدينهم وقيمهم إلى مجتمع جديد، ومكان جديد، حيث يجدون الأمن والأمان على أنفسهم، ودينهم وأعراضهم، وأموالهم.

أخذ النبي ﷺ يمهد لهذه المرحلة الجديدة الحاسمة في بناء مجتمع الأمة الإسلامية الناشئة، فأرسل مصعب بن عمير مع من بايعوه من اليثربيين ليعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، ويدعو إلى الإسلام وعقيدته النقية الطاهرة، ويدعوهم للتحلي بمكارم الأخلاق وطهارة النفوس، فدخل في الإسلام على يديه عدد كبير من أهل يثرب، وأصبح الأنصار مستعدين لاستقبال النبي ﷺ والمسلمين على الرحب والسعة.

أذن الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه بالهجرة للمرة الثالثة بعد هجرتي الحبشة وقد استخدم أعداء الإسلام من مشركي مكة سلاح المصادرة في حربهم الاقتصادية ضد المسلمين، فكانوا يستولون على أموال كل مسلم يهاجر ويصادرونها لصالح أقاربه من غير المسلمين أو لصالح أوليائه إذا كان من الموالي، ولا يتركون أحداً من المسلمين يخرج بماله قط، وقد استولى أبو جهل بن هشام على دار سعد بن أبي

وقاص بعد هجرته إذ أعجبته فصادرها وأقام فيها.

وهذا صهيب الرومي التاجر الماهر، الذي تحمل بعد إسلامه الأذي وقاسى من نكال قريش ما لو نزل بجبل لهده، تحمله بنفس مطمئنة صابرة تحتسب ما تعاني عند الله سبحانه وتعالى، فلما أذن الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه بالهجرة خرج صهيب يريد الهجرة إلى المدينة، فمنعته قريش، وأقامت عليه الرقباء حتى لا يفلت بماله الذي جمعه من تجارته، فلجأ إلى الحيلة، ففي ليلة باردة أكثر من الخروج إلى الخلاء، كأنه يقضي الحاجة، فظن رقباؤه أنه مريض يعاني من داء البطن، فناموا وأسلموا عيونهم للرقاد، فتسلل صهيب من بينهم ويمم وجهه شطر المدينة، ولكنهم فطنوا إليه بعد قليل فأسرعوا إليه وخيولهم تنهب الأرض حتى أدركوه، ولم ينج منهم إلا أنه صعد على مرتفع وهددهم أن يرميهم بالنبال- وكان رامياً ماهراً - ثم ساومهم على أن يتركوه ويدلهم على المكان الذي خبأ فيه ماله، فرضوا بذلك، وتركوه بعد أن دلهم على مكان المال في بيته، وما أن رآه رسول الله ﷺ حتى قال : «ربح البيع يا أبا يحيى، ربح البيع»[1].

هذه أمثلة أوردتها للدلالة على أسلوب قريش ومن ظاهرها في حرب الرسول ﷺ والمسلمين والحوادث في ذلك كثيرة لو شئنا أن نتتبعها لاحتاجت إلى مجلدات، ومع ذلك نجد من يتهم الإسلام والمسلمين الذين لم يرفعوا سيفاً ولا عصاً لمدة ثلاثة عشر عاماً وقعت فيها آلاف الحوادث من أمثال ما ذكرنا في هذا المبحث يتهمهم بالعدوان ويدعي أن الإسلام انتشر بالسيف وأن خروج المسلمين لبدر وغيرها كان للنهب والسلب وجمع المال وإشباع الجوع.

ولا يفوتني هنا أن أنبه أن قريشاً بعد كل هذا الذي صنعته في مكة لحرب الإسلام والمسلمين لم يكفها كل ذلك بل أغرت الشذاذ والأفاكين والصعاليك بالإغارة على سرح المدينة ونهب أموالها وزروعها وماشيتها ثم التدمير والحرق وإفساد الآبار زيادة في إضعاف المسلمين بتدمير مصدر رزقهم ومواردهم الاقتصادية.

---

(١) سيرة ابن هشام ص٤٧٧.

ولعل غيور يسأل : لماذا لم يرد المسلمون على هذه الحرب بحرب مثلها يذودون بها عن أنفسهم ويحمون بها دعوتهم أليسوا على الحق؟ أليس الله معهم وناصرهم؟

امتنع المسلمون عن الدخول في حرب مع المشركين في مكة قبل الهجرة لعدة أسباب :

١- طاعة لأمر الله ورسوله، فقد كان ﷺ يجيب كل من يطلب من المسلمين الرد على المشركين وقتالهم بقوله «لم نؤمر القتال»..

نعم كان هذا الامتناع لأن الله تعالى لم يأذن لهم، وما كان هذا الامتناع إلا خطة مرحلية أرادها الله عز وجل واقتضتها ظروف الحياة في مكة عامة وظروف المسلمين خاصة، فقد كان رسول الله ﷺ يستطيع في ظل أقسى الظروف أن يبلغ رسالته في حماية من أهله وعشيرته من بني هاشم، حيث لم يكن في ذلك الوقت في مكة سلطة منظمة تستطيع السيطرة على المجتمع بأسلوب الحكومات الحديثة، فتحول بينه وبين البلاغ.

٢- المرحلة المكية كانت مرحلة إعداد وتربية للفرد المسلم الناشئ في هذه البيئة وسط هؤلاء القوم، تربية نفس المسلم على الصبر وتحمل المشاق والشدائد، تربيته على ضبط النفس، فلا يندفع عند اول مهيج كما هي طبيعة العربي، بل يتعود الاعتدال في طبعه وتجاوبه مع المواقف والأحداث.

٣- تعويد الفرد المسلم على الانسجام مع روح الجماعة، فلا يتصرف من تلقاء نفسه، بل يخضع في جميع تصرفاته لأمر القائد والاتساق والتوافق مع روح المجتمع المسلم المتحضر المترقي.

٤- وربما كان من أسباب الامتناع عن القتال في هذه المرحلة أن تأثير الدعوة السلمية بالحكمة والموعظة الحسنة أبعد أثراً في نفوس العرب القرشين وما تطبعوا عليه من العنجهية وحب السيادة، فقد يدفعهم القتال إلى التمادي في العناد والمكابرة، فتكون ثارات تترك أثرها إلى سنين طويلة، وترتبط في الأذهان والنفوس باسم الإسلام فلا تنسى له أبداً.

٥- وقد كان من المحتوم أيضاً لو أذن للمسلمين بالقتال دفاعاً عن أنفسهم في مكة أن يقع القتل والقتال بين الأب وابنه، والأخ وأخيه، والمولى ووليه.. إذ هم ﷺ الأهل الذين يقومون بتعذيب أبنائهم لصدهم عن الدين، فتصبح دعاية مسمومة ضد الإسلام عند العرب، وتصدق بذلك أقاويلهم التي كانوا يتقولونها : لقد ردد أعداء الإسلام أن محمداً يفرق بين الوالد وولده، والزوج وزوجه، والأخ وأخيه، والعبد ومولاه، من غير أن تقع بينهم حرب، فكيف يكون الشأن لو قاتل هؤلاء وقتلوا من أهلهم وأقاربهم.

لا شك أن ضرراً بليغاً كان سيلحق الدعوة الإسلامية لو وقعت مثل هذه الحرب في هذه المرحلة المبكرة وقتل الأخ أخاه والوالد ابنه.

٦- سبق في علم الله سبحانه وتعالى أن كثيراً من المعاندين اليوم الذين يفتنون المسلمين اليوم، سيصبحون غداً من أحسن الناس اثراً وأشدهم نفعاً في نصرة الإسلام، وإرساء دعائمه بل إن منهم من سيكون من قادته وجنده المخلصين، الذين يسيرون به إلى النصر والانتشار وعلو الشأن وحسبنا عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد مثلاً.

٧- تختلف البيئة القبلية العربية عن غيرها من المجتمعات المنتسبة إلى الحضارة والمدنية، ونرى أهل النخوة والمروءة في مثل العرب يهزهم ويحرك مشاعر النجدة عندهم صمود المظلوم وثباته على الحق، غير مبال بما يقع عليه من الأذى، فتتحرك إلى تقديم المساعدة له، كما حدث من ابن الدغنه مع الصديق أبي بكر حين أراد الخروج من بلده مهاجراً، فقد عز عليه أن كريماً كأبي بكر يترك بلده مهاجراً، فعرض عليه جواره، بينما نرى بيئات أخرى ترى هذا الثبات والصمود مدعاة للسخرية والاستهزاء.

٨- وكانت قلة عدد المسلمين في هذه الفترة وانحصارهم في مكة تقريباً من العوامل التي كانت ترجح عدم القتال حتى لا تعطي الفرصة لأعدائهم للقضاء عليهم

وعلى الدعوة في مهدها، وشاءت إرادة الله أن يتأخر القتال إلى يوم بدر حين أذن الله، والله غالب على أمره، ومتُم نوره وناصر رسوله ومهلك عدوه ولو كره المشركون ولكن أكثر الناس لايعلمون.

هذه إرهاصات غزوة بدر والمقدمات التي ساقت إليها والتي ارادها الله رداً حاسماً وردعاً عادلاً كسر فيه شوكة المشركين وأعز المسلمين ونصرهم وأيد رسوله ﷺ وثبته وجعلها فتحاً مبيناً ونصراً خالداً وفوزاً عظيماً.

صورة لمسجد العريش

وقد تميزت الهجرة إلى المدينة بميزات :

أولها : كونها داخل الجزيرة العربية، بالقرب من مكة، على طريق القوافل.

ثانيها : أنها هجرة شاملة تجمع جميع المسلمين المهاجرين والأنصار في صعيد واحد في يثرب (المدينة المنورة) حول الرسول الكريم ﷺ.

ثالثهما : أنها تمهيد وإعداد لقيام الأمة الإسلامية الموحدة الواحدة على أسس متينة من التقوى والمحبة والسماحة والإيثار ينهلون من منهل الإسلام العذب، ويجدون في نبيهم عليه الصلاة والسلام القدوة والأسوة الحسنة، وفي القرآن دستوراً تحتكم إليه أمة الإسلام في كل العصور، وفي جميع أقطار العالم الإسلامي.

هاجر المسلمون إلى يثرب زرافات ووحدانا ونزلوا بها ضيوفاً كراماً يلقون كل الترحيب من إخوانهم الأنصار الذين وصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾. (الحشر : ٩).

ثم هاجروا وتركوا أرضهم وديارهم وأموالهم، وليس هناك ما هو أشد مرارة على الحر من أن يترك وطنه ومسقط رأسه مكرهاً أو مضطراً، فكيف إذا كان الوطن هو أحب أرض الله إلى الله.

المجتمع الإسلامي الجديد في المدينة المنوّرة

منذ اليوم الأول لوصول النبي ﷺ إلى المدينة بدأ منهجاً عبقرياً فريداً لوضع أسس ودعائم قيام الأمة الإسلامية، والمجتمع الإسلامي القوي المترابط المتطور، الذي يرسي قواعد الحضارة الإسلامية التي ستسود العالم وتضمن سعادة البشرية بعد ذلك، فاتخذ عليه الصلاة والسلام عدة خطوات واقعية عملية تتلاءم مع الظروف السائدة في يثرب آنذاك، كما تلائم التطورات المتوقع حدوثها في هذا المجتمع في ظل الدولة الإسلامية .

ترتيبات قيام المجتمع الإسلامي في المدينة :

أولاً : تأصيل وحدة الفكر التي أوجدتها وحدة العقيدة : فكل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتلك هي كلمة التوحيد التي التّفت القلوب حولها، وأصبح تعميق مفهومها ونشر الإيمان بها هدفاً لجميع المسلمين وغاية يسعى الجميع للوصول إليها، فتقاربت العقول وتوحدت المشاعر والأهداف .

ثانياً : بناء المسجد : بنى عليه الصلاة والسلام المسجد في المكان الذي بركت فيه ناقته بأمر من رب العزة «دعوها فإنها مأمورة» ، هذه عبارة قالها ﷺ لمن اعترض طريق ناقته من الأنصار ليميل بها إلى ديار قومه لينزل ضيفاً عليهم، وسارت حتى بركت في المكان الذي بنى فيه مسجده بعد أن اشترى الأرض من أصحابها، ولم يقبلها تبرعاً، وشارك عليه الصلاة والسلام أصحابه العمل في بناء المسجد، وعمل كواحد منهم، فقدم لهم المثل والأسوة في أكثر من ناحية .

كما أشعرهم أن للعمل قيمة عظيمة يشرف كل إنسان أن يوصف بأنه عامل وأن يكون له دوره في بناء الحياة .

أما المسجد في ذاته فقد كان دعامة أساسية من دعامات بناء المجتمع الإسلامي

الجديد يؤدي عدة وظائف هامة في حياتهم :

أ-أداء الصلاة في جماعة، وصلاة الجماعة ترمز إلى وحدة الأمة الإسلامية ووقوف المسلمين جميعاً في صف واحد متراص متماسك كأنه البنيان المرصوص، وصف الصلاة خلف الإمام يعود المسلمين على النظام ويعلمهم الطاعة وحسن الإقتداء .

ب- المدرسة التي يتعلم المسلمون فيها أحكام دينهم، ويتلقون القرآن ويتعودون مكارم الأخلاق .

ج- مجتمع المسلمين للتشاور في أمور دينهم ودنياهم، والتناصح فيما بينهم.

د- دار العدالة : حيث يجلس عليه الصلاة والسلام للفصل في المنازعات والحكم في القضايا بما أنزل الله في كتابه هو أو من ينوب عنه في أمر القضاء بين الناس .

هـ- ديوان الحكم : حيث يملي عليه الصلاة والسلام رسائله، ويرسل رسله ووفوده، ويستقبل الوفود، وتحرر المعاهدات والعهود .

و- تدوين القرآن : في المسجد كان يتم تدوين ما ينزل من كتاب الله حيث يقوم كتاب الوحي بكتابة ما يتلى عليهم من القرآن .

ز- دار القيادة : حيث تعقد الألوية، ويولى القادة، وتوجه السرايا والبعوث، ويعد الجنود إيمانياً ونفسياً وجسدياً بالتدريب والحث عليه .

وفي الجملة . . كانت جميع الأمور الهامة التي تهم المجتمع الإسلامي تتم في المسجد، فقد كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مقراً لجميع السلطات - طبقاً للمفهوم الحديث - السلطة التشريعية (عن طريق الوحي) السلطة القضائية - السلطة التنفيذية - حتى المسائل المالية والاقتصادية من تلق لأموال الزكاة وغيرها وتفريقها في المسلمين كان يتم من خلال المسجد، فالمسجد هو أهم مؤسسة في هذه الدولة الناشئة ، التي لم تكن في حاجة إلى كثير من الموظفين والدواوين .

ثالثاً : المؤاخاة بين المسلمين :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ (الانفال: ٧٢).

قال عليه الصلاة والسلام : « تآخوا في الله أخوين أخوين» ، أو كما قال . آخى رسول الله ﷺ بين المسلمين على الحق والمساواة، فجعل علياً أخاه وأبا بكر وعمر أخوين، وحمزة وزيد بن حارثة أخوين، وعثمان وعبد الرحمن بن عوف أخوين، والزبير وابن مسعود أخوين، وعبادة بن الحارث وبلال أخوين، ومصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص أخوين، وأبو عبيدة ابن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة أخوين، وسعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله أخوين، ثم آخى بين الأنصار، والأنصار والمهاجرين بعد الهجرة . لا فرق بين الغني والفقير، والسيد والمولى، فالكل في رحاب الإسلام سواء، فحلت هذه المؤاخاة محل ما كان يعرف بالجاهلية بالحلف، وأذابت الفوارق الاجتماعية والقبلية بين المسلمين، وصاروا بها إخوة متحابين متساوين في جميع الحقوق والواجبات، وليس بينهم إلا الفروق الفردية التي قد تكون بين الأخ وأخيه ابن أمه وأبيه، ولم يكن ذلك عسيراً أو عجيباً، فقد جمعت بينهم قبل ذلك أخوة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) جمعتهم على وحدة العقيدة والفكر والهدف .

وقد أسفر هذا التآخي عن المعادن الطيبة البالغة النقاء كما أسفر عن الأخلاق السامية النبيلة التي تحلى بها المسلمون - المهاجرون والأنصار- فهؤلاء هم الأنصار يُعرضون على رسول الله ﷺ أن ينزلوا عن نصف ما يملكون من الأراضي والزروع، فلا يقبل منهم ذلك، ويكتفي منهم بأن يتقاسموا الثمار مع إخوانهم المهاجرين، فينزل الوحي بصفتهم ومكانتهم عند ربهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾ (الحشر : ٩).

وأظهرت هذه المؤاخاة خلق العفة في المهاجرين الفقراء بل المعدمين بعد أن تركوا

مالهم وديارهم، وخرجوا إلى الله ينصرون دين الله ويعلون كلمته، فقد اعتذر كثير منهم ولم يقبلوا هبات إخوانهم الأنصار، وآثرت نفوسهم الزكية أن تعيش من عملها وكسب يدها مهما كان قليلاً، كما فعل عبد الرحمن بن عوف حين طلب من أخيه الأنصاري سعد بن الربيع أن يدله على السوق، وباع واشترى، وربح واستعاد ثروته بعد زمن قليل في المدينة، وهكذا بارك الله للمؤثر والمتعفف ورضي الله عنهم جميعاً ورضوا عنه .

هذا، وقد ظل التوارث بين الأخوين بمقتضى هذه الأخوة حتى نزل قول الله تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الأنفال : ٧٥)فنسخ الحكم .

وقد صهرت المؤاخاة المسلمين جميعاً، وأذابتهم في بوتقة الإسلام فصاروا أسرة واحدة متعاونة مترابطة، كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، لا عصبية إقليمية، ولا قبلية ولا طبقية ، ولكنه مجتمع واحد أفراده متساوون .

وبذلك صارت المدينة تضم بين جنباتها : المسلمين المهاجرين والأنصار، واليهود – وهؤلاء كانوا قد وفدوا إلى المدينة من زمان بعيد وأقاموا ينتظرون نبي آخر الزمان الذي حدثتهم عنه التوراة وأخبرت أنه سيظهر في يثرب، وكانوا يرجون أن يكون منهم، ويتهددون به الأوس والخزرج، ويقولون إنّه سيظهر وسيذبحونهم تحت لوائه، فلما ظهر تنكروا له وبعض من بقي على شركه من أهل يثرب – وترك كل على حاله، فلا إكراه في الدين، ولكن لا بد من تنظيم العلاقة بين الطوائف الثلاث حتى يعيش الجميع في سلام بعد أن تعرف كل طائفة ما لها وما عليها، وحتى تتحقق الحكمة من الهجرة وترك مكة، أحب أرض الله إلى رسول الله ﷺ ، بأن يجد الإسلام مناخاً صالحاً لتبليغ الرسالة المحمدية دون أن توضع في طريقها العوائق والعراقيل – كما كان المكيون يفعلون – فيدخل في الإسلام من شاء عن اقتناع دون أن يخشى شيئاً من المعاندين المكابرين.

رابعاً : من أجل هذا عقد معاهدة مع اليهود ليأمن شرهم وليجعل العدو واحداً في المرحلة الأولى : عقد ﷺ معاهدة بين سكان المدينة من المسلمين واليهود ومن بقي على شركه من أهل يثرب بين فيها حقوق كل طائفة وواجباتها في هذا المجتمع الجديد .

نصُّ مُعَاهدَةِ الرسول ﷺ لأَهلِ يَثرِب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«هذا كتاب محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش، وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم[1] يتعاقلون[2] بينهم، وهم يفدون عانيهم (أسيرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين . - وبنو عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها (أسيرها) بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

- وبنو الحارث (من الخزرج) على ربعتهم يتعاقلون (تلزمهم الديات التي تجب على بعضهم) معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- وبنو ساعدة على ربعتهم (حالهم) يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- وبنو جُشم على ربعتهم (حالهم) يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- وبنو النجار على ربعتهم (حالهم) يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم (حالهم) يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

(١) على ربعتهم أي على حالتهم.

(٢) يتعاقلون: التعاقل هو أداء الدية لأولياء القتيل وتدفعه قبيلة القاتل.

- وبنو النبيت على ربعتهم (حالهم) يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

- وبنو الأوس على ربعتهم (حالهم) يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

- وإن المؤمنين لا يتركون مُغرماً (مثقلاً بدين كثير العيال) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل .

- وألا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

- وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة (عظيمة) ظلم، أو إثماً، أو عدواناً، أو فساداً بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم .

- ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافر على مؤمن .

- وأن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .

- وأنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

- وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .

- وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً .

- وأنَ المؤمنين يبي ء(يتميز)بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله .

- وأن المؤمنين المتقين على أحسن هُدى وأقومه .

- وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن .
- وأنه من اعتبط (قتل بلا جناية) مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به (يقتل به) إلا أن يرضي ولي المقتول بالعقل، وأن المؤمنين عليه كافة لا يحل لهم إلا قيام عليه .
- وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثاً أو يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولاعدل (توبة) أو فدية .
- وأنكم مهما اختلفتم في شيء، فإنَّ مرده إلى الله وإلى محمد .
- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .
- وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته.
- وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف وأنَّ ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .
- وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف ٠ وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته .
- وأن جفنه – بطن من ثعلبة – كأنفسهم .
- وأن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف . وأن البر دون الإثم .
- وأن موالي ثعلبة كأنفسهم .
- وأن بطانة يهود كأنفسهم .
- وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد .

- وأنه لا ينحجز على ثأر جرح، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته، إلا من ظلم ، وأن الله على أبر هذا .

- وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم .

- وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح، والنصيحة، والبر دون الإثم .

- وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه . وأن النصر للمظلوم .

- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

- وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

- وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .

- وأن لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها .

- وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ ، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره .

- وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها .

- وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .

- وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .

- وأن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره .

- وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ﷺ أ.هـ.[1]

وقد تضمنت هذه الصحيفة المبادىء التي تضمن استقرار الأمور في المدينة، وتقطع الطريق على كل خلاف أو فتنة يمكن أن تقع بين أهلها، كما حددت الأسس التي تقوم عليها العلاقة بين الطوائف المختلفة فيها .

ويمكن أن نلخصها فيما يلي :

أ - رئيس الدولة الإسلامية الأولى وقائد الأمة هو الرسول عليه الصلاة والسلام حيث صارت له جميع السلطات في المدينة، يحكم فيها ويقررها بما أنزل الله في كتابه وما يتفق مع مصالح الأمة الإسلامية الناشئة .

ب - تأكيد حرمة المدينة لأهلها كما حرمت مكة وتوضيح حدودها.

ج- المسلمون جميعاً : المهاجرون والأنصار، العرب وغير العرب، الأحرار والأرقاء، الأغنياء والفقراء، مهما اختلفت شعوبهم وألوانهم أمة واحدة، فقد حل مبدأ الأخوة الإسلامية محل العصبية القبلية والإقليمية .

د- نظمت هذه الصحيفة مبدأ القصاص، فحرمت الثأر، وجعلت عقوبة الجنايات في يد الجماعة وسلطتها، تقتص من الجاني وفقاً لأحكام الله ، وبذلك قضت على الحروب الداخلية والعداوات بين القبائل، وساعد ذلك في القضاء على العصبيات .

هـ - حققت المعاهدة التضامن بين المسلمين جميعاً في حالتي السلم والحرب كما حققت التضامن بين المسلمين ومواطنيهم سكان المدينة من أهل الأديان الأخرى، وبذلك أصبح لهذه الجماعة (من حيث كونها جماعة ذات شخصية دينية

(١) السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة للدكتور محمد بن محمد أبي شهبه ص ٥٧-٥٩ج٢ ص ٥٧-٥٩ سيرة هشام ص ٥٠١-٥٠٤.

سياسية) حقوق على الأفراد جميعهم لتأمين سلامة المجتمع ، فهم مسؤولون عن الدفاع عنه وعن المدينة وحماية حدودها.

و- أبقت المعاهدة على الأعراف الحميدة التي كانت معروفة عند العرب في الجاهلية، ورأى فيها الإسلام خيراً ومصلحة للأفراد والجماعة معاً .

فقد أبقت المعاهدة على مسئولية الجماعة المسلمة المهاجرة عن جميع أفرادها تتحمل معهم الديات والمغارم، وتشاركهم السراء والضراء ، كما أوجبت على كل قبيلة أن تتحمل المغارم والديات والمسئوليات الاجتماعية عن جميع أفرادها .

كما أبقت ما كان معروفاً من حق الإجارة، وأمضته إلا في حالة واحدة ، فلا يجوز أن يجار مشرك من قريش ومن ظاهرها، ولا أن يدافع عنه أو عن ماله، والسبب في ذلك لا يحتاج إلى بيان .

ز- تقرير حرية العبادة لجميع مواطني المدينة : المسلمين وغير المسلمين، مع إتاحة الفرصة وعدم التصدي للراغبين في الدخول في الإسلام عن طواعية واختيار .

خامساً : تحويل القبلة :

كان المسلمون يصلون إلى بيت المقدس في أول العهد بالصلاة، وكان ﷺ يصلي في مكة ويجعل الكعبة بينه وبين المقدس، ويتمنى أن تحول القبلة إلى بيت الله الحرام، حتى أذن له بالتحول إليها في السنة الثانية للهجرة ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (البقرة : ١٤٤).

جاءت هذه الآية الكريمة لتحقق للنبي أمنيته باتخاذ الكعبة المشرفة قبلة للمسلمين، وفي نفس الوقت أخرست ألسنة المغرضين المغالطين من اليهود والنصارى حيث كانوا يقولون : ما بال محمد يخالف ديننا ويتبع قبلتنا، لولا نحن ما عرف كيف يتجه في صلاته، ما بال محمد يدعي ملة إبراهيم ويخالف كعبته .

وقد أصبح اتخاذ المسلمين الكعبة الشريفة قبلة لهم في صلاتهم، يتوجهون إليها بوجوههم وقلوبهم خمس مرات كل يوم أصبح رمزا حياً لوحدة المسلمين واجتماع قلوبهم على كلمة الله وهديه ودينه، كما كان هذا التحول امتحاناً لقلوب المسلمين ومدى إيمانهم بالله ورسوله ومدى طاعتهم لله وللرسول، وأظهر المنافقين من بينهم .

اتخذ الرسول ﷺ هذه الإجراءات لتقوم دولة الإسلام على أسس متينة ثابتة واضحة المعالم، وليتحقق الأمن والأمان للأمة الإسلامية في مقرها الجديد (المدينة المنورة)، ويتم تأمين الجبهة الداخلية بسد جميع الثغرات التي قد تتسرب منها الفتنة بين القبائل والطوائف .

وبذلك يتفرغ الرسول ﷺ لنشر الدعوة وتبليغ الرسالة في داخل المدينة وخارجها بالحكمة والموعظة الحسنة.

غير أن قريشاً ومن ظاهرها لم تطب نفوسهم ولم تشف حقدهم هجرة الرسول وتركه مكة لهم ، فقد كانوا يريدون قتله للقضاء على الدين الجديد .

فكيف بهم وقد أصبحت له قاعدة ومقر تنطلق منه الدعوة في كل ناحية دون عائق، لقد ثارت ثائرتهم وجن جنونهم واستشعروا الخطر من هذه الخطوات الموفقة التي اتخذهاﷺ ، فضاعفوا جهودهم لإجهاض هذه الخطوة قبل أن تؤتي ثمارها، فشددوا قبضتهم على من بقي في مكة من المسلمين، وضاعفوا لهم النكال، رجاء أن يفتنوهم عن دينهم ويردوهم إلى الشرك والكفر، كما أغروا صعاليكهم بالإغارة على سرح المدينة وزرعها للنهب والسلب والفرار، وقعدوا بالمرصاد لكل من يريد أن يلحق بالنبي في المدينة ليسمع القرآن، ويعرف الإسلام، يصرفونه عن وجهته بكل الوسائل، بالتخويف من الإسلام والنبي، بالتهديد والوعيد، بالإغراء بالمال والهدايا.

وصدوا المسلمين عن بيت الله الحرام ومنعوهم من العمرة والحج .

أصبح السكوت على هذه الحال أمراً مذلا للمسلمين لا يطيقونه ، وتطلعت نفوسهم

أن يؤذن لهم بالقتال إحقاقاً للحق، ورفعاً للظلم، ونجدة للضعفاء المفتونين، وأخذ الرسول ﷺ يستعد لهذا اليوم، فأخذ يحث أصحابه على اقتناء الخيل والسلاح والتدريب على الرمي والفروسية والمبارزة، وأخذ يرسل أصحابه يرتادون المسالك والوديان والجبال حول المدينة ليتعرفوا عليها وعلى القبائل النازلة بالقرب من المدينة ليحسب لكل موقف حسابه، واستعداداً للأيام القادمة، فأعد المسلمين جسدياً ونفسياً وروحياً وإيمانياً، وأصبحت أمة الإسلام كلها أمة واحدة متماسكة تبذل النفس والمال في سبيل إعلاء كلمة الله وبدأ النبي ﷺ بإرسال السرايا، وخرج هو ﷺ في بعض الغزوات وتحرك تحركات استراتيجية موفقة وكان كل ذلك قبل بدر، وجاءت بدر لتكون خاتمة المطاف، وبداية الانطلاقة الجديدة، والفتح الذي توالت بعده الانتصارات فدعونا الآن نستعرض جوانب تلك الغزوة المباركة.

إرهَاصَات غزوَةِ بَدر

خلال المدة التي انقضت بين هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة وموقعة نخلة – خمسة عشر شهراً تقريباً – كان عليه الصلاة والسلام قد كوّن الأمة وحصّن وطنها – المدينة المنورة – بالإيمان والأخوة وروح الفداء، وجمع الناس جميعاً على شريعة واحدة وعرف واحد في التعامل، وأدخل قبائل الحجاز (جهينة وبلي وضمرة) في حلف المدينة أو في الإسلام حسبما يتيسر ذلك. وأوقف التجارة المكية إلى الشام أو كاد، فبض بذلك على عنق أهل مكة. فخرج بنفسه في عدة غزوات صغيرة، وأرسل أصحابه في بعوث، وإن كانت هذه الغزوات والبعوث – أغلبها – لم تلق كيداً، ولكنها أشعرت قريشاً وقبائل الحجاز بتحول المسلمين عن سياسة المهادنة والملاينة إلى سياسة المواجهة العسكرية والاقتصادية، ووقف غارات صعاليك العرب على المدينة وسرحها، بل الخروج بجيش لاسترداد بعض الحق المسلوب، أو لوقف التعرض لرسل النبي ﷺ ودعاته وللراغبين في دخول الإسلام، فكانت هذه السرايا الأربع[1]، والغزوات الأربع[2] تمهيداً لغزوة بدر وما بعدها، وتدريباً وتمريناً للمسلمين قبل الدخول في المعارك الكبيرة (مناورات بعرف المحدثين) واستكشافاً وفحصاً ودرساً لدروب الصحراء من حول المدينة وموقف القبائل من المسلمين، وربما لتأليف رجال القبائل ومهادنتهم وإدخالهم في الإسلام أو في حلف الإسلام، فأصبحوا إما مسلمين وإما معاهدين. وانطلق أصحابه ﷺ يجولون في الصحراء حول المدينة، يعلنون أن أمة الإسلام قد بزغ فجرها وانبثق نورها.

(١) سرية حمزة بن عبد المطلب وسرية عبيدة بن الحارث وسرية سعد ابن ابي وقاص وسرية نخلة.

(٢) غزوة ودان وبواط وغزوة بدر الأولى وغزوة العشيرة.

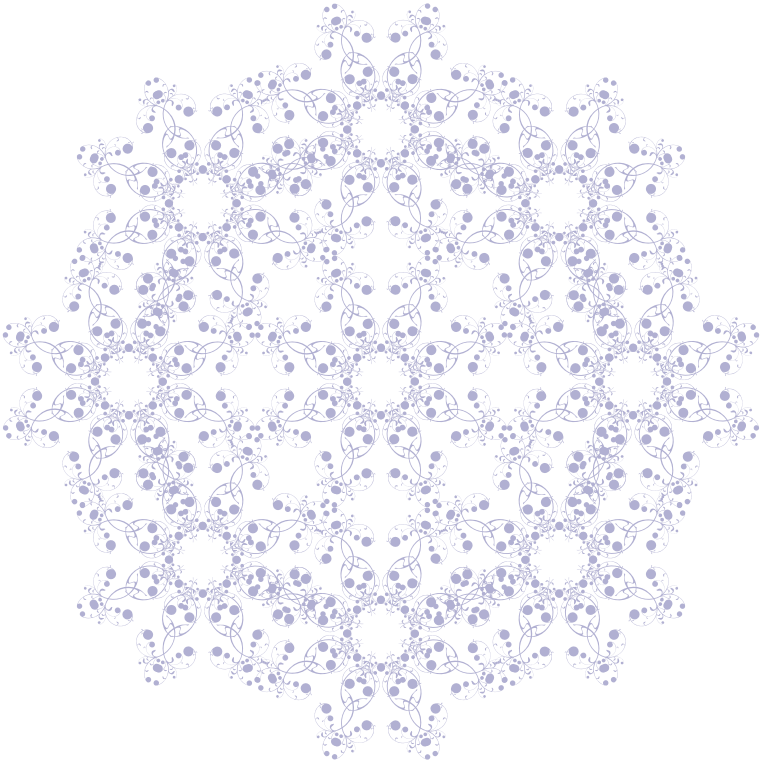

ويقال لها بدر العظمى، ويقال لها بدر القتال، ويقال لها بدر الفرقان، لأن الله فرق بها بين عهدين للمسلمين، ولأن الله فرق بها بين الحق والباطل، وهي أول معركة يخوضها المسلمون ضد كفار مكة في جيش منظم، فقد كانوا كما هو معروف يلتزمون الهدوء والسلام، والدعوة إلى الله بالحسنى إذ لم يؤمروا بقتال ولم يؤذن لهم فيه. فما إن نزلت الآية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وتجمعت الأسباب الداعية لوقوع المعركة في المكان والوقت اللذين اقتضتهما مشيئة الله حتى تحركت جيوش النور والإيمان من المدينة المنورة لسبب غير القتال، وتحركت جيوش الكفر والظلام من مكة لنجدة أبي سفيان، وكانت مشيئة الله. أما الأسباب التي تجمعت وجعلت وقوع معركة بدر أمراً محتوماً، فيمكن أن نوجزها فيما يلي :

أولاً : تطور الصراع بين الحق المسلم والباطل الكافر، وخروجه من طور الملاينة والمحاسنة والجهاد بالدعوة إلى الله بالحسنى وتحمل أذى المشركين والصبر عليه إلى المواجهة ورفض ظلم المكيين المشركين خاصة بعد أن اشتد الأذى لمن بقي من المسلمين في مكة.

ثانياً : استولى المشركون على دور المسلمين في مكة وأموالهم بعد هجرتهم ولا بد للمسلمين من التفكير في استعادة هذه الأموال أو جزء منها.

ثالثاً : إحساس قريش بتزايد الخطر من حولها وتهديدها تهديداً كبيراً بعد استقرار المسلمين في المدينة، وإيواء الأنصار للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه، واستعدادهم للتضحية بالنفس والمال للدفاع عن الإسلام.

رابعاً : تمركز النبي ﷺ والمسلمين وسيطرتهم على طريق حيوي لا تستطيع قريش أن تستغني عنه وهو طريق مكة وتجارتها مع الشام.

خامساً : أرسل النبي ﷺ السرايا وخرج بنفسه في بعض الغزوات السريعة إلى ما حول المدينة للاستطلاع والاستكشاف وتأليف القبائل حول المدينة.

ويمكن أن نضيف أموراً دفعت للمعركة بشكل يعتقد فيه كل من اطلع عليها أن المعركة واقعة لا محالة ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ (الأنفال : ٧-٨).

خلاصة القول : لابد من وقوع الصدام بين هذين المعسكرين المختلفين المتناقضين، لان التعايش بين الإسلام ونوره والكفر والشرك والظلم والظلام إلى ما لا نهاية من المستحيلات، فالمسلمون يريدون للشرك أن ينتهي من جزيرة العرب، مهما كانت التضحيات والجهود في هذا السبيل.

المشركون المعاندون يريدون القضاء على الإسلام بأي ثمن ليحتفظوا بمصالحهم ونفوذهم في مكة وجزيرة العرب كلها وكانوا هم الذين بدأوا بالظلم والاعتداء وسلب الأموال ومصادرة الحقوق، وكل هذا وغيره في سبيل تخويف أنصار رسول الله ﷺ وأعوانه وإرهابهم والعمل على القضاء على معسكر الإسلام في المدينة المنورة، فكان لابد من خطوات فعالة ومؤثرة وإستراتيجية يقوم بها المعسكر الإسلامي في المدينة المنورة بقيادة رسول الله ﷺ ليُشعر هؤلاء الظالمين بأن المسلمين أصبحوا قادرين على رد الظلم وتعطيل تجارة قريش، وإرهاب قوافلها وشل حركتهم الاقتصادية، وكل هذا إنما يأتي كرد فعل طبيعي ومنطقي على أفعال ومظالم معسكر مكة وما يفعله بصحابة رسول الله ﷺ وأعوانه وقبح الله من يسمي هذا الإجراء قطع طريق لأنه دفاع عن النفس ورد فعل عادل لظلم بين.

غزوَة بَدر الكبرى

رَمضان مِنَ السّنة الثانية مِنَ الهِجرَة

كان رسول الله ﷺ قد خرج في غزوة العشيرة يريد اعتراض عير لقريش خارجة إلى الشام، فمرت القافلة قبل وصوله بأيام ولم يلحقها، فعاد بأصحابه إلى المدينة ينتظر ويتحسس أخبار عودة القافلة من الشام، وأرسل بسبس عيناً ينظر ما صنعت العير بقيادة أبي سفيان، فجاءه وأخبره بقفول أبي سفيان من الشام في قافلة عظيمة فيها ألف بعير محملة بتجارة قريش يحرسها معه ثلاثون أو أربعون رجلاً على أكثر التقديرات في ذلك منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص.

ها قد سنحت الفرصة التي كان ينتظرها المسلمون ليستردوا بعض أموالهم المغصوبة في مكة وأموالهم وديارهم التي تركوها مرغمين كارهين فاستولى عليها أبو جهل وأمثاله من أهل البغي والظلم من قريش.

ولم يكن خروجه لقطع الطريق ونهب الأموال كما زعم المستشرقون المغرضون بل كان عملاً حربياً مشروعاً تقره جميع الشرائع السماوية بل وتقره أعراف الحرب في العصر الحديث، فهؤلاء قوم اعتدى عليهم ونهبت أموالهم وأخرجوا من ديارهم. ثم هذا عدوهم يصر على عداوته لهم ويتمادى في العدوان عليهم وتحريض القبائل على عداوتهم وهذه أمواله التي يتقوى بها عليهم أليس من العدل والحكمة أن يعملوا على إضعافه بالاستيلاء على بعض هذه الأموال ؟ جميع الأعراف الدولية في العصر الحديث تتيح للدولة مصادرة أموال أعدائها المحاربين لها، فضلاً عن كون هذه الأموال لو أخذت تعتبر تعويضاً عن بعض الأموال المنهوبة منهم في مكة.

خروج المسلمين للقاء قافلة أبي سفيان :

دعا رسول الله ﷺ اصحابه من المهاجرين والأنصار للخروج لملاقاة هذه القافلة، وقال لهم : «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها» واستحث كل من كان ظهره حاضراً بالمدينة لسرعة الخروج حتى لا تفوتهم القافلة كما حدث في غزوة العشيرة، ولم ينتظر من لم يكن ظهره حاضراً. على أن بعض أصحابه رغبوا إليه ﷺ في الانتظار حتى تعود ركائبهم من علو المدينة، فقال : «لا إلا من كان ظهره حاضراً ولم ير النبي ﷺ وأصحابه في تخلف هؤلاء بأساً، لأنهم لم يكونوا يتوقعون حرباً ولا قتالاً، بل كانوا يتوقعون لقاء قافلة يحرسها عد قليل (أربعون رجلاً).

خرج المسلمون بعد مضي ثمان ليال من رمضان؟ (قيل تسع وقيل عشر ليال، وقيل اثنتا عشرة ليلة) وسار المسلمون حتى بلغوا بيوت السقيا خارج المدينة أو بئر أبي عتبة على بعد نحو ميل من المدينة وهناك ضرب رسول الله ﷺ معسكره واستعرض من معه وعدهم ورد صغار السن الذين توسم فيهم عدم القدرة على القتال وتحمل مشقة الطريق الطويل. فكان ممن رد : عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب، وأُسيد بن ظُهير، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت.

ورد أيضاً عُمير بن أبي وقاص، وكان عمره يومئذ خمس عشرة سنة أو ستة عشر عاماً، فبكى عُمير فأجازه ﷺ فقاتل وقتل في بدر.

وسار عليه الصلاة والسلام في رفقة تضم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً من أصحابه اختلف في عددهم اختلافاً كثيراً فمن أصحاب السير من عد الذين تخلفوا لعذر وضرب لهم بسهم من الغنائم، ومنهم من عد المشاركين في القتال فقط وأرجح الأقوال أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فقد روي أنه ﷺ عدهم عند الرواء فوجد عدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ففرح بذلك وقال : «عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر».

العريش ومقابر الشهداء في وسط الوادي

عن البراء بن عازب قال : استُصغرتُ أنا وابنُ عمر يوم بدر وكان المهاجرون نُيِّفاً على الستين والأنصار نَيِّفاً وأربعين ومائتين.(أخرجه البخاري)

وكان ممن تخلف، وأسهم له من المهاجرين : عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد أذن له ﷺ ليباشر تمريض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ حتى توفيت، طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بعثهما رسول الله ﷺ يتحسسان له خبر العير فعادا بعد انتهاء المعركة.

وتخلف وأسهم له من الأنصار : أبو لبابة بن عبد المنذر رده رسول الله ﷺ من الروحاء، واستخلفه على المدينة وكان قد استخلف ابن أم مكتوم على الصلاة قبل خروجه.

عاصم بن عدي العجلاني رده عليه الصلاة والسلام من الروحاء، واستخلفه على قباء والعالية من ضواحي المدينة.

الحارث بن حاطب العمري، رده ﷺ من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف ليتحقق من أمر كان قد بلغه عنهم.

مكان القليب الذي ألقي فيه موتى قريش الذين وقف عليهم رسول الله ﷺ وأخذ يناديهم بأسمائهم ويقول لهم بأن الله قد أنجز وعده لنبيه ﷺ لقد وجدنا ماوعدنا الله حقاً، وذكر ﷺ للصحابة اللذين سألوه هل تكلم أمواتاً فقال ما أنتم بأسمع منهم

الحارث بن الصمة، وخوات بن جبير ، كسرا عند الروحاء فقعدا، أما سعد ابن عبادة فقد كان يطوف بيوت الأنصار يستحثهم للخروج، وقد كان حريصاً عليها كما قال رسول الله ﷺ : «لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان حريصاً عليها». وقد تخلف لأنه نهشته حية قبل خروجه، فقعد.

هذا وقد قيل في بعض الروايات، أن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو وقد ضرب لكل منهما بسهم كما روي أن أنس بن مالك قد حضر بدراً على صغر سنه وضرب له بسهم. ومن هنا جاء الخلاف في عدة البدريين، وقد جاء حبيب بن يساف مع أبناء عمومته من المسلمين ليشاركهم في القتال والغنيمة، وكان مشركاً كما كان محارباً قوياً صنديداً ذا غناء وحين رآه سأله رسول الله ﷺ : «تؤمن بالله ورسوله» قال : لا، فرده وقال : «لا ننتصر بأهل الشرك على أهل الشرك» ثم لحقهم مرة ثانية، فسأله عليه الصلاة

والسلام : «تؤمن بالله ورسوله» فقال : لا، فرده مرة ثانية. وفي المرة الثالثة سأله : « تؤمن بالله ورسوله» قال : نعم، وشهد الشهادتين فقبله ﷺ ، وقاتل قتالاً شديداً. وكان بطلاً صنديداً ذا غناء وبأس.

وبعض المحدثين يقولون : إن حبيب بن يساف لحق بالمسلمين بالروحاء مسلماً، وهذه الرواية أقرب على العقل والمنطق. ولا مانع من أن تكون المرة الثالثة التي قبله النبي ﷺ بعدها هي قدومه إلى الروحاء مسلماً.

والذي يهمنا هنا هو الدرس العظيم الذي تعلمناه من رسول الله ﷺ حين رفض أن يستعين بمشرك في هذه المعركة وقال قولته الشهيرة بابي أنت وأمي يا رسول الله حيث قال في إباء وشمم وشعور بالعزة والتأييد من الله عز وجل لا ننتصر بأهل الشرك على أهل الشرك.. هكذا رفض عليه الصلاة والسلام ها العرض وأرسلها مدوية عضيمة تعلم الأجيال المسلمة عبر التاريخ أن من توكل على الله حق التوكل فلن يحوجه الله إلى الاستعانة بمشرك ولا كافر.. وسيكون النصر والتأييد من الله عز وجل.

سار النبي وأصحابه يعتقبون سبعين بعيراً، كل ثلاثة أو أربعة على بعير يعتقبونه، فكان ﷺ مع على بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد يتعاقبون على بعير، ولقد أرادا أن يتحملا عنه المشي وأن يستمر راكباً فقال لهما ﷺ : «ما أنتما بأقوى منى على المشي، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما»[1] وكان هذا دأبه وديدنه ﷺ لا يحب أن يتميز على أصحابه بشيء، ويقدم لهم دائماً الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة لهم وللأمة الإسلامية بأسرها.

وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وآنسة مولى رسول الله ﷺ يتعاقبون بعيراً.

وعبيدة بن الحارث والطفيل والحصين ابنا الحارث ومسطح بن أُثاثة يتعاقبون ناضحاً لعبيدة.

عن معاذ بن رفاعة الأنصاري عن أبيه قال : خرجت أنا وأخي خلاد مع رسول

(١) رواه أحمد والبزار.

الله ﷺ على بعير لنا أعجف حتى إذا كنا موضع البريد الذي خلف الروحاء نزل بعيرنا فقلت : اللهم لك علينا لئن أدنينا إلى المدينة لننحرنه، فبينما نحن كذلك إذ مر بنا رسول الله ﷺ فقال : «ما لكما» ؟ فأخبرناه أنه نزل علينا. فنزل رسول الله ﷺ فتوضأ ثم بصق في وضوئه وأمَرَنا ففتحنا له فم البعير، فصب في جوف البكر من وَضوئه ثم صب على رأس البكر، ثم على عنقه، ثم على حاركه (ما يلي الرقبة) ثم على سنامه، ثم على عجزه، ثم على ذنبه، ثم قالك «اللهم احمل رافعاً وخلاداً» فمضى رسول الله ﷺ، وقمنا نرتحل فارتحلنا، فادركنا النبي ﷺ على رأس المنصف، وبكرُنا أول الركب، فلما رآنا رسول الله ﷺ ضحك، فمضينا حتى آتينا بدراً، حتى إذا كنا قريباً من بدر[1] ، نزل علينا، فقلنا : الحمد لله، فنحرناه، وتصدقنا بلحمه[2] .

وعند عرق الظبية لقوا رجلاً فسألوه وقالوا : كلم رسول الله فقال : أنت رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام : «نعم» فقال الرجل : إن كنت رسول الله فأخبرني ما في بطن ناقتي هذه ؟ فتقدم منه سلامة بن سلمة ابن وقش، فقال : لا تسل رسول الله ﷺ ، وأقبل علي أنا أخبرك عن ذلك، نزوت عليها ففي بطنها منك سخلة فغضب رسول الله ﷺ وقال : «مه أفحشت على الرجل» وأعرض عنه[3]. وسنعود لهذه القصة.

وسار المسلمون حتى بلغوا وادي ذَفران وهو واد قريب من الصفراء فنزل المسلمون بهذا الوادي. وجاءهم الخبر بخروج قريش للذود عن القافلة التي كان فيها كل أموالهم فليس هناك بيت في مكة إلا وله مال وتجارة في هذه العير.

تغير الموقف فبعد أن كان الناس قد خرجوا لملاقاة العير وليس فيها سوى ثلاثين أو أربعين رجلاً على أكثر التقديرات صار الأمر احتمالاً لملاقاة جيش كبير كثير العدد مكتمل العدة فها هي ذي قريش خرجت عن بكرة أبيها تدافع عن ثروتها وحياتها،

(١) كذا في الأصل، ولعلها قريباً من المدينة.
(٢) رواه البزار ، وروي الطبراني بعضه.
(٣) ابن هشام ص ٦١٣.

فتجارة الشام وطريق القوافل وأمنها أهم من كل شيء عند القرشيين.

لم يكن الموقف مفاجئاً عند النبي ﷺ ، فقد وعده الله إحدى الطائفتين. العير أو النفير. فاحتمال الحرب قائم عنده ﷺ. ولا شك أنه موقن بنصر الله إن كانت العير أو النفير ولكنه لا بد أن يضع المثل والقدوة للمسلمين وأئمتهم وحكامهم. فهذا موقف جديد يجب أن يقدم الناس عليه راضين مطمئنين إلى نصر الله وهم مستعدون عن طيب خاطر لبذل المهج والأرواح في نصر الدين وإعلاء كلمة الله.

جمع رسول الله ﷺ أصحابه وعرض عليهم الموقف الجديد وطلب أن يسمع رأيهم فيه حتى يستوثق من استعدادهم لملاقاة عدوهم في معركة حاسمة ستغير وجه التاريخ لا في الجزيرة العربية وحدها بل في العالم أجمع، معركة هي تحول كبير في علاقات المسلمين بقريش ومشركي مكة، والقبائل من حول مكة والمدينة، معركة هي معلم من معالم تاريخ الأمة الإسلامية. معلم واضح سيظل خالداً على الدهر وإن انمحت من حوله معالم كثيرة.

أخبر رسول الله ﷺ صحبه بخروج قريش، وتوقع نشوب المعركة، وسألهم: «فما تقولون. العير أحب إليكم أم النفير؟» فقالت طائفة منهم : العير أحب إلينا. وقالت طائفة : هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب.

وفي رواية قالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو.

عن أبي أيوب الأنصاري قال: وكان ذلك سبباً في نزول الآية: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ ﴾ (الأنفال: ٥).

استشار النبي ﷺ أصحابه بعد أن عرض عليهم الموقف الجديد قائلاً: «أشيروا على أيها الناس» فانبرى الصديق فتكلم وأحسن وعبر عن استعداد المسلمين للتضحية. ثم تكلم عمر بن الخطاب فقال قولاً طمأن النبي على قوة وثبات المهاجرين وقال: يا رسول الله إنها قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت، والله لتقاتلنك، فتأهب

لذلك أهبته، وأعد لذلك عدته. فقال عليه الصلاة والسلام: «أشيروا علي أيها الناس» . فقام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون» ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد (باليمن أو الحبشة) لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه فدعا له رسول الله بخير[1].

ثم قال ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس» يريد الأنصار لأنهم بايعوه على النصرة والحماية في ديارهم وبين ظهرانيهم، فقد قالوا حين بايعوه عند العقبة: يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع أبناءنا ونساءنا.

فلما كرر النبي ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس» بعد أن سمع مقالة أصحابه من المهاجرين، وعرف قبولهم وتسليمهم المطلق بل وتأييدهم لما أمر به. أدرك الأنصار أنه يعنيهم بهذا الطلب، وأنهم الناس الذين يطلب مشورتهم. فقال سعد بن معاذ: لعلك تُريدنا يا رسول الله؟ فقال: «أجل». فقال سعد: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فأمض يا رسول الله لما أردت فنحن معك والذي يعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا وإنا لصُّبر في الحرب صُدّق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله[2].

قائد عظيم ملهم يدرك أن الجندي إذا آمن واطمأنت نفسه إلى عدالة القضية التي يخوض من أجلها المعارك وأنها معركة الحق والعدل ضد الظلم والبغي، وآمن بضرورتها لإحقاق الحق وإبطال الباطل، لم يغلها النفس والمهجة يبذلها مسروراً لا مطمع له إلا النصر أو الشهادة. وقد كان جند الإسلام في معركة بدر من هذا الصنف، يسترخصون بذل النفس والمال في رضا الله ورسوله، آمنوا بالله ورسوله، وصدقوه ونصروه وهم

(١) ابن هشام ص ٦١٤/ ٦١٥.

(٢) ابن هشام ص ٦١٥.

على عهدهم ووعدهم حتى يلاقوا ربهم، ورضي الله عنهم ورضوا عنه. هذا حال قائد المسلمين وجنده في زمان كان الروم والفرس يسوقون جندهم إلى الحرب على رغم أنوفهم حتى لقد كانوا يقرنونهم في السلاسل حتى لا يفروا من المعارك.

سر رسول الله ﷺ واستراحت نفسه لقول سعد بن معاذ واستبان له موقف الأنصار، واستعدادهم لملاقاة قريش ومن معها خارج ديارهم، فقال: «سيروا و أبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر على مصارع القوم».

عقد رسول الله ﷺ الألوية وهي ثلاثة، وأظهر السلاح، وكان قد خرج من المدينة على غير لواء معقود.

حمل مصعب بن عمير اللواء الأبيض، علي بن أبي طالب راية سوداء والخباب بن المنذر راية سوداء[1].

ثم ارتحل المسلمون من وادي ذفران في طريقهم إلى بدر. وعند الصفراء وهي قرية بين جبلين سأل رسول الله ﷺ عن اسميهما فقالوا: مسلح ومخريء يسكنهما بطنان من بني غفار يقال لهما بنو النار وبو حراق فترك رسول الله ﷺ هذا الطريق ومال يساراً يعبر مضيق الصفراء في طريقه إلى بدر[2].

وقد ضاق عليه الصلاة والسلام بهذه الأسماء القبيحة فقد كان يحب الحسن من الأسماء، ولا يحب القبيح منها وغير كثيراً من أسماء الصحابة التي سموا بها في الجاهلية إلى أسماء حسنة تنشرح لها الصدور وتسر الخواطر.

وقد كان عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه بحسن اختيار الأسماء لأبنائهم ويعلمهم أنه حق الأبناء على آبائهم.

---

(١) سيرة ابن هشام عن ابن اسحق ص ٦١٢.

(٢) سيرة ابن هشام ص٦١٤.

وعند الدّبة قريباً من بدر خرج عليه الصلاة والسلام بنفسه ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في عملية استطلاع لميدان المعركة وللتعرف على أخبار العدو قبل وصوله. حتى وقفا على شيخ من العرب اسمه سفيان الضمري، فسألاه عن أخبار قريش، وعن محمد وأصحابه، وما علمه من أخبارهم. قال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «إذا أخبرتنا أخبرناك» فقال: أو ذاك بذاك؟ قال: «نعم» قال الشيخ: إنه قد بلغني أن محمداً وأصحابه قد خرجوا من المدينة يوم كذا وكذا. فإن كان الذي أخبرني صادقاً فهم الآن بمكان كذا وكذا، وحدد المكان الذي كان المسلمون فيه. وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي كانوا فيه.

فلما فرغ من خبره عاد يسأل: فمن أنتما: فقال عليه الصلاة والسلام: «نحن من ماء» وأشار بيده إلى العراق وانصرفا والشيخ يسأل: من ماء العراق؟ أخبره عليه الصلاة والسلام صادقاً أنهما من ماء وفهم الشيخ ما تبادر إلى ذهنه وهو ماء العراق[1].

رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقد تأكد له خبر خروج قريش لملاقاته وحماية أموالهم وبات عليه أن يستعد: لهذه الحرب التي ستقرر مصير الأمة الإسلامية فهو إما النصر وخروج الإسلام من هذا المحيط الضيق المحدود، من هذا الحصار الذي تفرضه قريش عليهم، رغم أنهم تركوا مكة أحب أرض الله إليهم، ومسقط رءوسهم ومثوى آبائهم وأجدادهم وفيها أموالهم ومساكنهم والبيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً.

وأما أن يعودوا إلى المدينة لليهود وأهل الشرك والنفاق الذين يتربصون بالإسلام والنبي الدوائر.

واصل المسلمون سيرهم حتى نزلوا وادي بدر شمال الكثيب الرملي بعيداً عن الماء بينهم وبينه رحلة، وفي المساء بعث النبي ﷺ سرية استطلاع فيها علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ونفر من أصحابه يستطلعون له ماء بدر ويتحسسون

(١) ابن هشام ص ٦٦.

عنده الأخبار، فوجدوا سقاة قريش جاءوا في طلب الماء وفيهم اسلم غلام بني الحجاج، وعريض غلام بني العاص بن سعيد، وافلت ثالثهم.

فعادوا بهما إلى رسول الله ﷺ، وسألوهما والرسول يصلي. فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نحضر لهما الماء فضاق القوم بهذا الخبر وأحبوا لو كانوا سقاة العير، فضربوهما حتى أوجعوهما قالا: نحن لأبي سفيان فتركوهما، فتكرر ذلك مرات حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته وانصرف منها بالسلام وقال لأصحابه: «إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش»[1].

ثم سألهما رسول الله ﷺ عن قريش. قالا هم وراء الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى. فقال ﷺ «كم القوم؟» قالا هم كثير عدهم، عظيم بأسهم. قال: «ما عدتهم؟» قالا: ما ندري. قال: «كم ينحرون كل يوم؟» قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً.

فقال عليه الصلاة والسلام: «القوم ما بين التسعمائة والألف» فالبعير ينحر ويكفي مائة، ثم سأل: «فمن فيهم من أشراف قريش».

قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود.

وأقبل عليه الصلاة والسلام على الناس وقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم بأفلاذ أكبادها»[2]. وكان الساقي الذي أفلت من الأسر قد فر إلى قريش فأخبرهم خبر وصول المسلمين إلى بدر، وقال: يآل غالب: هذا ابن أبي كبشة وأصحابه قد أخذوا سُقّاءكم. فماج المعسكر وكرهوا ما قال، حتى لقد عافت نفوسهم الطعام.

---

(١) سيرة ابن هشام ص٦١٧.

(٢) ابن هشام ص ٦١٧.

نزلت قريش ومن معها بالعدوة القصوى قريباً من الماء، ونزل رسول الله ﷺ والمسلمون بعيداً عن الماء بينهم وبين الماء رحلة فظمئ المسلمون، وأصابهم ضيق شديد، وأجنب بعضهم فلم يجدوا ماء للاغتسال، وألقى الشيطان في نفوسهم الغيظ فوسوس إليهم : تزعمون أنكم أولياء الله وأنكم على الحق، وها قد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم عطاش وتُصلّون مجنبين، وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطش رقابكم، ويذهب بقواكم، فيحكموا فيكم كيف شاءوا فحزنوا حزناً شديداً، وأشفقوا، وكان الوادي دهساً ليناً كثير التراب تسيخ فيه الأقدام فبعث الله السماء ونزل المطر فسكن الغبار وتلبدت الأرض، وطهرهم الماء وأذهب عنهم رجز الشيطان (وسوسة الشيطان) فشربوا واغتسلوا وتوضأ من أراد الوضوء، وملئت الاسقية وطابت النفوس، وتلبدت الأرض تحت أرجلهم فسهل عليهم المسير وسهلت حركتهم، وانشرحت صدور المؤمنين واطمأنت قلوبهم إلى نصر الله وتأييده لهم.

وأصاب المطر قريشاً فزلقت الأرض وأمتنع عليهم المسير لم يستطيعوا الوصول إلى الماء، فكان المطر قوة ونعمة للمؤمنين، نقمة على الكافرين وبلاء: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ (الأنفال: ١١).

ولا شك ان نزول المطر في تلك الليلة كان نعمة بالنسبة لمعسكر المسلمين ونقمة وبلاء بالنسبة لمعسكر المشركين، وقد وقفت بنفسي في مكان معسكر المشركين وأنا قادم من الخط الإسفلتي القديم الذي يربط جدة ببدر وعندما اقتربنا أنا ومن معي من الإخوان ومجموعة من المصورين من بدر وأشرفنا على المدينة من فوق آخر جبل يطل عليها وهو على يمين الخط وفيه منزل لرجل من أهالي بدر اسمه عطية الصبحي، وشاهدنا مكان معسكر قريش حيث تغطيه اليوم مجموعة كثيفة من أشجار النخيل مما يدل على أن الأرض طينية زراعية لما هطل عليها المطر أصبحت زلقاً فلم يستطيعوا السير عليها، وأصبحت دوابهم تنزلق أيضاً، وكما ذكرت أن من يشاهد الأرض اليوم يدرك صعوبة الوضع الذي كانوا فيه في تلك الليلة، وهذه المنطقة التي كانوا فيها يمكن مشاهدتها في

الصورة وهي بين العدوة القصوى في أقصى الصورة وأمامها تل العقنقل الرملي، ومن الناحية الثانية مكان المعركة التي تقدموا إليها في الصباح.

عن علي رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا يوم بدر وما منا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح، فكان يدعو ويقول «اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد».

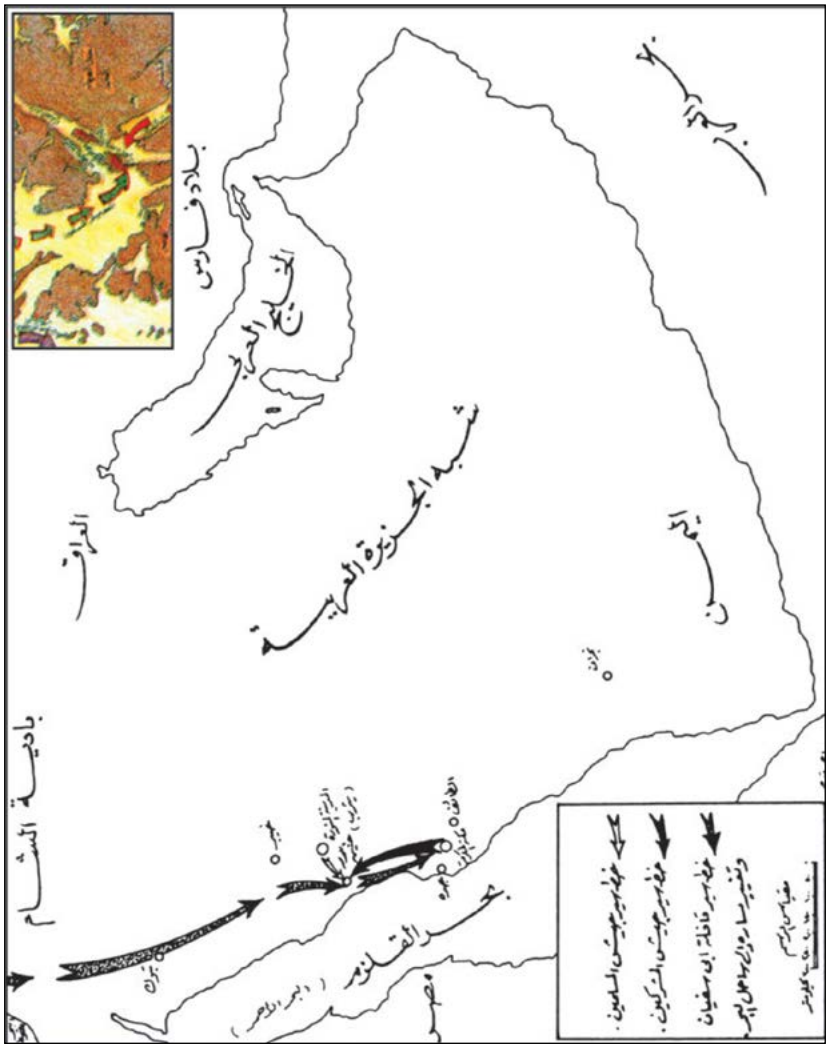

خريطة تبين مسار جيش المسلمين والمشركين وقافلة أبو سفيان

عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك، فخرج، وهو يقول: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾.

وأمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يتحركوا حتى ينزلوا ماء بدر ويبادروا المشركين قبل أن يصلوا إليه.

وكان استيلاء المسلمين على الماء أول عمل عسكري قام به النبي عليه الصلاة والسلام وهو في نفس الوقت عمل عسكري يدل على ذكاء القائد ومقدرته وحسن تخطيطه فقد حرم المشركين الماء في هذه الصحراء وعددهم كبير ومعهم الدواب والعبيد والقيان، فكان لذلك أسوأ الأثر في قلوب القرشيين جعلهم يحاربون بنصف قلوبهم، فلما أن طلع الفجر من هذه الليلة نادي رسول الله ﷺ : «عباد الله» فجاءوا وصلى بهم الصبح

منظر لمسجد العريش وأمامه النخيل قرب المنطقة التي عسكرت فيها قريش

وحرضهم ثم عقد مجلس المشورة للمرة الثانية وطلب إلى الناس أن يشيروا عليه في هذا المنزل، وكان قد نزل على أدنى ماء من بدر بالنسبة للمدينة (العدوة الدنيا) وبقية الآبار بينهم وبين قريش، فتقدم الخباب بن المنذر ابن الجموح - وهو أنصاري جليل من بني سلمة من الخزرج، وكان ذا بصر ورأي في شئون المعارك - تقدم يسأل النبي ﷺ : يا رسول الله أرأيت المنزل أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه، أم هو الحرب والمكيدة؟ فقال عليه الصلاة والسلام : «بل هو الحرب والمكيدة» قال الخباب: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم (قريش) فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب (جمع قليب وهو البئر) ثم نبني حوضاً، ونملؤه ماء فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ : «لقد أشرت بالرأي».

جبل العقنقل (العدوة القصوى) حيث نزل المشركون

العدوة القصوى (العقنقل)

الطريق الموصل الى بدر وعلى يمينه كثيب الحنان وهو الطريق الذي سلكه النبي ﷺ

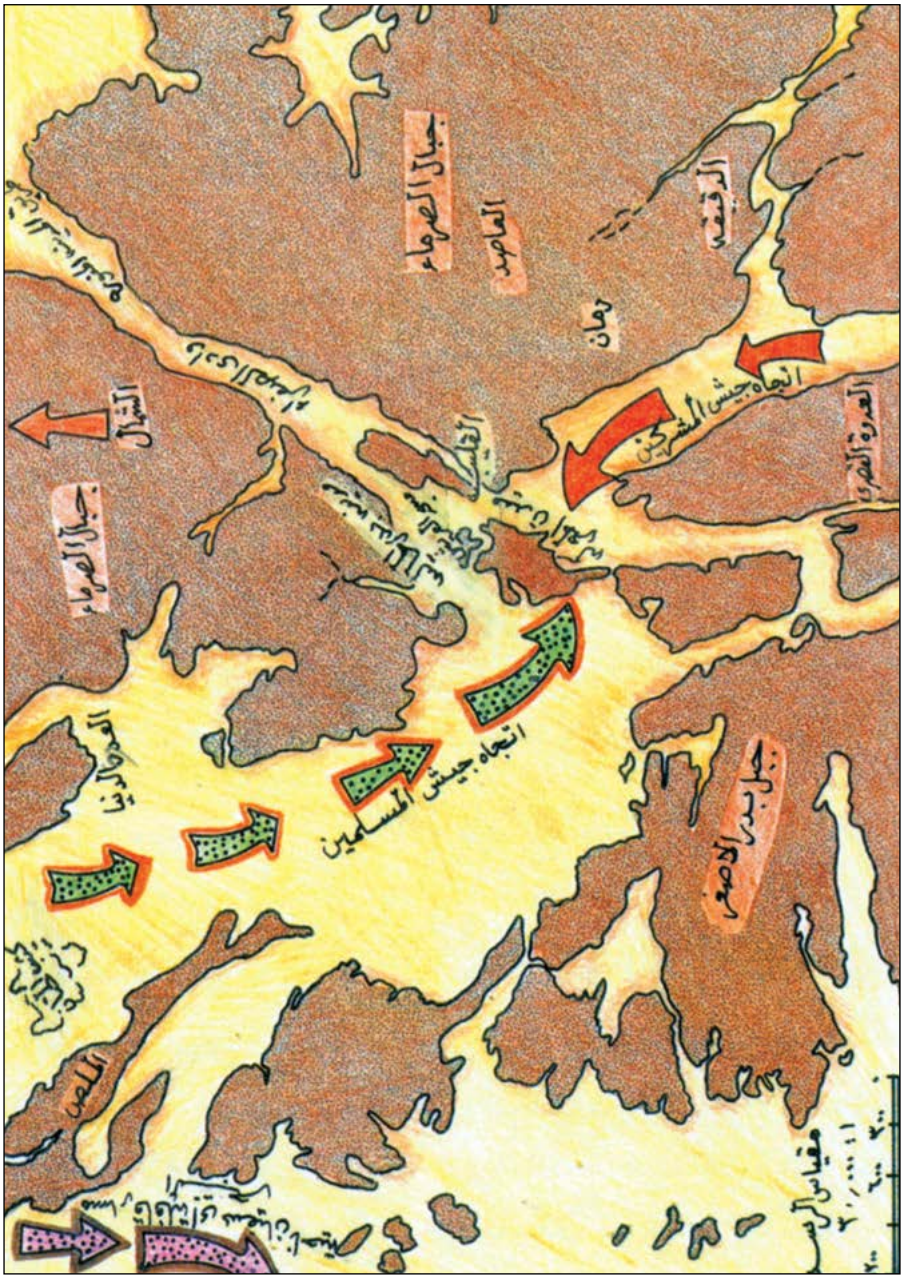

خارطة تبين مسار الجيوش

نهض رسول الله ﷺ وأصحابه وساروا حتى أقرب بئر من القوم فنزلوا عليه، ثم أمر بالقلب التي أصبحت خلف جيش المسلمين فغورت أي ردمت أو زيد في عمقها فبعد ماؤها وتعذر الوصول إليه وبنى الحوض على القليب الذي نزلوا عليه فملئ بالماء وقذفوا فيه بآنيتهم[1].

وفي كلام بعض كُتاب السيرة أن المسلمين نزلوا على هذا القليب نصف الليل، فبنوا الحوض، وقذفوا فيه بالآنية واستقوا من قبل الصباح، وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه قد قال للنبي ﷺ حيث وصلوا إلى ها الموقع: يا رسول الله، آلا نبني لك عريشاً تكون فيه وعندك ركائبك ثم نلقي عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك لحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك.

فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير ثم بنى لرسول الله ﷺ عريش كان فيه[2].

فظن المسلمون منذ أول معركة لهم مع الشرك والمشركين إلى أهمية القائد في المعركة فمنه تصدر الأوامر والتوجيهات ومنه يكون التنسيق بين جماعات الجند، وهو رمز الجماعة التي يقودها وغيابه عن ميدان المعركة يسبب ارتباكاً للجيش يؤدي إلى أوخم العواقب. وقد فطن المسلمون لهذه الحقيقةحينما جعلوا لرسول الله ﷺ مقراً في مكان مرتفع يشرف منه على الميدان واهتموا بحراسته والذود عنه حتى لا يصل إليه عدو. ومع هذا فقد نزل عليه السلام إلى الميدان يحرض الجند ويصف الصفوف بل ويطارد العدو.

وتشاهد في مكان العريش وقد تم بناء مسجد في مكانه وهو يشرف على أرض المعركة التي تقع كما ذكرنا، بين الطريق التي سلكها النبي ﷺ على بدر من المدينة إلى العقيق ماراً

(١) سيرة ابن هشام ص ٦٢٠.
(٢) سيرة ابن هشام ص ٦٢٠.

بنقب المدينة إلى ذي الحليفة إلى ذات الجيش إلى تربان ثم على غميس الحمام (من مريين) إلى صخيرات اليمام إلى السيالة إلى فج الروحاء إلى شنوكة إلى عرق الظبية إلى الروحاء ونزل على بئر بها يسمى سجسج (وهي بئر الروحاء).

ثم ترك طريق مكة عن يساره ومر على النازية إلى رُحقان (بين النازية ومضيق الصفراء) ثم مر على مضيق الصفراء، ثم ترك جبلي الصفراء والصفراء عن يساره فمر على وادي ذفران فلما اجتازه نزل.

وجاءه الخبر بخروج قريش لقتاله فأخبر الناس وشاورهم وتكلم المهاجرون ثم انتبه سعد بن معاذ فتكلم وسر بكلامه، وأخبر الناس أن الله قد وعده إحدى الطائفتين.

ومن ذفران سار على الّدبّة فمر على ثنايا الأصافر، ثم نزل الحنان وهو كثيب عظيم على اليمين ثم نزل قريباً من بدر.

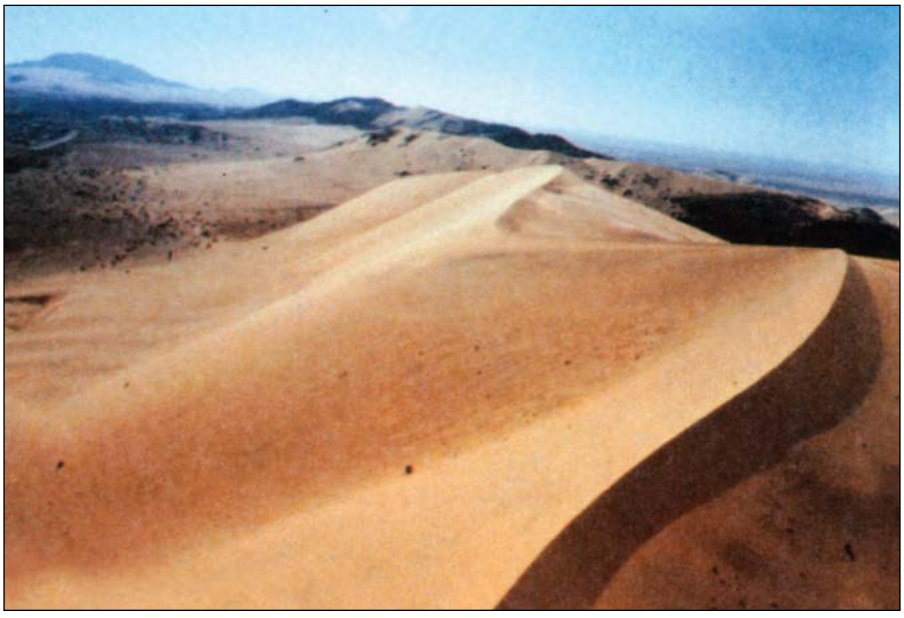

منظر جوي لكثيب الحنان

طريق العودة:

رجع المسلمون من بدر فلما نزلوا الصفراء قسمت الغنائم وفيها ضربت عنق النضر بن الحارث، ثم نزلوا عرق الظبية فضربت عنق عقبة ابن أبي معيط ثم ساروا حتى وصلوا المدينة المنورة.

الفهرس

أبو سُفيَانَ والقَافِلَة

أفلتت قافلة أبي سفيان وعير قريش، حيث لم يدركها المسلمون عند مخرجها إلى الشام في غزوة العشيرة، وسار بها أبوسفيان ومن معه حتى وصلوا غزة سوقهم الذي يبيعون فيه ويبتاعون منه، وأقاموا يصرفون شئون تجارتهم ويجهزون القافلة العائدة بالبضائع والأمتعة، وباع الناس واشتروا وحمّلوا إبلهم بكثير من البضائع والتحف والطرف، وكان الذي أعدوه لرحلة العودة شيئاً كثيراً، فقريش لم تكن قد أرسلت قافلة كبيرة منذ أكثر من عام لخوفهم من ترصد المسلمين لقوافلهم، وفصلت القافلة من غزة تحمل ما يزيد ثمنه على خمسين ألف دينار ذهبي، وفي الطريق لقيهم رجل من جذام فأخبرهم أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يريدون اعتراض القافلة عند خروجها إلى الشام ولكنهم لم يدركوها، إذ سبقتهم بأيام وحذرهم أنهم مقيمون في انتظار عودة القافلة وبين لأبي سفيان أنهم الآن أحرص على لقائهم وأقدر عليهم، فقد كان خروجهم خفافاً، وعودتهم بأحمال وأثقال فخرج أبو سفيان من الشام محاذراً يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان خوفاً من كمين يأخذه على غرة، وحين دنا من الحجاز بلغه من بعض المسافرين أن محمداً قد خرج في أصحابه طلباً لعيرك، فبالغ في حذره وحيطته منذ سمع الخبر.

وكانت القافلة قد استأجرت رجلاً من غفار يقال له ضمضم لقيهم في طريق خروجهم إلى الشام استأجروه دليلاً لهم بعشرين مثقالاً ذهباً، فما أن سمع أبو سفيان خبر خروج الرسول ﷺ للاستيلاء على القافلة، حتى عاد فاستأجره لمهمة أخرى أهم وأكثر حساسية من مهمته الأولى، أمره أن يسرع طائراً إلى مكة، وأن يستنفر قريشاً مستخدماً كل ما عرفته العرب من أساليب الإثارة يستنفرهم للدفاع عن أموالهم وتجارتهم وأن يخبرهم خبر خروج محمد للاستيلاء على العير.

أسرع ضمضم إلى مكة، ودخلها وقد جدع بعيره (قطع أنفه وأذنيه)، وحول رحله وشق قميصه من أمام ومن خلف ووقف على ظهر بعيره ويصرخ بأعلى صوته ويقول: يا معشر قريش اللطيمة (الإبل تحمل الطيب والمتاع) أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث[1].

ولم تكن قريش في حاجة لمن يستنفرها، فليس ثمة بيت في مكة ليس له فيها مال أو تجارة وقد كانت القافلة تضم ألف بعير تقريباً محملة بتجارة الشام ويحرسها ثلاثون أو أربعون رجلاً.

وسار أبو سفيان بما معه ومن معه حذراً يتلمس الأخبار حتى بلغ ماء بدر، وفي الطريق التقى بشيخ من جهينة يقال له كَشَد قرب حوران فسأله إن كان قد رأي أحداً من عيون محمد؟ فأخبره أن لم ير أحداً وأظهر عجبه لهذا السؤال لبعد المسافة بين المدينة وحوران. (ها الرجل كان ينزل في ضيافته عينان للرسول) وعند بدر التقى بحليفهم مجدي بن عمرو (كان حليفاً للجانبين) فسأله: هل أحسست أحداً؟ فقال مجدي بن عمرو: ما رأيت أحداً أنكره، ولا بينك وبين يثرب من عدو ولو كان بينك وبينها عدو لم يخف علينا، وما كنت اخفيته عنك، غير أني رايت رجلين راكبين وقد أناخا وراء هذا الماء واستقيا في شن لهما ثم انطلقا، وأشار لهم إلى مناخ عدي بن أبي الزغباء، وبسبس بن عمرو، وكان رسول الله ﷺ قد أرسلهما يستطلعان له خبر القافلة، فنزلا على بدر،

(١) سيرة ابن هشام.

وسمعا حديثاً بين جاريتين تستقيان تطالب إحداهما الأخرى بدين لها عليها والمدينة تعدها بالسداد غداً عند قدوم القافلة فتعمل لهم وتدفع، وانطلقا بالخبر إلى رسول الله ﷺ . أتى أبو سفيان المكان الذي أناخا فيه فأخذ من أبعار بعيريهما ففتته ثم اشتمه فوجد فيه النوى قال: هذه علائف يثرب، ورجع إلى أصحابه مسرعاً وبادر فتحول عن الطريق نحو ساحل البحر الأحمر، وترك بدراً يساراً، وانطلق نحو مكة لا يلوي على شيء فقد نجا ونجت العير[1].

(١) وعندما زرت بدراً ووقفت عند الحنان وهو مرتفع عظيم من الرمل يعطي صوتاً يشبه الحنين إذا تحرك الرمل فيه وقد قام بعض الشباب بالصعود إلى أعلى الحنان وأخذوا يحركون الرمل فسمعنا جميعاً الصوت واضحاً جلياً وكان معنا مجموعة من أشراف بدر وسكانها، وذكروا لنا أن سماع الصوت أمر مألوف لديهم ومعروف عندهم، وقد لاحظت أن بين الحنان وبين الجبل الأصفر ممراً يتجه نحو الغرب في اتجاه الشاطئ ويسمى «الملص» وقيل أنه ربما يكن الممر الذي هرب منه أبو سفيان وملص في اتجاه الساحل، وقيل إنه الطريق الذي جاءت منه الملائكة.

وهناك علم أن قريشاً قد خرت لحمايته وملاقاة محمد ﷺ وأصحابه فأرسل إليهم قيس بن امرئ القيس، وكان مع أصحاب العير يقول لهم على لسانه: إنكم قد خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم. وقد نجاها الله فارجعوا. ولكنهم لأمر أراده الله صمّوا آذانهم وركبوا رءوسهم فلم يستمعوا إلى ناصحهم وساروا إلى حتفهم ليحق الله الحق ويبطل الباطل ويقطع دابر الكافرين.

تركنا ضمضماً الغفاري يستغيث ويصرخ يستنفر قريشاً للخروج لحماية أموالهم والقرشيون يستعدون ويتأهبون لهذه المهمة الصعبة التي جاءتهم على غير ميعاد، وإن كانوا قد أخبروا بها قبل قدوم ضمضم بأيام في رؤيا رأتها سيدة من بنات عبد المطلب وأرادت أن تكتم خبرها فلم تستطع وتسرب الخير إلى قريش.

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب[1] :

يروي كتاب السيرة عن عروة بن الزبير رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عاتكة بنت عبد المطلب رأت قبل وصول ضمضم إلى مكة بثلاث ليال رؤيا افزعتها، فأرسلت إلى أخيها العباس، وأخبرته أنها رات في نومها رؤيا أفزعتها وأخافتها، وتوقعت بعدها شراً يصيب القوم، وطلبت منه أن يكتم خبر هذه الرؤيا فلا يطلع عليها أحداً.

قالت رأيت فيما يرى النائم أن رجلاً اقبل على بعير له فوقف بالأبطح فقال: انفروا يا آل غُدُر (من الغدر) لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم أرى بعيره دخل المسجد، واجتمع الناس إليه، ثم مثل به بعيره فإذا هو على رأس الكعبة فقال: انفروا يا آل غُدُر لمصارعكم في ثلاث، ثم إن بعيره مثل به على رأس أبي قبيس، فقال: انفروا يا آل غُدُر لمصارعكم في ثلاث، ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل، فأقبلت تهوي حتى إذا كانت في أسفل الجبل ارفضت (تكسرت) فما بقيت من دار من دور قومك ولا بيت إلا دخل فيه بعضها.

قال العباس: والله إن هذه لرؤيا فاكتميها، قالت: وأنت فاكتمها لئن بلغت هذه ريشاً ليُؤذُنّنا. فخرج العباس ولقي الوليد بن عتبة، وكان صديقاً له، فأخبره خبر الرؤيا،

(١) سيرة ابن هشام.

واستكتمه إياه، ولكنه لم يستطع كتمانه وأخبر أب جهل فانتشر الخبر وذاع.

وذهب العباس ليطوف بالكعبة فإذا القوم يتحدثون فيذكرون خبر رؤيا عاتكة، ولقيه أبو جهل فقال له : يا أبا الفضل متى حدثت فيكم هذه النبية؟ قال العباس: وما ذاك؟ .. قال أبو جهل: رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب. أما رضيتم يا بنى عبد المطلب أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم؟ .. فسنتربص بكم هذه الثلاث التي ذكرت عاتكة فإن كان حقاً سيكون، وإلا كتبنا عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب.

قال العباس: فوالله ما كان مني كبير إلا أني أنكرت ما قالته عاتكة.

وفي رواية ابن اسحق لحديث أبي جهل مع العباس زيادة يقول:

أما رضيتم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء. إنا استبقنا المجد وأنتم، فقلتم فينا السقاية، فقلنا لا نبالي تسقون الحاج، ثم قلتم فينا الحجابة فقلنا لا نبالي تحجبون البيت، ثم قلتم فينا الندوة، فقلنا لا نبالي تجمعون عندكم ما ترفدون به الضيف، فلما أطعمنا وأطعمتم فكنا وأنتم كفرسي رهان فاستبقنا المجد منذ حين، فلما حاذت الركب. قلتم منا نبي فما بقي إلا أن تقولوا منا نبيه، ولا أعلم أهل بيت أكذب رجلاً، ولا أكذب امرأة منكم. قال العباس: وغضبت عاتكة وغضبت نسوة بني عبد المطلب لتطاول أبي جهل على عاتكة، وصبر العباس عليه حتى لقد عزم العباس أن يذهب إليه في مجلس قريش عند البيت فيوجعه، ويوقع به، فما أن ذهب إليه حتى وجده وكل قريش مشغول بخبر ضمضم، ورآه العباس وغيره وهو واقف على بعير بالأبطح قد حول رحله وشق قميصه وجدع بعيره يقول: يا معشر ريش اللطيمة، اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان وتجارتكم قد عرض لها محمد وأصحابه الغوث الغوث. أهـ[1].

فشغل ذلك العباس عن أبي جهل، وشغل أبا جهل عن العباس، وشغل الناس بالإعداد للخروج لحماية القافلة التي كانت تحمل أموال قريش وأهل مكة، فلم يكن في

(١) سيرة ابن هشام ص ٦٠٩.

مكة بيت ليس له فيها مال أو تجارة عدا بني عدي الذين لم يخرجوا فيها شيئاً.

أخذ الناس يتهيئون للخروج مسرعين وقالوا: يظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟ كلا والله ليعلمن غير ذلك، فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً، فقد تخلف أبو لهب وأرسل مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ونزل له عن دين قديم قدره أربعة آلاف درهم استأجره بها.

وقد أثار ضمضم الغفاري الفزع في نفوس القرشيين مما دفعهم إلى الخروج بكل ما استطاعوا من قوة، وأثار حماستهم وإحساسهم بأن أموالهم التي فيها قوتهم وسطوتهم مهددة من المسلمين. فاخرجوا عدتهم وسلاحهم ودروعهم التي كانت محفوظة في دار الندوة وفرقوها، وخرج الكبراء وحملوا الفقراء فمنهم من تبرع بخمسمائة دينار ومنهم من تبرع بمائتين ومنهم من حمل عشرين مقاتلاً على عشرين جملاً وتكفل بنفقتهم ومنهم من حمل عشرة محاربين وتكفل بنفقتهم وسلاحهم.

ومن أدق ما عبر عن موقف القرشيين في هذه الساعة العصيبة ما قاله زمعة ابن الأسود: واللات والعزى ما نزل بكم أمر أعظم من هذا أن طمع محمد وأهل يثرب أن يعترضوا عيركم فيها حرائبكم (أموالكم) فأوعبوا لا يتخلف منكم أحد ومن كان لا قوة له فهذه قوة[1] والله لئن أصابها محمد لا يروعكم بهم إلا وقد دخلوا عليكم، وكان من أشد المتحمسين لخروج قريش بعدتها وكل ما تملك أبو جهل بن هشام وحثهم في ذلك حثاً شديداً لأنه كان يرغب بشدة في أن توقع قريش بالمسلمين والانتقام من محمد ﷺ. وقد كان أنشط رجال مكة في مقاومة الإسلام من اللحظة الأولى وحتى آخر دقيقة من عمره.

خرج أهل مكة في ألف مقاتل أو أقل قليلاً، وساقوا مائة فرس والفرسان كلهم دارع، وكان معهم سبعمائة وخمسون من الإبل.

(١) فهذه قوة: أي فليأخذ ما يتقوى بهز.

عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، حدّث عن سعد بن معاذ قال: «كان صديقاً لامية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية.

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، انطلق سعدٌ معتمراً، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت.

فخرج به قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، من هذا معك؟ فقال: هذا سعد. فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً، وقد آويتم الصُباةَ وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله، لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت على أهلك سالماً، فقال له سعد، ورفع صوته عالياً: أما والله لئن منعتني هذان لأمنعنك ما هو أشد عليك منه: طريقك على المدينة.

فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعدُ على أبي الحكم، سيد أهل الوادي.

فقال له سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنهم قاتلوك».

قال بمكة؟ قال: لا أدري.

ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً، فلما رجع أمية على أهله قال: يا أم صفوان، ألم تري ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي، فقلت بمكة؟ قال: لا أدري. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة.

فلما كان يوم بدر، استنفر أبو جهل الناس قال: أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج، فاتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت - وأنت سيد أهل الوادي - تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبتني، فوالله لأشترين أجود بعير بمكة، ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني . فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا، ما أريد أن أجوزَ معهم إلا قريباً، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلاً إلا عقل بعيره، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل ببدر.

أما عقبة بن أبي معيط فله قصة إذ توعده رسول الله ﷺ أنه قاتله إن وجده خارج مكة جزاء وفاقاً لجريمته النكراء التي ارتكبها حين بصق على وجهه الشريف ﷺ، ولذلك قصة نسوقها باختصار فقد أقام عقبة قبل هجرة النبي ﷺ مأدبة دعا إليها رسول الله ﷺ فقال له: «لا آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» فقالها. وأجاب الرسول دعوته وانتهى الأمر، فأخذ أهل الكفر يلومونه ويوبخونه ويسفهون فعلته هذه حين نطق الشهادتين فأبدى ندمه وسأل ماذا يفعل؟ فطلب منه أن يسب رسول الله ﷺ ويبصق في وجهه، ويومها توعده عليه الصلاة والسلام فخاف وأراد القعود، فاتوه بجمل أحمر يكون وسيلته إلى النجاة إذا وقعت الواقعة، وشاء الله أن يقع أسيراً فيقتله عليه الصلاة والسلام، وقد أوردت قصته بعد وقوعه بالأسر وضرب عنقه في عرق الظبية في طريق عودته ﷺ من بدر إلى المدينة المنورة.

كما روي أيضاً عن عتبة بن ربيعة أنه عزم على القعود، فنهاه أخوه شيبة عن ذلك وقال: إن فارقنا قومنا كان ذلك سبة علينا فامض مع قومك فمضى معهم إلى نهايته المقدرة، ويقال إن غلامهما النصراني عداساً حين رآهما خارجين تعلق بهما وقال: بابي وأمي أنتما ما تساقان إلا لمصارعكما فأرادا عدم الخروج فلم يزل بهما أبو جهل حتى خرجا وفي عزمهما العودة من الطريق.

ولما نزلت قريش الجحفة راي جهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب-رأى فيما يرى النائم وهو بين اليقظة والمنام - أن رجلاً أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلف وفلان وفلان، فعد رجالاً ممن قتل يوم بدر من المشركين من أشراف قريش، ثم رأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه. أهـ. فلما بلغت ابا جهل قال: وهذا أيضاً نبي آخر من بني عبد المطلب سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا[1].

(١) سيرة ابن هشام.

وبقدر ما استعدت قريش للخروج وتأهبت، وأنفقت الأموال، وأعدت العدة وسارت في جيش كبير بالنسبة لزمانهم تصحبهم القيان بالدفوف. بقدر ما كانت معنوياتهم في الحضيض. خرج كثير منهم خائفين مترددين مرغمين يرائي بعضهم بعضاً بالخروج، ينقصهم الاقتناع والإيمان بالهدف الذي خرجوا من أجله خاصة بعد أن نجت العير، ولا شك أن إيمانهم ويقينهم بصدق محمد زاد من هذا الإحساس بالتردد والبلبلة في نفوس كثير منهم.

وتناقل الرواة لقصة رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب ورؤيا جهيم - صحيحاً كان الخر أم مبالغاً فيه - له من الدلالة ما له. فهو يدل في جملته أن بني هاشم لم يكن خروجهم عن رضا ورغبة بل كان مسايرة لأشراف قريش. وهواهم مع رسول الله ﷺ.

كما يعطينا التصور لمعنويات قريش السيئة، وعمق إحساسهم بما يساقون إليه من الهزيمة والفشل، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «نصرت بالرعب» وفي الآية: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ (الأنفال: ١٢).

الاستفتاح

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١٩).

كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى النبي ﷺ والمسلمين لنجدة قافلة أبي سفيان أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله، وقالوا اللهم أنصر أعز الجندين وأكرم الفئتين،وخير القبلتين، فكان هذا هو الاستفتاح وفي بدر كان الجواب وبعده نزلت الآية.

ثأر بني كنانة:

ولما فرغوا من جهازهم واستعدوا غاية الاستعداد ذكروا ثأراً كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة من كنانة وأعربوا عن خوفهم من أن يغيروا على نسائهم وصغارهم منتهزين فرصة غياب المقاتلة والفرسان أو أن يفاجئوهم من خلفهم ليثأروا لأنفسهم وينالوا دمهم، قالوا: فجاءهم سراقة بن مالك بن جعشم الكناني المدلجي وكان من أشراف كنانة فقال: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه فاطمأنوا وخرجوا سراعاً.

يقول ابن سيد الناس في عيون الأثر في المغازي والسير: وذكر ابن عقبة وابن عائذ في هذا الخبر: واقبل المشركون ومعهم إبليس - لعنه الله- في صورة سراقة بن مالك يحدثهم أن بني كنانة وراءه قد اقبلوا لنصرهم وأنه لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم[1].

قالوا: كان الذي رآه حين نكص على عقبيه حين نزول الملائكة، وقال: إني أرى ما لا ترون، فلم يزل حتى أوردهم ثم أسلمهم. وفي ذلك يقول حسان:

(١) سيرة ابن هشام ص ٦١٢.

سرنا وساروا إلى بدر لحينهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم إن الخبيث لمن والاه غرار

المطعمون من قريش في الطريق إلى بدر:

على الرغم من السرعة التي اعدت فيها قريش عدتها للخروج للدفاع عن أموالهم وفيها حياتهم. رغم هذا فإنهم لم ينسوا أن يسوقوا معهم مظاهر الترف والبذخ، القيان تعزف وتغني والعبيد وأدوات الشواء والطبخ والخمر والطيب كأنهم خرجوا لنزهة أو رحلة صيد، وأسرفوا في ذلك إسرافاً شديداً وقد علمنا أنهم كانوا ينحرون كل يوم عشراً من الإبل أو تسعاً وتكفل بذلك كبراؤهم وزعماؤهم فكان من نحروا حين خرجوا من مكة:

١- أبو جهل بن هشام، عند الخروج من مكة، نحر عشراً.

٢- أمية بن خلف، بعسفان، نحر تسعاً.

٣- سهيل بن عمرو، بقديد، نحر عشراً.

٤- شيبة بن ربيعة، بمناة (أقاموا بها يوماً)، نحر تسعاً.

٥- عتبة بن ربيعة، بالجحفة، نحر عشراً.

٦- مقيس بن عمر الجمحي، بالأبواء، نحر تسعاً.

٧- نبيه ومنبه ابنا الحجاج، نحراً عشراً.

٨- العباس بن عبد المطلب ، نحر عشراً.

٩- الحارث بن عامر بن نوفل، نحر تسعاً.

١٠- أبو البختري، على ماء بدر، نحر عشراً.

وقد استغرقت الرحلة بين مكة وبدر عشر ليال. جاءهم خلالها رسول أبي سفيان يطب إليهم الرجوع. فقد نجت العير ووصلت إلى مكة سالمة. أتاهم الرسول يبلغهم رسالة أبي سفيان: إنكم قد خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها الله فارجعوا.

فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر فنقيم ثلاثاً، فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، يهابوننا أبداً بعدها. أهـ.

والمتأمل في كلام أبي جهل هذا يدرك أنه لم يكن يتوقع حرباً، ولا قتالاً لما يظنه بالمسلمين من الوهن والضعف وقلة العدد والعتاد ويغلب على الظن أنه كان يتصور أن النبي ﷺ سيعود وأصحابه إلى المدينة فور علمهم بنجاة العير وإفلاتها من أيديهم، فقد كانت العير هي الهدف الذي خرجوا من أجله وبخاصة حين يعلم بخروج قريش في هذا الجمع الكبير. رجال وخيل وإبل وسلاح وطعام وفير. فإذا أصر المسلمون على لقاء المشركين رغم كل هذا التفاوت، فما هي إلا جولة ينتهي فيها أمر محمد ومن معه ويعود أبو جهل وقريش لطعامهم وشرابهم وقيانهم فتتسامع بهم العرب. هذا كان ظنه وتفكيره الذي تشي به كلماته.. ويعلّق بعض المحللين على موقف أبي جهل هذا. فيرى أنه لم يكن له بد من أن يقف هذا الموقف لتدعيم هيبة قريش وتثبيت مكانتها عند قبائل العرب تلك القبائل المقيمة بالقرب من طريق القوافل بين مكة وبلاد الشام.

وقد كانت تلك القبائل تتطلع بشوق إلى معرفة نتائج تلك التحركات وهل ستقع المعركة؟ فإذا وقعت من الذي سينتصر ويفوز؟ هل ستنتصر قريش بخيلها وخيلائها ورجالها وسلاحها؟ فتظل صاحبة السيادة والنفوذ في مكة وما حولها. أم سينتصر المسلمون على ما هم عليه من القلة والضعف فيتغير موقف القبائل منهم، والقبائل دائماً مع القوى.

أما أمر المسلمين مع رسول الله ﷺ فقد كان من المستحيل أن يعودوا إلى المدينة

ويتركوا الميدان لقريش تعربد فيه دون أن يتم اللقاء وذلك لعدة أسباب.

أولها: أن الله تعالى وعد نبيه إحدى الطائفتين العير أو المعركة فإذا كانت العير قد استطاعت الهرب والنجاة فما زال جيش قريش باقياً والنصر من عند الله وإن كثر عدد المشركين وقل عدد المؤمنين.

ثانيهما: المدينة مع ما وضعه رسول الله ﷺ لها من ترتيبات الأمن والسلام والعهود ليعيش جميع مواطنيها في سلام وهدوء ما زالت تضم اليهود وأهل الشرك والمنافقين وهم يتربصون بالإسلام والمسلمين الدوائر، فلو أنهم رجعوا دون أن يحققوا نصراً لعاشوا مع هؤلاء يكابدون المهانة والمذلة وربما حاول بعضهم أن يخرج على سلطان محمد ﷺ بعد أن استقر الأمر له فيها.

ثالثهما: سيكون ذلك سبباً في ضعف هيبتهم ومكانتهم عند القبائل المحيطة بالمدينة الأمر الذي سيدفع العرب لفرض الإتاوات على المدينة وعلى المسلمين نظير حماية زراعاتهم ومسارح مواشيهم وطريق تجارتهم كما كانوا يفعلون قبل هجرة رسول الله ﷺ إليها.

رابعاً: بقاء قريش على إحساسها بضعف المسلمين وقلة حيلتهم فهم يكادون ولا يكيدون ويَضربون، فلا مفر والحالة هذه من وقوع المعركة.

ولما عاد قيس بن امرئ القيس إلى أبي سفيان وأخبره بمضي قريش غير عابئة بنصيحته قال: واقوماه هذا عمل عمرو بن هشام (أبو جهل) كره أن يرجع لأنه ترأس الناس وبغى والبغي منقصة وشؤم. إن أصاب محمد النفير ذللنا إلى أن يدخل مكة. هذا أبو سفيان في مكة وهذا تصوره لموقف أبي جهل. فما تصور من كانوا مع أبي جهل بعد أن خلصت القافلة إلى مكة ولم يعد ثمة خوف على المال والمتاع ورفض أبي جهل العودة قبل أن يرد ماء بدر ويقيم عليها ثلاثاً يطعم ويشرب ويلهو لتسمع العرب به وبقومه وتعرف عدم مبالاته بمحمد ومن معه فهو لا يحسب لهم حساباً ثم يعود سالماً (في ظنه) فتهابه العرب وتعود القبائل إلى حظيرة قريش.

حرص كتاب السيرة أن يسوقوا لنا العديد من الروايات التي تدل على أن قريشاً حين دخلت المعركة لم تكن على قلب رجل واحد ولم تكن نظرتها إلى محمد ﷺ متفقة متطابقة. فهذا موقف أبي سفيان وهذا موقف أبي جهل وهذا الأخنس بن شريق (أبي بن شريق) وكان حليفاً لبني زهرة جاءهم فقال يا بني زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وإنما نفرتم لتمنعوه وماله. اجعلوا بي جبنها وارجعوا فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة فأطاعوه ورجع بنو زهرة من الجحفة كما رجع قبل ذلك بنو عدي من مر الظهران وفي السيرة الحلبية الجزء الثاني ص ٣٩١ قال الأخنس بن شريق لأبي جهل - وقد خلا به - أترى محمداً يكذب؟.

قال: ما كذب قط، كنا نسميه الأمين، لكن إذا كان في بني عبد المطلب السقاية الرفادة والمشورة، ثم تكون فيهم النبوة فأي شيء يكون لنا؟.

فانخنس ورجع بنو زهرة، ولقب بالأخنس منذ يومها. ورجع أيضاً طالب بن أبي طالب.

وحين مرت قريش بمنازل إيماء بن رحضة. بعث إليها بعشر جزائر مع ابن له أهداها لهم وقال لهم: إن أحببتم أن نُمدكم بسلاح ورجال- فإنا مُعدّون لذلك مؤدون- فعلنا، فأرسلوا إليه: أن قد وصلتك رحم، قد قضيت الذي عليك، فلعمري لئن كنا إنما نقاتل محمداً وأصحابه ما بنا ضعف عنهم ولئن كنا نقاتل الله- كما يزعم محمد- فما لأحد بالله طاقة. أهـ.

ويروي الواقدي في كتابه المغازي عن خفاف بن إيماء بن رخصة، قال: كان أبي ليس شيء أحب إليه من إصلاح بين الناس، موكل بذلك، فلما مرت قريش أرسلني بجزائر عشر هدية لهم. فأقبلت أسوقها وتبعني أبي. فدفعتها على قريش فقبلوها، ووزعوها في القبائل. فمر أبي على عُتبة بن ربيعة- وهو سيد الناس يومئذ- فقال: يا أبا الوليد ما هذا المسير؟ قال: لا أدري والله غُلبت. فقال أبي فأنت سيد العشيرة فما يمنعك أن ترجع بالناس وتحمل دم حليفك، وتحمل العير التى أصابوا بنخلة فتوزعها على قومك؟ . والله

ما تطلبون قِبلَ محمد إلا هذا. والله يا أبا الوليد ما تقتلون بمحمد وأصحابه إلا أنفسكم. والخبران فيهما بعض الاختلاف والجمع بينهما ممكن ففي الأول قدم تحية الصديق ثم جاء يقدم نصيحة الصديق والحادثة واحدة نستطيع أن نستنتج منها ان قريشاً لم تكن على قلب رجل واحد حين وصلت إلى بدر، وأن الوهن قد بدأ يتسلل على نفوسهم وصفوفهم، وربما كان أكثرهم يتمنى الرجوع دون قتال لأكثر من سبب، العير نجت، والقتال سيوغر الصدور أكثر، وقتلاهم سيقتلون لغير هدف تقريباً.

وتقدمت قريش في عددها الوافر وعُددها الكثيرة وطعامها الذي يفيض عن حاجتها وقد انتفخت صدورهم كبراً وخيلاء جاءوا يتنفسون غروراً وحليفهم اللعين يزيدهم بطراً ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ نزلوا بالعدوة القصوى من سهل بدر خلف العقنقل (الكثيب المتدرج من الرمل) وهذا الكثيب أمام العدوة القصوى التي ذكرت في القرآن الكريم وهي شمال شرقي مدينة بدر.

واطمأنت قريش إلى مكانها وبعثوا عمير بن وهب ليستطلع ويأتيهم بخبر المسلمين وعددهم ومدى استعدادهم للمعركة فدار دورة حول معسكر المسلمين وجاء فقال: ثلاثمائة رجل يزيد، قليلاً، أو ينقصون قليلاً. ثم قال: أمهلوني حتى أنظر ألهم مدد أو كمين وانطلق يجوب الوادي إلى مسافة بعيدة، فأخبرهم أنه لم يجد شيئاً. وقال: ولكني رأيت البلايا[1] تحمل المنايا، نواضح[2] يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإن قتل منا عددهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فروا رأيكم[3]. واضح أنه متشائم متخاذل لا يرى بأساً من الرجوع وترك القتال.

ثم جاء بعد ذلك حكيم بن حزام فمشى في الناس وأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها المطاع فيها، هل لك إلى مشورة ورأي لا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر؟ قال عتبة: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن

(١) بلايا جمع بليه ، وهى الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت.
(٢) نواضح: جمع نضح وهو البعير يستقى عليه.
(٣) سيرة ابن هشام ص ٦٢٢

الحضرمي. قال قد فعلت، إنما هو حليفي عليّ عقله (ديته) وما أُصيب من ماله، فعليك بعمرو بن هشام (أبي جهل) ثم قام في الناس خطيباً فال: يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً والله لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر في وجه يكره النظر إليه قتل ابن عمه وابن خاله ورجلاً من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك فعزه لقريش وملكه لها، يا معشر قريش أنشدكم الله في هذه الوجوه التي تضيء ضياء المصابيح (يعني قريشاً) أن تجعلوها أنداداً لهذه الوجوه التي كأنها عيون الحيات (يعني الأنصار).

وذهب حكيم إلى أبي جهل يقول: يقول لك عتبة بن أبي ربيعة: هل لك أن ترجع عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولاً غيرك؟ قال حكيم: لا ولم أكن لأكون رسولاً لغيره. فثار أبو جهل، وقال: انتفخ سحره[1] (يتهمه بالجبن) لقد رأى أصحاب محمد أكلة جزور (عددهم قليل يكفيهم جزور) وفيهم ابنه (أبو حذيفة) خاف أن تقتلوه. ثم يقسم: كلا والله لن نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد.

ثم أرسل أبو جهل فاستدعى عامر بن الحضرمي فقال له: هذا حليفك يريد أن يرجع الناس وقد رأيت ثأرك بعينيك فقم فأنشد خفرتك[2] ومقتل أخيك. فقام عامر بن الحضرمي فكشف عن عجزته وصرخ واعمراه فافسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه حكيم بن حزام[3].

وساءت حال المشركين حين علموا باستيلاء المسلمين على الماء. فقد روي عن بعضهم أنهم كانوا في خباء لهم على جزور يشوون ويأكلون حينما جاءهم من يخبرهم الخبر فساءهم ذلك وزهدت نفوسهم الطعام. ويضيف ابن كثير نقلاً عن ابن إسحاق أن القرشيين لم يناموا ليلتهم هذه. وهذا كله يدل على الحالة النفسية السيئة التي أمسى فيها القرشيون بعد أن استولى المسلمون على الماء.

---

(١) السحْر: الرئة، وانتفخ سحره جاوز قدره.

(٢) خفرتك: ذمتك.

(٣) سيرة ابن هشام ص ٦٢٢-٦٢٣.

وحميت الحرب وفسد أمر الناس وتمسكوا بما هم عليه من الشر. ولما بلغ عتبة بن ربيعة ما قاله فيه أبو جهل قال: سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو، وبدأ يستعد للمعركة كغيره، ولم يجد عتبة بن ربيعة بيضة تدخل فيها رأسه لعظم هامته، فعصب رأسه ببرد له[1].

ذكر في السيرة الحلبية أن رسول الله ﷺ بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قريش يقول: «ارجعوا فإنه إن يلي هذا الأمر مني[2] غيركم أحب إلي من أن تلوه مني» قال حكيم بن حزام: قد عرض نصفاً فاقبلوه فوالله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف. فقال أبو جهل: والله لا نرجع بعد أن مكننا الله منهم.

من السهل أن نتصور واقع جيش مكة في بدر ليلة المعركة من الروايات السابقة فهم كثير عددهم عظيم عتادهم وافر طعامهم تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، أبو جهل يتولى زعامة العناد والمكابرة والإصرار على الحرب ولم يكن هو الزعيم الأوحد فقد كان كثيرون يعارضون رأيه ويرونه شؤماً عليهم فهذا حكيم بن حزام يحاول ما وسعته المحاولة ويجاهد ما وسعته المجاهدة أن يثنيهم عن الحرب ويطالبهم بالعودة، ولم يعد وحده لأنه حتما يخاف أن يوصم بالجبن والتخلي عن قومه وقت الحرب. وهذا عتبة بن ربيعة يميل إلى إنهاء حالة الحرب ولكنه لم يستطع لوجود أبي جهل بينهم كلما بدأ عتبة خطوة وضع أبو جهل في طريقه العراقيل. وهؤلاء بنو هاشم خرجوا مكرهين لا رغبة لهم في القتال، وإذا دب الخلاف بين قوم دب فيهم الوهن والضعف وحل الفشل محل الفوز والنجاح. إن أي سلاح مع اختلاف القلوب وتشتت العزائم لا يأتي بالنصر لأن السلاح لا يحارب وحده، وإنما يحارب به الرجال والرجال بقلوبهم وعزائمهم وإيمانهم بالقضية التي يبذلون دماءهم وأرواحهم وأموالهم من أجلها.

لقد بانت نذر هزيمة المشركين منذ الليلة السابقة على المعركة فهم قد جمعوا وأوعبوا من عدة الحرب المادية لكنهم بفضل الله فقدوا أهم أسلحة المعركة الإيمان ووحدة الصف

(١) سيرة ابن هشام ص ٦٢٤.
(٢) يقصد أمر الحرب.

ووحدة الهدف. ولقد كانوا يعرفون ذلك ويعرفون أنهم ليسوا على قلب رجل واحد، بل ربما كانوا يعلمون ويشكون على الأقل في أن النصر سيكون لهم. بالرغم مما يقوله بعض المحللين من أنهم لا مناص لهم من المواجهة حفاظاً على مكانتهم وهيبتهم وأن رجوعهم دون قتال بعد أن واجههم محمد بهذا العدد القليل الذي سيهدم كل ما أقامه القرشيون على مر الأجيال من هيبة واحترام في قلوب العرب جميعاً.

هذا بالإضافة على الأهمية البالغة لتأمين طريق القوافل بين مكة والشام وقد تعرضت قوافلهم لاعتراض المسمين أكثر من مرة فلا بد لهم من أن يهزموا المسلمين حتى لا يعودوا إلى الاجتراء على قوافلهم الغادية والرائحة. ولكنها في الوقت نفسه الكبرياء والغطرسة والتعالي والاستبداد بالرأي واستشعار القوة والمنعة واحتقار معسكر المسلمين والاستخفاف بهم وازدرائهم، فكان أن أوردهم كل ذلك موارد الهلاك والهزيمة، وقد كان الشيطان جاراً لهم وكان الله مع المسلمين يؤيدهم بنصره ويعزهم ويثبتهم والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الملص وهوالطريق الذي سلكه أبو سفيان مع القافلة

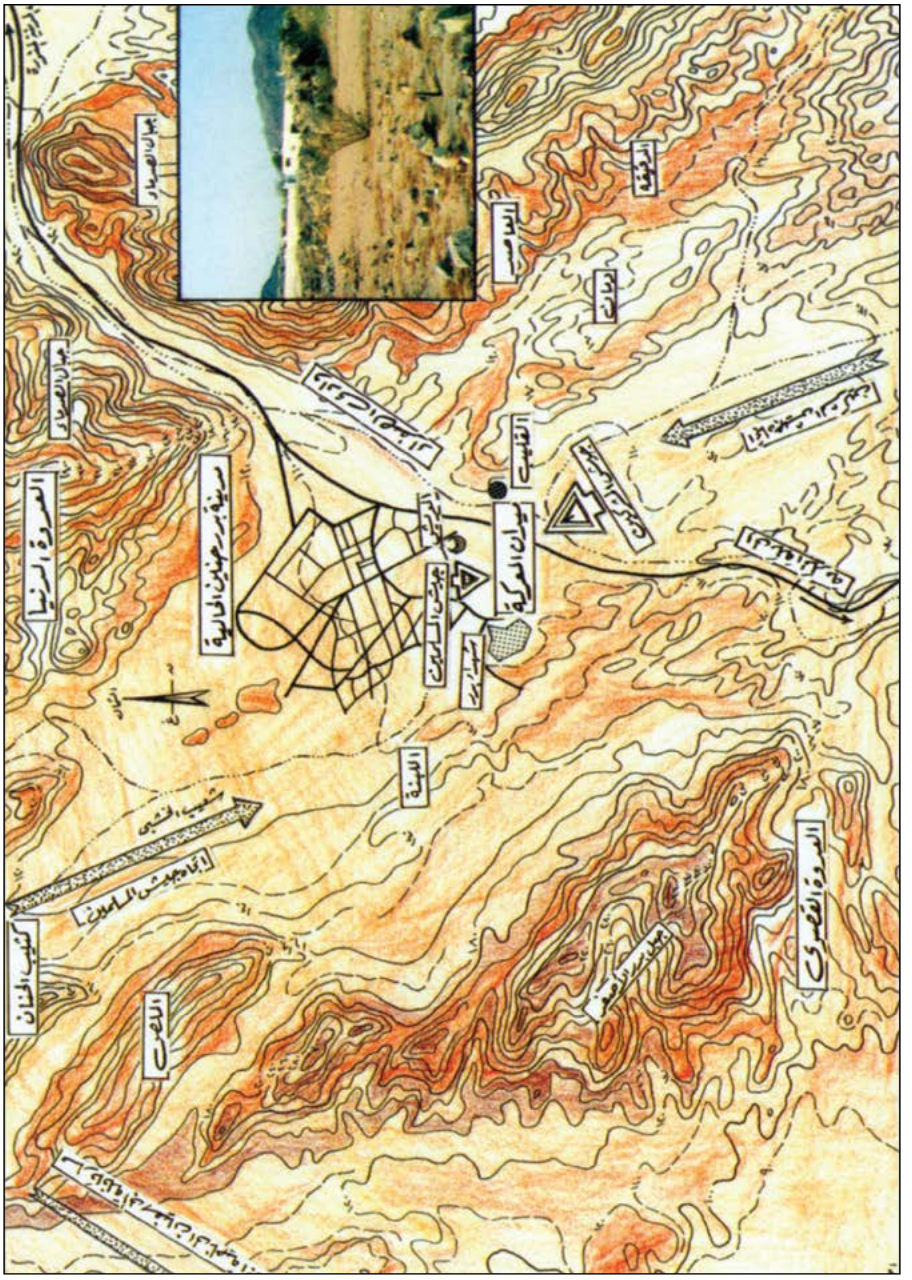

خارطة تبين أرض المعركة

اطمأن رسول الله ﷺ واستراحت نفسه إلى منزل المسلمين على ماء بدر بعد ان استوثق من موقف أصحابه المهاجرين منهم والأنصار، وتأكد عنده تقبلهم لقرار الحرب واستعدادهم للبذل والعطاء، بذل المهج والأرواح، كما تأكد له أنهم قد لبسوا ثوب الطاعة لله ولرسوله، ولم ولن يخلعوه ابداً.

ونزلت قريش بالعدوة القصوى خلف الكثيب في وادي بدر أو في سهل بدر، وهم على ما هم عليه من اختلاف في الرأي بين من يرى أن أسباب الخروج من مكة إلى بدر قد انتهت بنجاة القافلة وأن العودة قد وجبت دون قتال لأن القتال سيوغر الصدور، ويزيد العداوات أكثر من ذي قبل، وعلى رأس هؤلاء عتبة بن ربيعة صاحب الجمل الأحمر الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «إن يك في أحد من القوم خير ففي صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا». وحكيم بن حزام الذي كان يمشي بينهم ليدعوهم إلى الرجوع دون قتال[1].

وفي الطرف الآخر أبو جهل فرعون هذه الأمة كما وصفه رسول الله ﷺ يقف بالمرصاد وبكل عناد الكفر وحقد الجهل لكل بادرة من بوادر السلام فقد كان مسخراً لغاية أرادها الله في هذا اليوم الأغر، وقد أصابهم المطر فصعبت عليهم الحركة، واستولى المسلمون على الماء فباتوا يتهددهم العطش.

ونزل المسلمون بالعدوة الدنيا على آخر ماء من بدر، وعورت الآبار الأخرى، وبنى المسلمون الحوض وشغلوا به طول ليلهم يملأونه ليشربوا منه خلال المعركة، وتقدم سعد بن معاذ رضي الله عنه من رسول الله ﷺ يقول: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه،ونعد لك عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ٦٢٢.

كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا. فقد تخلف عنك أقوام- يا نبي الله- ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك.

فأثنى رسول الله ﷺ عليه، ودعا له بالخير، ثم بنى العريش من الجريد لرسول الله ﷺ بمكان مرتفع ليشرف على الناس ويرى ميدان المعركة كله.

وقام سعد بن معاذ رضي الله عنه متوشحاً سيفه على باب العريش، ودخل ﷺ العريش ومعه أبو بكر رضي الله عنه[1].

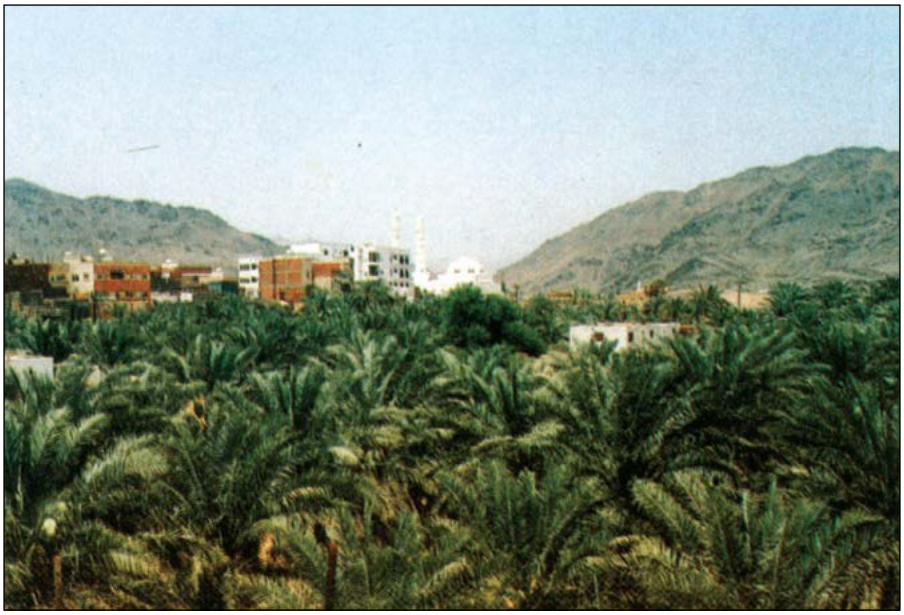

جزء من مكان المعركة أمام مسجد العريش وفيه اليوم مزرعة نخيل

وأرسل رسول الله ﷺ عمار بن ياسر وابن مسعود فطافا بقريش ومن معها، ثم عادا يقولان: يا رسول الله، القوم مذعورون، فزعون، إن الفرس ليريد أن يصهل فيضرب وجهه، في الصباح قال نبيه بن الحجاج- وكان رجلاً يبصر الأثر- هذا أثر ابن سمية وابن أم عبد أعرفه، قد جاء محمد بسفهائنا، وسفهاء أهل يثرب، ثم قال:

(١) سيرة ابن هشام ص٦٢٠.

لم يـترك الخـوف لنـا مبيتـاً لا بـد أن نمـوت أو نميتـا

وفي رواية لمسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ليلة بدر: «هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً ووضع يده على الأرض، وهذا مصرع فلان ها هنا، وهذا مصرع فلان ها هنا، قال أنس: ما ماط أحدهم عن موضع يده ﷺ وعن علي رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا يوم بدر وما منا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ فإنه كان يصلي، ويدعو، ثم إنه أصابنا من الليل طش (المطر الضعيف القليل) من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: «اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تعبد» فلما طلع الفجر نادي: «الصلاة يا عباد الله» فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرضهم على القتال.

مسجد العريش ... وبجواره الساحة التي استخدمت كمهبط للطائرة التي استعملت للبحث في المرحلة الأخيرة

خُطبَةُ رَسُولِ الله ﷺ قَبلَ المعركة

جاء في مغازي الواقدي: حدثني محمد بن قدامة عن عمر بن حسين قال: كان لواء رسول الله ﷺ يومئذ- الأعظم- لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الأوس مع سعد بن معاذ. قالوا: وخطب رسول الله ﷺ يومئذ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال وهو يأمرهم ويحثهم ويرغبهم في الأجر: «أما بعد: فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه، فإن الله عظيم شانه، يأمر بالحقن ويحب الصدق، ويعطي على الخير أهله على منازلهم عنده، به يذكرون وبه يتفاضلون، وإنكم قد أصبحتم من منازل الحق، لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه. وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم، وينجي به من الغم، وتدركون به النجاة في الآخرة، فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم يمقتكم عليه فإن الله يقول: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ انظروا على الذي أمركم به في كتابه وأراكم من آياته، وأعزكم بعد ذلة فاستمسكوا برضى ربكم عنكم، وأبلوا ربكم في هذه المواطن أمراً تستوجبوا الذي عدكم به من رحمته ومغفرته فإن وعده حق، وقوله صدق، وعقابه شديد، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم إليه ألجأنا ظهورنا، وبه اعتصمنا، وعليه توكلنا، وإليه المصير، يغفر الله لي وللمسلمين»[1].

وصفّ رسول الله ﷺ صفوفاً مستوية حرص أن تكون كصفوف الصلاة لا يشذ أحد عن مكان. وروى المحدثون أن رسول الله ﷺ صف أصحابه في صفوف يتلاحم كل صف ويتلاصق الواقفون فيه ليس بينهم فرج كل واحد منهم درع لصاحبه يحميه ويدفع عنه، وكان يسوي الصفوف بقدح في يده، فرأي سواد بن غزية خارجاً عن الصف متقدماً عن أصحابه فطعنه في بطنه بالقدح الذي في يده وقال: «استو يا سواد» فقال

(١) المغازي للواقدي، الجزء الأول ص ٥٨-٥٩.

سواد: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني[1]. قالوا فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه الشريف وقال: «استقد يا سواد» (أي اقتص لنفسك) فاعتنقه سواد وقبل بطنه، ولما سأله ﷺ: «ما حملك على ذلك يا سواد» قال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك. فدعا له رسول الله ﷺ بخير[2].

مكان معسكر المسلمين بعد قدومهم من العدوة الدنيا

(١) أقدني: أمكني من القصاص.

(٢) سيرة ابن هشام ص ٦٢٦.

المكان الذي اتكأ فيه الرسول ﷺ

وقد روى أبو داوود أن رجلاً من الأنصار كان فيه مزاح فبينما هو يحدث القوم يضحكهم، إذ طعنه رسول الله ﷺ في خاصرته بعود كان في يده فقال: أصبرني يا رسول الله (أي: أقدني) ومكني من نفسك لاقتص منك. فقال عليه الصلاة والسلام: «اصبر» (أي اقتص لنفسك) قال: إن عليك قميصاً وليس علي قميص، فرفع رسول الله ﷺ قميصه فجعل يقبل كشحه (بطنه).

وفي الروايتين نرى حرصه ﷺ على أن يرسي مبدأ القصاص وحرصه على أن يعمق في نفوس أصحابه أن لا أحد يعلو فوق الحق وأن من جنى جناية يجب أن يسلم نفسه للقصاص مهما علا مركزه ومكانه، فليس هناك من هو أعز وأكبر من رسول الله ﷺ بين أصحابه. كما نرى حرص النبي ﷺ على المساواة بين الناس وعلى أن يكون كواحد منهم لا يتميز على أحد منهم بشيء مع أنه نبي الله وأفضلهم وقائدهم، ونرى أيضاً حرص أصحاب رسول الله ﷺ على أن يلتمسوا أدنى صلة تصلهم به فتصيبهم بذلك بركته برحمة الله. وقد روي أن النار لا تمس شيئاً مس جسده الشريف.

جانب من معسكر قريش بعد قدومهم من العدوة القصوى

جزء من أرض المعركة

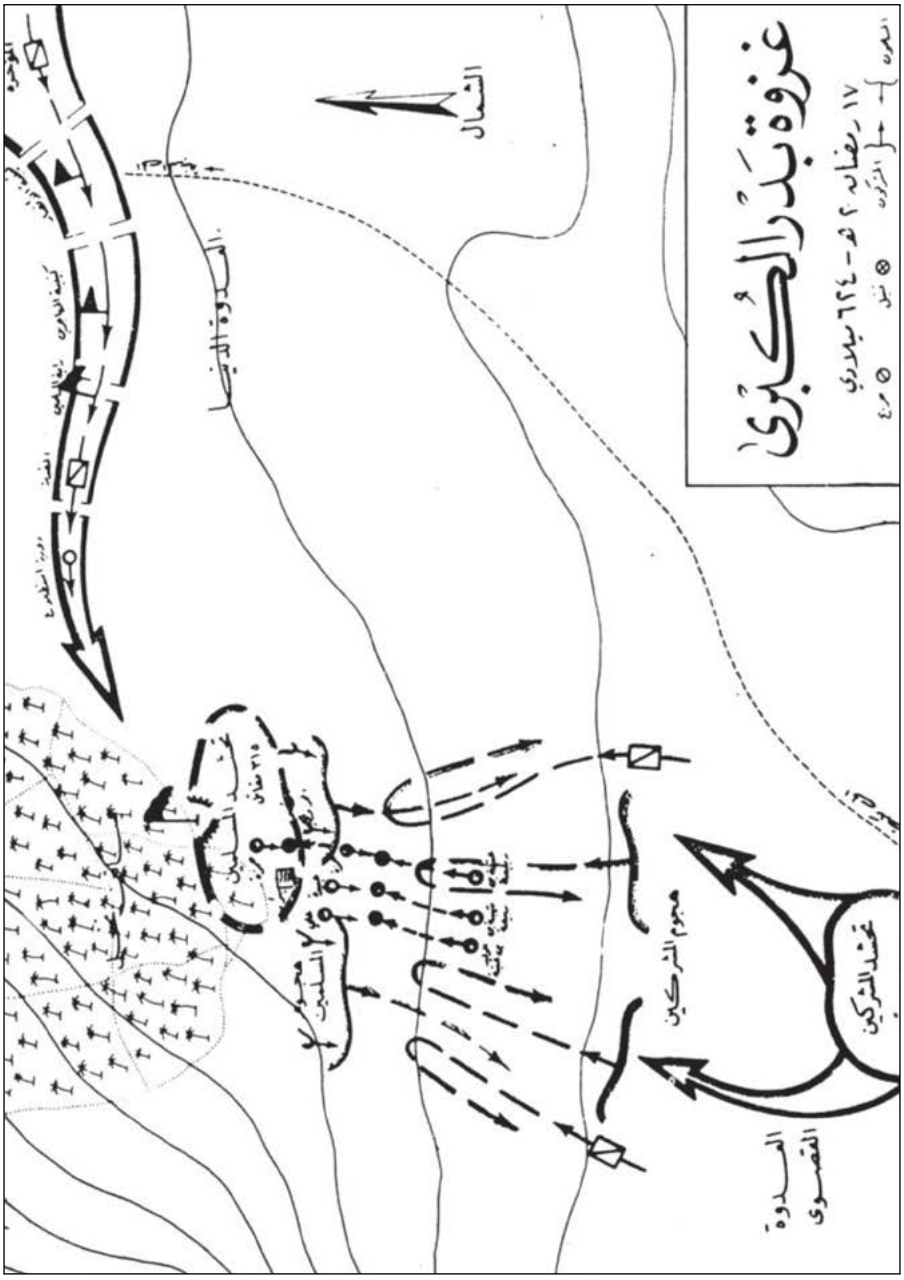

غزوة بدر عن كتاب الدكتور حسين مؤنس «يوم التقى الجمعان»

وحين استوت الصفوف وتلاحمت، أمرهم رسول الله ﷺ:

أ- أن يرموا خصومهم بالنبال.

ب- أن يدخروا سهامهم فلا يرمون إلا من قريب حتى تتأكد إصابة الهدف.

جـ- ألا يخرجوا سيوفهم حتى يغشوهم.

وقد تعجب الغفاريون الذين جاءوا ينظرون وينتظرون على من تدور الدائرة ليشاركوا في السلب والنهب والغنيمة. تعجبوا من هذا الاسلوب غير المالوف في القتال، فقد تعودوا كما تعود العرب جميعاً قتال الكر والفر ولم يالفوا قتال الصفوف المجتمعة المتراصة.

ودفع ﷺ الراية إلى مصعب بن عمير فتقدم بها إلى موضعها الذي يريد ان يضعها فيه عليه الصلاة والسلام ووقف النبي الكريم ينظر إلى الصفوف وقد استقبل بها المغرب وجعل الشمس خلفهم، وجاء المشركون فاستقبلوا الشمس،وجاء رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن كان هذا منك عن وحي نزل إليك فامض به، وإلا فإني أرى أن تعلو الوادي فإني أري ريحاً قد هاجت من أعلى الوادي وإني أراها بعثت بنصرك. فقال ﷺ: «قد صففت صفوفي ووضعت رايتي فلا أغير ذلك». ونرى هنا كيف سمع الرأي ولم يأخذ به وإنما عزم وتوكل على الله في وقت قبل فيه الرأي في مسألة الموقع من الآبار وأخذ به. ودخل ﷺ العريش ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه،وأخذ يدعو ربه ويناشده المؤازرة والنصر ويستنجزه ما وعده ويقول: « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد في الأرض» والصديق يشفق عليه لما يرى من شدة إقباله على الدعاء والابتهال، وكثرة إلحاحه في طلب النصر من الله فيأخذ بمنكبيه ويقول: يا رسول الله

بعض مناشدتك لربك فإن الله منجز لك ما وعدك. فانزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال: ٩) قالوا وغفا رسول الله ﷺ غفوة أو كاد ثم انتبه وهو يقول: «أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع»[١].

وفي باب الدعاء والابتهال على الله بالنصر روايات متعددة يقوى يعضها بعضاً وتؤكد لنا أنه ﷺ بعد ان أعد عدته ووضع خطته ونظم صفوفه وأصدر أوامره ووصاياه، وأمد جيشه بالشحنة الإيمانية والروح المعنوية العالية اتجه إلى الله يسأله النصر والتوفيق ويبتهل إليه أن ينجزه وعده.

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم وقال: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا ادخله الله الجنة». فقال عمير بن الحُمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ أفما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده واخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل[٢].

أما ما كان من شأن قريش ومن معها فقد أقبلت عند الصباح من وراء القعنقل (جبل في بدر) إلى الوادي، بعد ليلة ما أطولها من ليلة قضوها في نزاع وخلاف وفشل يتنازعهم الرعب من لقاء المسلمين والكبرياء والغرور.

وكان أول من طلع زمعة بن الأسود ومعه ابنه، فاستجال بفرسه يريد أن يتبوأ للقوم منزلاً، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم فأحنهم الغداة»[٣] وفي رواية: «اللهم إنك أنزلت علي الكتاب وأمرتني الثبات ووعدتني إحدى الطائفتين وإنك لا تخلف الميعاد اللهم أحنهم (أهلكهم) الغداة. اللهم لا تفلتن زمعة بن الأسود. اللهم

(١) النقع: الغبار.
(٢) سيرة ابن هشام ص ٦٢٧.
(٣) سيرة ابن هشام ص ١٣٥.

اسحق عين أبي زمعة وأعم بصر أبي زمعة. اللهم لا تفلتن سهيلاً»[1].

استفتاح أبي جهل:

يروي بعض المحدثين أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرفه فاحنه الغداة فكان المستفتح[2] وفيه نزلت: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١٩).

المشركون يردون الحوض:

ولما نزلت قريش بعد ليلتها تلك، جاء جماعة من قريش ليردوا الحوض فأراد بعض أصحاب رسول الله ﷺ منعهم فقال عليه الصلاة والسلام: «دعوهم» فشربوا واستقوا. ويقول الرواة: ما شرب أحد منهم في هذا اليوم من حوض المسلمين إلا قتل في المعركة بعد ذلك إلا حكيم ين حزام فقد نجا وأسلم وحسن إسلامه، وكان إذا اجتهد في يمينه- كما يقولون ﷺ يقول: والذي نجاني يوم بدر[3].

بأمر الله يرى كل فريق الفريق الآخر قليل العدد والعدة:

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ (الأنفال: ٤٣-٤٤).

قال عبد الله بن مسعود: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة.

---

(١) سيرة ابن هشام ص ٦٢٨.

(٢) سيرة ابن هشام ص ٦٢٢.

(٣) سيرة ابن هشام ص ٦٢٢.

﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾ (الأنفال: ٤٩) ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ﴾ (الأنفال: ١٣).

رأي المسلمون أعداءهم قليلي العدد قبل المعركة، وكذلك المشركون رأوا عدد المسلمين قليلاً قبل المعركة، وحين التحم الجمعان وبدأ القتال تبدل الحال فرأوهم مثليهم رأي العين وذلك لأن الله أرسل الملائكة مدداً للمسلمين وبهم كثر العدد.

مخاطرة المخزومي:

يروي ابن اسحق: أن الأسود المخزومي- وكان رجلاً شرساً سيء الخلق والطبع - أقسم ليشربن من حوض رسول الله ﷺ أو ليهدمنه، أو ليموتن دونه، فخرج له حمزة فضربه بسيفه ضربة أطن (بتر) ساقه فيها فوقع على ظهره، وحبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ليبر قسمه، وهدم جانباً بساقه الصحيحة، فتابعه حمزة فضربه فقتله في الحوض[1].

الأولون جاءوا يشربون للارتواء من الظمأ فأمر رسول الله ﷺ بتركهم يشربون، بدافع من الرحمة والإنسانية ولو كانوا أعداء. أما هذا الأسود المخزومي فقد جاء تحدياً وبغياً وعدواناً وشراسة وسوء أدب، فاختلف الأمر وكان لا بد من تأديبه ووقفه عند حده وردع الآخرين بقتله. وهذه دروس استفدنا منها من ممارسة رسول الله ﷺ في الحرب وشريعته في ميدان القتال.

المبـارزة:

وكانت عادة العرب في الجاهلية أن يبدأوا معاركهم بلقاء الفرسان والأبطال في المبارزة رجل لرجل، فخرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، فدعا إلى المبارزة، ولم يلتفت إلى قول من قال له: تنهى عن شيء وتكون أول من يأتيه، فقد كان قبل ذلك يدعو الناس إلى الرجوع ونبذ القتال، ويتعهد ويتكفل بدية حليفة عمرو بن الحضرمي وماله، فسخر منه أبو جهل وسخر منه سفهاء قريش، فكأنه أراد أن يثبت

(١) سيرة ابن هشام ص ٦٢٤-٦٢٥.

للقوم أنه أكثرهم شجاعة وإقداماً وأن دعوته للمسالمة لم تكن عن خوف أو جبن. فخرج لهم شباب من الأنصار. قيل هم عوف ومعوذ ابنا الحارث وعبد الله بن رواحة. فسألهم عتبة من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار. قالوا ما لنا بكم حاجة ثم نادى مناد يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال عليه الصلاة والسلام: قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا علي، فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة. وقال علي: علي.. قالوا: نعم أكفاء كرام.

فبارز حمزة شيبه، ولم يمهله أن قتله. وبارز علي الوليد فقتله علي وبارز عبيدة – وكان أسن القوم – عتبة بن ربيعة فاختلفا ضربتين، أثبت كل منهما صاحبه، وكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فأجهزا عليه، وحملا علي صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.

وبعد أن حمل علي وحمزة عبيدة بن الحارث – رضي الله عنهم – جريحاً إلى جوار رسول الله ﷺ، وسّده قدمه الشريفة، فسأل عبيدة النبي ﷺ: ألست شهيداً فقال له رسول الله ﷺ: «أشهد أنك شهيد» وتوفي رضي الله عنه بالصفراء في رحلة العودة، ودفن بها.

وقد قالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب شعراً ترثيه قالت:

لقد ضمن الصفراء مجداً وسؤددا ... وحلماً أصيلاً وافر اللب والعقل
عبيدة فابكيه لأضياف غربة ... وأرملة تهوي لأشعث كالجل
وبكيه للأقوام في كل شتوة ... إذا احمر آفاق السماء من المحل
وبكيه للأيتام والريح زفزف ... وتشتيت قدر طالما أزبدت تغلي
فإن تصبح النيران قد مات ضوءها ... فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليل أو لملتمس القرى ... ومستمنح أضحى لديه على رسل

روى البخاري بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة وفينا نزلت هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾ (الحج: ١٩). يعني علياً وحمزة وعبيدة مع عتبة وشيبة والوليد»[1].

عدل الرسول عليه الصلاة والسلام الصفوف وقال لهم: «إن دنا منكم القوم فانضحوهم (أرشقوهم) عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم (لا ترموهم عن بعد) ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم» عن أبي أسيد قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر حين صففنا لقريش: «إذا أكثبوكم - يعني غشوكم- فارموهم» ثم خطبهم وحثهم على الجهاد. ورجع إلى العريش. قال خفاف بن إيماء: فرأيت أصحاب النبي ﷺ يوم بدر وقد تصاف الناس وتزاحفوا، لا يسلون السيوف، وقد انبضوا القسي (حركوا الأوتار) وقد ترس بعضهم على بعض بصفوف متقاربة لا فرج بينها والآخرون قد سلوا السيوف حين طلعوا فعجبت من ذلك، فسالت بعد ذلك رجلاً من المهاجرين فقال: أمرنا رسول الله ﷺ ألا نسل السيوف حتى يغشونا.

ورجع رسول الله ﷺ إلى العريش ومعه أبو بكر يدعو ربه ويناشده أن ينجز للمؤمنين وعده فجاءته البشرى بنزول الملائكة مدداً للمسلمين: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ (الأنفال: ٩-١٠).

وخرج الرسول الكريم ﷺ يتلو: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٥).

الرسول القائد ﷺ يقدم القدوة والأسوة لقادة المسلمين ورؤسائهم في كل زمان ومكان فقد أعد لكل شيء عدته بقدر طاقته ولم يدخر وسعاً ولا جهداً، فقد أعد جنده قبل المعركة معنوياً ونفسياً وجسدياً ثم أرسل الطلائع يتحسسون له أخبار عدوه وأحوال القبائل من حول المدينة، بل وخرج بنفسه ليقوم مع الصديق بمهمة استطلاعيه واستطاع

(١) سيرة ابن هشام ص ٦٢٥.

بمهارة وذكاء أن يستنبط من كلام السقاة عدد جيش المشركين ومن في هذا الجيش من عتاة الشرك وزعماء قريش، وباختصار ألم ﷺ بكل ما يهمه من أخبار جيش الأعداء ثم حرص على أن يدخل المعركة بجنود كلهم يعرفون عظم المهمة الملقاة عليهم ويقدرون ما سيترتب عليها من آثار، قلوبهم تتمنى الشهادة لعلمهم بما أعد لشهيدهم من الكرامة عند ربه مؤمنون بعدالة القضية التي يحاربون من أجلها.

ثم اتخذ عدة خطوات عسكرية عبقرية: الاستيلاء على الماء وحرمان الأعداء منه للتأثير على قواهم المادية وروحهم المعنوية، الأسلوب الجديد في الحرب الذي لم تألفه العرب وهو الحرب بالصفوف المتراصة المتلاحمة التي يترس فيها الجند بعضهم عن بعض ويحمي بعضهم بعضاً ثم يأمرهم بالبقاء في أماكنهم حتى يهاجمهم عدوهم وذلك ليحتفظوا بقوتهم الصغيرة متماسكة وحتى لا تتبدد. ثم أمرهم أن يرموا عدوهم بالنبال إذا اقترب منهم ولا يرمونه من بعيد لكي لا تطيش سهامهم القليلة وتكون كل رمية بقتيل أو جريح، ويبقى عدوهم بعيداً عنهم أطول مدة ممكنة تحدث الأثر المطلوب في زعزعة ثقتهم بأنفسهم.

وأمرهم ألا يخرجوا سيوفهم من أغمادهما إلا إذا غشيهم العدو وخالطهم. أضف إلى ذلك مشاوراته وحسن استماعه إلى آراء أصحابه في شأن الحرب وأسلوبها وقبول الصالح منها والإشادة به والدعاء لصاحبه بالخير كما حدث مع الحباب بن المنذر الخزرجي، وسعد بن معاذ صاحب مشورة العريش.

هذا هو الأخذ بالأسباب وبقي الجانب الروحي الإيماني فقد حرص النبي ﷺ على أن يعلم أصحابه أن النصر من عند الله مع الأخذ بالأسباب فالله تعالى يقول لهم: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ (الأنفال: ٦٠). وقد بينا قبلاً أن القوة تختلف باختلاف الزمان والمكان والقدرة المادية والواجب بذل أقصى الطاقة للوصول إلى غاية القوة التي تضمن للأمة أمنها وسلامتها وعزتها. ثم يأتي بعد ذلك دور الثقة في نصر الله وإليه يلجأ المؤمن بقلب سليم خالص يسأله التوفيق والسداد والنصر وهكذا فعل

رسول الله ﷺ فقد بات ليله ساجداً ينادي الحي القيوم ويناجي ربه ويناشده أن ينجز وعده له بالنصر حتى أشفق عليه الصديق من كثرة دعائه وابتهاله وإلحاحه على ربه في طلب النصر. فاعتبروا يا أولي الألباب.

وحين رأي المسلمون القتال قد نشب والتحمت الصفوف عجوا[1] إلى الله بالدعاء يستمدونه نصره وعونه فأمدهم الله تعالى بالملائكة، كما أمدهم بالقوة والثبات وألقى في قلوب الذين كفروا الرعب.

يروى عن ابن عباس أنه قال: إن إبليس قد تصور في صورة سراقة بن جعشم المدلجي يذمر المشركين ويخبرهم أنه لا غالب لكم من الناس، فلما أبصر عدوا الله الملائكة نكص على عقبيه وقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾(الأنفال: ٤٨). فتشبث به الحارث بن هشام وهو يرى أنه سراقة بن جعشم المدلجي، لما سمع من كلامه فضرب في صدر الحارث فسقط الحارث، وانطلق إبليس لا يرى حتى وقع في البحر ورفع يديه وقال: يارب موعدك الذي وعدتني[2].

وأقبل أبو جهل على أصحابه يحرضهم على القتال ويقول: لا يغرنكم خذلان سراقة بن جعشم إياكم فإنما كان على ميعاد مع محمد وأصحابه، سيعلم إذا رجعنا إلى قديد ما نصنع بقومه، لا يهولنكم مقتل عتبة وشيبة والوليد فإنهم عجلوا بطروا حين قاتلوا، وايم الله لا نرجع اليوم حتى نقرن محمداً وأصحابه في الحبال فلا ألفين أحداً منكم قتل منهم أحداً، ولكن خذوهم أخذاً. نعرفهم بالذي صنعوا لمفارقتهم دينكم ورغبتهم عما كان يعبد أباؤهم.

ولما التقى الصفان نادى نوفل بن خويلد بصوت رفيع، يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلاء، يا معشر قريش إن سراقة قد عرفتم قومه وخذلانهم لكم في كل موطن فاصدقوا القوم الضرب، فإني أعلم أن ابني ربيعة قد عجلا في مبارزتهما من بارزا، فقال

(١) عجو إلى الله: رفعوا أصواتهم بالدعاء لله.

(٢) الواقدي: المغازي.

ﷺ حين سمع صوته: «اللهم أكفني نوفل بن خويلد» فلما انتهى القتال قال ﷺ: «من له علم بنوفل بن خويلد؟» فقال علي رضي الله عنه أنا قتلته. فقال ﷺ: «الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه».

وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى:

ولما اشتد القتال أمر رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه قائلاً: «أعطني حصاً من الأرض» فناوله علي حصاً عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وهو يقول: «شاهت الوجوه اللهم أرعب قلوبهم زلزل أقدامهم» ثم قال لأصحابه: «شدوا».

فلم يبق مشرك إلا دخل في عينه من ذلك التراب شيء، ولم يبق مشرك إلا وانهزم وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون وحمل المسلمون على المشركين يصيبون ويثبتون وكأن هذه الحصباء التي ألقاها رسول الله ﷺ في وجوههم قد أصابتهم بالعمى. ونزلت الآية توضح أن الفعل الظاهر فعل رسول الله ﷺ فقد أخذ القبضة وألقى بها في وجوههم ولكن كم تبلغ هذه القبضة حتى تصيب كل واحد منهم بحصاة وكم تبلغ قوة رمية رسول الله ﷺ حتى تصل إلى قاصيهم ودانيهم؟.

إنها قدرة الله ضاعفت الحصا أضعافاً حتى أصابتهم جميعاً وضاعفت من قوة الرمية أضعافاً كثيرة حتى وصلت إليهم جميعاً وفي ذلك يقول البوصيري:

ورمـا بالحصـا فأقصـد جيشـاً ... مـا العصـا عنـده ومـا الإبقـاء

وقاتل المسلمون بهمة من يطلب الشهادة قبل النصر، ولا يقبل الهزيمة بحال من الأحوال، لا يترددون ولا يتراجعون، يسرع بعضهم إلى مؤازرة بعض. رغم قلتهم فقد صاروا بإيمانهم ويقينهم بنصر الله عند الملحمة كثير.

بطولات إيمانية:

وظهرت في هذه الموقعة عند اللقاء بطولات إيمانية رائعة من نفوس تطلب شهادة لتحيا في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. فقد روي أن النبي ﷺ خرج إلى الناس فحرضهم فقال: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا ادخله الله الجنة» فقال عمير بن الحمام: بخ بخ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، ثم قذف بتمرات كانت في يده وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل، وفي رواية أنه ﷺ قال: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين» فقال عُمير: بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ: «لم تبخبخ؟» فقال عمير: رجاء أن أكون من أهلها، ثم أخذ تمرات يلوكهن ثم قال: والله إن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فنبذهن وقاتل حتى قُتل[1]، وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

كان حارثة بن سراقة قد سأل رسول الله ﷺ أن يدعو له بالشهادة حين استقبله عليه الصلاة والسلام وسأله: «كيف أصبحت يا حارثة؟» قال: أصبحت مؤمناً بالله حقاً. قال: «انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة» قال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، فكأني بعرش الله بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، قال ﷺ: أبصرت فالزم عبد» أي أنت عبد بذر الله الإيمان في قلبه، قال حارثة: فقلت: ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله ﷺ، فكان أول شهيد من الأنصار في بدر أصابه سهم وهو يشرب على الحوض.

---

(١) سيرة ابن هشام ٦٢٧.

عن أنس بن مالك: أصيب حارثة يوم بدر، وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ، قالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترَ ما أصنع؛ فقال: «ويحك، أو هبلتِ، أوَ جنةٌ واحدةٌ هي؟ إنها جِنان كثيرة، وإنه في الفردوس الأعلى». «رواه البخاري»

وقال عوف ابن الحارث - ابن عفراء - يا رسول الله ما يضحك[1] الرب من عبده؟ قال عليه الصلاة والسلام: «غمسه يده في العدو حاسراً»[2] فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل.

ومن أبطال بدر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد قتل وحده في ذلك اليوم اثنين وعشرين رجلاً.

ومن أبطال بدر حمزة بن عبد المطلب. يروي بعد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. أنه حين أخذ أمية بن خلف أسيراً قال له: إني رأيت رجلاً فيكم اليوم معلماً في صدره ريشة نعامة من هو؟ قلت حمزة بن عبد المطلب، فقال: فذاك الذي فعل بنا الأفاعيل[3].

وكان علي رضي الله عنه يقول: إني يومئذ (يوم بدر) بعدما ارتفع النهار وقد اختلطت الصفوف خرجت في أثر رجل منهم فإذا رجل من المشركين على كثيب وسعد بن خيثمة وهما يقتتلان حتى قتل المشرك سعد بن خيثمة والمشرك مقنع في الحديد، وكان فارساً فاقتحم عن فرسه فعرفني وهو معلم ولا أعرفه فناداني هلم ابن أبي طالب للبراز قال: فعطفت عليه فانحط إليّ مقبلاً وكنت رجلاً قصيراً فانحططت راجعاً لكي ينزل إلي فكرهت أن يعلوني بسيفه فقال: يا ابن أبي طالب فررت؟ فقلت: قريباً مفر، ابن الشتراء؟! قال: فلما استقرت قدماي وثبت أقبل فلما دنا مني ضربني، فاتقيت بالدرقة فوقع سيفه فلزم فاضربه على عاتقه وهو دارع فارتعش، ولقد فض سيفي درعه فظننت

(١) الضحك هنا من الرضا والفرح.
(٢) حاسراً أي بدون درع.
(٣) ابن هشام ٣٦٢.

أن سيفي سيقتله فإذا بريق سيف من ورائي فطأطأت رأسي ويقع السيف فأطن قحف رأسه بالبيضة وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب: فالتفت من ورائي فإذا حمزة بن عبد المطلب.

كذلك من أبطال بدر عكاشة بن محصن[1]: وهو من بني أسد حليف لبني عبد شمس بن عبد مناف من المهاجرين الأول شهد بدراً وقاتل وصال وجال كالأسد الهصور يحصد رقاب المشركين حصداً حتى انكسر سيفه، ولم يجد في ذلك عذراً ليتردد أو يمتنع عن القتال فذهب إلى رسول الله ﷺ يخبره أن سيفه انكسرن فأعطاه رسول الله ﷺ جزل حطب، وقال له «قاتل بهذا يا عكاشة» فأخذه فهزه في يده فعاد سيفاً صارماً طويلاً شديد المتن أبيض الحديد، فقاتل به حتى جاء نصر الله. وبقي عنده هذا السيف وشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى استشهد في حروب الردة.

ولعكاشة رضي الله عنه قصة طريفة مع رسول الله ﷺ جاء في الصحيحين: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة سبعون ألف من أمتي بغير حساب، على صورة القمر ليلة البدر، وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون» فقال عكاشة: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم أجعله منهم» أو قال: أنت منهم» فقال رجل آخر: ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم فقال عليه الصلاة والسلام: «سبقك بها عكاشة» فصارت مثلاً.

ومن أبطال بدر أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري، يروي عبد الرحمن بن عوف أن أمية بن خلف سأله: فمن رجل دحداح قصير معلم بعصابة حمراء؟ قال: قلت ذاك رجل من الأنصار يقال له سماك بن خرشة، فقال وبذاك أيضاً يا عبد الإله صرنا اليوم جزراً لكم - قتل في ذلك اليوم ثمانية من المشركين.

---

(١) سيرة ابن هشام ٦٣٧-٦٣٨.

ولما جال المسلمون واختلطوا اقبل عاصم بن أبي عوف بن ضبيرة السهمي كأنه ذئب يقول يا معشر قريش عليكم بالقاطع مفرق الجماعة الآتي بما لا يعرف محمد، لا نجوت إن نجا ويعترضه أبو دجانة، فاختلفا ضربتين، وضربه أبو دجانة فقتله، ووقف على سلبه يسلبه، فمر عمر بن الخطاب وهو على تلك الحال، فقال دع سلبه حتى يجهض العدو، وأنا أشهد لك به، ويقبل معبد بن وهب فضرب أبا دجانة ضربة فبرك أبو دجانة فذبح المشرك ذبحاً وأخذ سلبه.

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال:« لقيت يوم بدر عُبيدة – ويقال: عَبيدة – بن سعد بن العاص، وهو مدجج، لا يرى منه إلا عيناه – وكان يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملتُ عليه بالعنزة، فطعنته في عينه فمات. قال هشام بن عروة: فأُخبرتُ أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطيت، فكان الجهدُ أن نزعتها، وقد أنثني طرفاها. قال عروة: فسأله إياها رسول الله ﷺ، فأعطاه إياهن فلما قُبض أخذها. ثم طلبها أبو بكر، فأعطاه إياها، فلما قُبض أبو بكر، أخذها، ثم سألها عمر، فأعطاه إياها، فلما قُبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قُتل وقعت على آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قُتل».«أخرجه البخاري»

ومن أبطال بدر الخباب بن المنذر بن الجموح ذو الرأي. وثابت بن الجذع، والمجذر بن زياد، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، وسعد بن ربيع، ورفاعة وعبد الله وزهير والسائب أبناء رفاعة. وأبو بردة بن نيار قال: أتيت يوم بدر بثلاثة رءوس فوضعتها بين يدي رسول الله ﷺ، فقلت يا رسول الله، أما رأسان فقتلتهما، وأما الثالث فإني رأيت رجلاً أبيض طويلاً ضربه فتدهدي أمامه (تدحرج أمامه) فأخذت رأسه، فقال رسول الله ﷺ: ذاك فلان من الملائكة»[1].

أشجع الناس أبو بكر: جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا: من يكون مع رسول الله لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على

(١) رواه أبو عفير عن رافع بن خديج عن أبي بردة. الواقدي: المغازي.

رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه فهو أشجع الناس[1].

أما بطل الأبطال وأشجع الشجعان فهو محمد رسول الله ﷺ فقد رآه الناس يتعقب المشركين يوم بدر وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٥).

وعن علي رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ هو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً.

كان ممن خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان اسمه في الإسلام عبد الكعبة، وقيل عبد العزى، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن، وكان من أشجع قريش وأشدهم رماية وكان أسن ولد أبيه وكان صالحاً وفيه دعابة.

فلما أسلم قال لأبيه: لقد أهدفت لي يوم بدر مراراً فصدفت عنك، أي أعرضت عنك، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لو هدفت لي لم أصدف عنك. أما والله لو لقيتك لقتلتك.. فعبد الرحمن قارن بين أبيه والكفر فرجح أبوه.. وأبو بكر قارن بين أبنه والإسلام فرجح الإسلام.

وقد شد الله أزر المسلمين بالملائكة، فقتل من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر، قالوا وكان سيماء الملائكة يوم بدر عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضراء وصفراء وحمراء من نور والصوف في نواصي الخيل.

عن عاصم بن عمرو، عن محمود بن لبيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة قد سومت فسوِّموا» فأعلموا بالصوف في مغافرهم وقلانسهم.

وكان رسول الله ﷺ في العريش وأبو بكر الصديق، وسعد بن معاذ في نفر من الأنصار والمهاجرين يحرسون رسول الله ﷺ يخافون عليه كرة العدو. فلما رأى سعد إقبال المسلمين على أسر المشركين تغير وجهه فسأله عليه الصلاة والسلام: «فكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم؟» فقال سعد: أجل يا رسول الله، كانت أول موقعة أوقعها الله

(١) مرويات غزوة بدر.

بأهل الشرك، فكان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال.

وذكر بعض رواة السيرة أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «إنكم عرفتم أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا إكراهاً لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله» أي يكتفي بأسره. وقال: «ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله» لدفاعه عن رسول الله ﷺ في مكة ولأنه حضر معه بيعة العقبة وأخذ له المواثيق.

هذا وقد روي عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال لي أبو رافع مولى رسول الله: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب - ثم وهبه لرسول الله ﷺ - وكان العباس رضي الله عنه قد أسلم وأسلمت زوجته أم الفضل (قيل إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة رضي الله عنها) وهي أم أولاده وأسلمت أنا (أبو رافع) وكنا نكتم إسلامنا، لأن العباس كان يكره خلاف قومه، لأنه كان ذا مال كثير، وأكثره متفرق في قريش، ولم يظهر إسلامه إلا يوم الفتح. لهذه الأسباب ولخروجه مكرهاً أمر الرسول عليه الصلاة والسلام: أن لا يُقتل العباس. ولقي المجذر بن زياد رضي الله عنه أبا البختري فقال له: إن رسول الله ﷺ نهانا عن قتلك، فقال البختري: وزميلي، وكان معه رفيق قد خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مليحة، فقال المجذر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك قال: لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعاً، لا تتحدث عني نساء مكة إني تركت زميلي، قتله المجذر بعد أن قاتله. ثم أتى رسول الله ﷺ معتذراً فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به، فأبى إلا أن يقاتلني فقتلته.

وفي هذا اليوم قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه- وكان مشركاً - فإن أباه قصده ليقتله، فولى عنه أبو عبيدة لينكف عنه فلم ينكف، فرجع عليه وقتله، وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢).

مصرع عدو الله أبي جهل:

لما رأت بنو مخزوم مقتل من قُتل من المشركين قالوا: أبو الحكم لا يخلص إليه فإن ابني ربيعة قد عجلا وبطرا[1]، ولم تحام عليهما عشيرتهما، فاجتمع بنو مخزوم وأحاطوا بأبي جهل، وجعلوه بينهم في حلقة حتى لا يصل إليه أحد، ثم بالغوا في الحرص عليه، فألبسوا لأمته عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة، فلقيه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقتله، وهو يحسبه أبا جهل، قتله وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب، ثم ألبسوها أبا قيس بن الفاكه بن المغيرة فتصدى له حمزة رضي الله عنه، وهو يراه أبا جهل، فقتله وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب، ثم ألبسوها حرملة بن عمر، فصمد له علي رضي الله عنه، كل ذلك وأبو جهل بين قومه يجاهدون ألا يصل إليه أحد، ثم أرادوا أن يلبسوها خالد بن الأعلم، فأبي أن يلبسها يومئذ.

فقال معاذ بن عمرو بن الجموح: نظرت إلى أبي جهل في مثل الحرجة وهم يقولون أبو الحكم لا يخلص إليه. فقلت: والله لأموتن دونه اليوم، أو لأخلصن إليه فصمدت له حتى إذا أمكنتني منه غرة[2]، حملت عليه فضربته ضربه وطرحت رجله من الساق فشبهتها بالنواة تنزو من تحت الراضخ (حجر يكسر بها النوى) ثم أقبل ابنه عكرمة علي فضربني على عاتقي، وطرح يدي إلا أنه بقيت جلدة، فإني أسحب يدي بجلدة من خلفي فلما آذتني وضعت عليها رجلي فتمطيت عليها حتى قطعتها، ثم لاقيت عكرمة وهو يلوذ كل ملاذ (يعني يفر ويهرب) لو كانت يدي معي لرجوت يومئذ أن أصيبه. هذا وقد روي عن جابر بن عبد الله قال: أخبرني عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أعطى سيف أبي جهل معاذ بن عمرو بن الجموح.

وقد رويت رواية أخرى في مصرع أبي جهل: عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه حين صفّ النبي ﷺ أصحابه للمعركة ليلاً، وبقي الناس في صفوفهم حتى الصباح،

---

(١) المقصود بهما: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وكانا أول قتلى المشركين مع الوليد بن عتبة.

(٢) غرة: بكسر الغين أي غفلة.

فنظر رضي الله عنه عن يمينه وعن شماله فوجد شابين صغيرين قد ربطت حمائل سيفيهما في أعناقهما لصغرهما فقال في نفسه: لو كنت بين أضلع منهما، فلم ألبث أن التفت إلي أحدهما وقال: يا عم أيهم أبو جهل؟ قلت: وما تصنع به؟ قال بلغني أنه يسب رسول الله ﷺ، فحلفت لئن رأيته لأقتلنه أو لأموتن دونه، فأشرت إليه. والتفت إليّ الثاني فقال مثل قول الأول، فأشرت له إليه، وقلت من أنتما قالا: ابنا الحارث. قال عبد الرحمن فجعلا لا يطرفان عن أبي جهل، حتى إذا كان القتال خلصا فقتلاه وقتلهما.

ولما وضعت الحرب أوزارها سأل رسول الله ﷺ عن أبي جهل، وأمر أن يلتمس في القتلى، فوجده عبد الله بن مسعود في آخر رمق. قال: فوضعت رجلي على عنقه، فقلت الحمد لله الذي أخزاك. فقال: إنما أخزى الله عبد بن أم عبد لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم، لمن الدائرة؟ قلت: لله ولرسوله. قال ابن مسعود: قلت إني قاتلك يا أبا جهل، قال لست بأول عبد يقتل سيده، أما إن أشد ما لقيته اليوم في نفسي لقتلك إياي، ألا يكون ولي قتلي رجل من الأحلاف أو من المطيبين، فضربه عبد الله ضربة ووقع رأسه بين يديه، وحمل سلاحه ودرعه وبيضته، فوضعها بين يدي رسول الله ﷺ. وقال أبشر يا نبي الله بقتل عدو الله أبي جهل، فقال رسول الله ﷺ. أحقاً يا عبد الله؟ فو الذي نفسي بيده لهو أحب إلي من حمر النعم». وفرح رسول الله ﷺ بقتل أبي جهل وقال: «إن الله قتل فرعون هذه الأمة أبا جهل، فالحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده اللهم قد أنجزت ما وعدتني فتمم علي نعمتك» أو كما قال.

وما اتفق عليه أكثر المحدثين أن معاذ بن عمرو وابني عفراء قد أثبتوا[1] أبا جهل، وضرب ابن مسعود عنقه في آخر رمق. لما روي عن رسول الله ﷺ، حينما وقف على مصرع ابني الحارث فقال: «يرحم الله ابني عفراء فإنهما قد شاركا في قتل فرعون هذه الأمة، ورأس أئمة الكفر»[2].

---

(١) أي أصابوه بجروح قاتله.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٦٣٤-٦٣٦.

وفي مجمع الزوائد للهيثمي رواية أخرى عن ابن مسعود قال: أدركت أبا جهل يوم بدر صريعاً فقلت: أي عدو الله قد أخزاك الله؟. قال وبما أخزاني من رجل قتلتموه. ومعي سيفي فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شي، ومعه سيف له جيد فضربت يده فوقع السيف من يده، فأخذته ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: «الله الذي لا إله إلا هو» قلت: الله الذي لا إله إلا هو. قال: «فانطلق فاستثبت» فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته. فقال رسول الله ﷺ: «انطلق» فانطلقت معه فأريته، فلما وقف عليه ﷺ قال: «هذا فرعون هذه الأمة».

مصرع أمية بن خلف:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: استقبل النبي ﷺ الكعبة فدعا على نفر من قريش: على شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبي جهل بن هشام، فأشهد بالله، لقد رأيتهم صرعى، قد غيرتهم الشمس، فكان يوماً حاراً. قال فأتيت أبا جهل وبه رمق، وقد قال رسول الله ﷺ: من ينظر ما صنع أبو جهل؟ فانطلقت فوجدته قد ضربه ابن عفراء، حتى برد. فقلت: أنت أبو جهل؟ وأخذتُ بلحيته وهو صريع، وقد ضربت رجله فقلتُ: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: - ولا أهابه عند ذلك - فقال: هل فوق رجل قتلتموه - أو قال: قتله قومه - فلو غير أكّارٍ قتلني؟ قال: فقتلته بسيفي، وسيفه بيده، فلم يُغن شيئاً، فبصق إلى وجهي وقال: سيفُك كهامٌ، خذ سيفي، فاحتز به رأسي من عرشي، فأجهزت عليه. فنفلني رسول الله ﷺ سيفه، لما أجهزت عليه، وكان قد أثخن. قال: وكان عتبة قد أشار على أبي جهل بالانصراف. فقال له أبو جهل: قد انتفخ سحره من الخوف. فقال له عتبة: سيعلم مصفر استه أينا انتفخ سحره. «رواه البخاري وأبو داوود»

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «من ينظر لنا ما صنع أبو جهل» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء، حتى برد. قال فأخذ بلحيته، فقال

أنت أبو جهل. ثم قال: وهل فوق رجل قتلتموه.

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: كاتبت أمية بن خلف كتاباً: أن يحفظني في صاغيتي بمكة، وأحفظه في صاغيته بالمدينة. فلما ذكرت «الرحمن» قال: لا أعرف الرحمن. كاتبني باسمك الذي كان لك في الجاهلية، فكاتبته «عبد عمرو» فلما كان يوم بدر، وحصل لي درعان، فلقيني أمية فقال: خذني وابني، فأنا خير لك من الدرعين، أفتدي منك.فرآه بلال فقال أمية رأسُ الكفر، لا نجوت إن نجا أمية،فقتلهما، فكان ابن عوف يقول: يرحم الله بلالاً، فلا درعيّ ولا أسيريّ.

وفي رواية:

فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس من مجالس الأنصار، فقال: يا معشر الأنصار، أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا أمية. فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا. فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم به فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا. وكان أمية رجلاً ثقيلاً فلما أدركونا قلت له أبرك، فألقيت نفسي عليه، لأمنعه فُيخلّوه، فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، فأصاب أحدهم رجلي بسيفه. وكان عبد الرحمن يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه. (أخرجه البخاري).

والحكم: أن الأسير أمره إلى الأمام يقتله أو يفاديه أو يعفو عنه أو يسترقه، ينظر في ذلك إلى مصلحة الأمة الإسلامية وهو الأمين عليها.

أما ما فعله بلال من إصراره على قتل أمية بن خلف، فهو اجتهاد منه، نظر فيه إلى ماضي أمية البغيض في مقاومته للإسلام وعداوته لله ورسوله وللإسلام والمسلمين، فهو في نظره مجرم حرب وليس مجرد أسير خرج للقتال فاسر. فقد ارتكب من الجرائم والفظائع في مكة قبل هجرة المسلمين، وربما بعدها ما يستحق عليه القتل وزيادة.

علي رضي الله عنه يقتل نوفل بن خويلد:

لما التقى الجمعان أخذ نوفل بن خويلد يصيح بصوت رفيع زجل ويقول: معشر قريش إن هذا اليوم يوم العلاء والرفعة، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم أكفني نوفل بن خويلد».

فلما رأى نوفل انكسار قريش، ومقتل أصحابه وفرارهم، جعل يصيح في الأنصار: ما حاجتكم إلى دمائنا؟ أما ترون ما تقتلون؟ أما لكم في اللبن حاجه؟ فأسره جبار بن صخر وساقه أمامه، فرآه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وتذكر موقفه عند بدء القتال، وتحريضه المشركين على القتال والثبات ومواقفه السابقة من عداوته لرسول الله ﷺ، فتصدى له، وصمد له علي فقطع ساقيه ثم أجهز عليه فقتله. فقال رسول الله ﷺ: «من له علم بنوفل بن خويلد؟» فقال علي: أنا قتلته، فكبر رسول الله ﷺ، وقال: « الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه».

وقتل علي رضي الله عنه العاص بن سعيد، وقد أقبل يحث على القتال فالتقى هو وعلي فقتله علي. وقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاله العاص بن هشام بن المغيرة بيده في ذلك اليوم. كما قتل حمزة رضي الله عنه عمرو بن عبد حين وجده علي رضي الله عنه يقاتل سعد بن خيثمة رضي الله عنه فيقتله فتقدم منه علي واستدرجه حتى نزل عن فرسه وصارا وجهاً لوجه وضربه علي على عاتقه ففض درعه ورفع سيفه ليجهز عليه فإذا بسيف يبرق خلفه فطأطأ علي رأسه فإذا حمزة يضربه وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب.

كما قتل في ذلك اليوم عبيدة بن سعيد بن العاص، والعاص بن سعيد بن العاص، وعامر بن الحضرمي، وربيعة بن الأسود سيد بني أسد بن عبد العزى، وأبو البختري العاص بن هشام، والحارث بن ربيعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود بن عبد المطلب، وعمير بن عثمان بن عمرو بن كعب، ومسعود بن أمية ونبيه بن الحجاج، وأخوه منبه بن الحجاج والعاص بن منبه.

بعد مقتل هؤلاء وغيرهم من سراة مكة وسادة قريش وأهل الثراء والجاه العريض فيها أخذ المشركون يفرون من وجه المسلمين كما أخذ بعضهم يلقي سلاحه ويستأسر للمسلمين الذين هدأت نفوسهم واطمأنت قلوبهم فقد صدقهم الله وعده ونصر عبده وهزم عبدة الطاغوت شر هزيمة، فأخذ فريق من المسلمين يجمع الغنائم المطروحة على أرض المعركة-وهي كثيرة- ويأخذون الأسرى الذين آثروا السلامة وأعطوا بأيديهم. وأخذ فريق آخر من المسلمين في مطاردة الفارين من المشركين حتى يضمنوا عدم عودتهم إلى ميدان المعركة ويأخذون من يجدونه في ارض المعركة أسيراً. وهنا ظهرت الكراهية في وجه سعد بن معاذ رضي الله عنه، ولما سأله رسول الله ﷺ عن ذلك. قال: كانت هذه أول وقعة ينصر الله فيها المسلمون على أهل الشرك، فكان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال[1]. وكان سعد بن معاذ ضمن الجماعة التي أحاطت برسول الله ﷺ في عريشه حتى لا يستغل المشركون فرصة انشغال المسلمين بجمع الغنائم وأخذ الأسرى فيكرون عليه في قبته، والرسول عليه الصلاة والسلام يشرف على ميدان المعركة من عل ويدعو الله أن يتم نصره عليه وعلى المسلمين ويتجه إليه بالحمد والثناء أن أنجزه ما وعده.

سيف سلمة بن أسلم رضي الله عنه:

انكسر سيف سلمة بن أسلم رضي الله عنه، فذهب إلي رسول الله وأخبره بكسر سيفه فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده- عرجون من عراجين النخل- وقال له: «اضرب به» فإذا هو سيف جيد. فلم يزل عنده يقاتل به.

عن خبيب بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: ضُرب خُبيب جدي يوم بدر فمال شقه فتفل عليه رسول الله ﷺ، ولأمه فانطبق.

(١) سيرة ابن هشام ٦٢٨.

عين رفاعة بن مالك:

وعن رفاعة بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر رميت بسهم ففقئت عيني، فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي فما آذاني منها شيء بعد.

وكان انهزام القوم وتوليهم حين زالت الشمس، فأقام رسول الله ﷺ ببدر، وأمر عبد الله بن كعب بقبض الغنائم وحملها وأمر عليه الصلاة والسلام نفراً من الصحابة أن يعينوه فصلى العصر ببدر، ثم رحل فمر على وادي الأثيل، ونزل وبات على بعد أربعة أميال من بدر، وكان وصوله قبل غروب الشمس فنزل به وبات به وفي أصحابه جراح ليست بالكثيرة.

وقال لأصحابه: «من رجل الليلة يحفظنا» فسكت القوم وقام رجل فقال ﷺ: «من أنت؟» قال: ذكوان بن عبد قيس فقال النبي ﷺ: «اجلس» ثم عاد ﷺ يسأل: فقام رجل فقال: «من أنت؟» قال: ابن عبد قيس، قال النبي ﷺ: «اجلس» ثم مكث ساعة ثم قام رجل فقال: «من أنت؟» قال: أبو سبع. ثم مكث ساعة وقال: «قوموا ثلاثتكم» فقام ذكوان بن عبد قيس وحده، فقال النبيﷺ: «فأين صاحباك؟» قال يا رسول الله أنا الذي أجبتك الليلة. قال رسول الله ﷺ: «فحفظك الله» فكان يحرس المسلمين الليلة حتى كان آخر الليل.

مكان البئر الذي ابقاه الرسول ﷺ بناءً على رأي الحباب

جزء من أرض المعركة

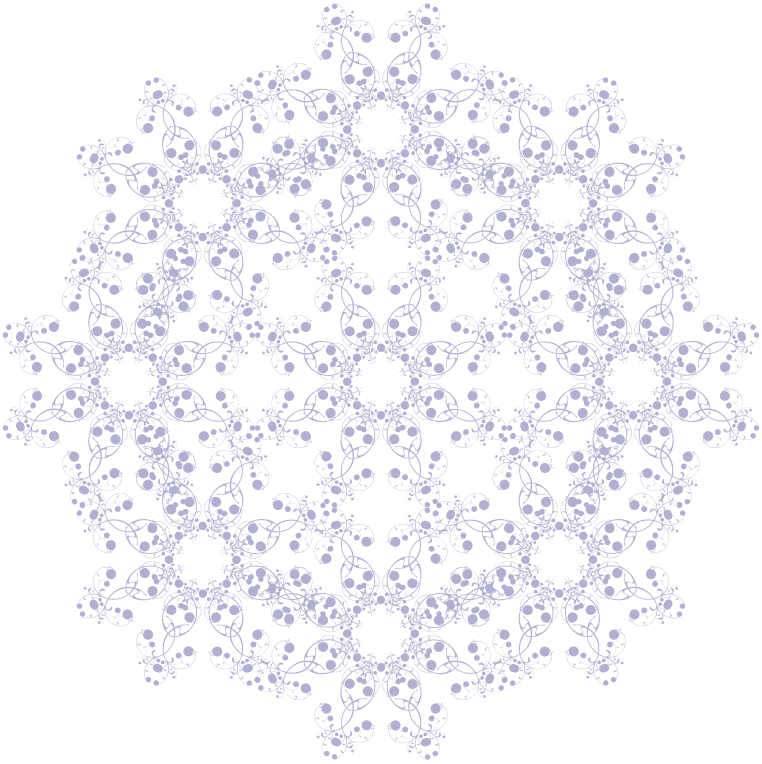

الملائكة في بدر

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (الأنفال: ٩).

﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (الأنفال: ١٢).

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾(آل عمران: ١٢٣-١٢٥).

جاء في القرطبي وغيره أن هذا الإمداد ببدر فكان المدد ألفاً ثم ثلاثة آلاف، وصبر المسلمون فصار المدد خمسة آلاف.

حين التقت الصفوف يوم بدر ورأي المسلمون عدوهم بعدده وعدته وبغيه، توجهوا مقتدين بالرسول الكريم ﷺ إلى رب العزة بالدعاء يستغيثون من لا مغيث سواه، ويستنصرون من لا ناصر غيره، ينصر من ينصره وهو القوي العزيز، فاستجاب الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وأوليائه المؤمنين، فأمدهم بمدد السماء وجاءهم جبريل يقود الملائكة لينضموا إلى صفوف المسلمين، وبهم كثر العدد، واشتد العزم، وثبتت القلوب والأقدام، وقاتل جند الله قتال الأبطال وكأنهم كما قال الشاعر العباسي بعد ذلك (في جفن الردى وهو نائم) لا يهابون الموت، ويثقون أن النصر لهم لأن الله معهم.

عن مالك، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن طلحة بن عُبيد الله بن كريز، أن رسول الله ﷺ قال: «ما رؤى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر لا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأي من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما أرى يوم بدر»، قيل: وما رأي يوم بدر قال: «أما إنه رأى جبريل يزع الملائكة». (موطأ مالك: كتاب الحج، حديث: ٢٤٥)

قالوا: قال رسول الله ﷺ يومئذ «هذا جبريل يسوق الريح كأنه دحية الكلبي، إني نصرت بالصبا، وأُهلكتْ عاد بالدبور». (المغازي ١/ ٧٨).

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ-أي يوم بدر-يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط وصوت الفارس فوقه يقول: أدم حيزوم، فنظر على المشرك أمامه، فخر مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط فأخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة».

روى الواقدي: حدثني عبد الله بن موسى بن أمية بن عبد الله بن أمية، عن مصعب بن عبد الله عن مولى لسهيل، قال: سمعت سهيل بن عمرو يقول: لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بُلق[1] بين السماء والأرض معلمين، يقتلون ويأسرون، وكان أبو أسيد الساعدي يحدث بعد أن ذهب بصره قال: لو كنت معكم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب - وهو الملص- الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أمتري.

فحدثني موسى بن محمد، عن أبيه، قال كان السائب بن أبي حبيش الأسدي يحدث في زمن عمر بن الخطاب يقول: والله، ما أسرني أحد من الناس، فيقال: فمن؟ فيقول: لما انهزمت قريش انهزمت معها، فيدركني رجل أبيض طويل على فرس أبلق بين السماء والأرض، فأوثقني رباطاً، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً، وكان عبد الرحمن بن عوف ينادي في المعسكر: من اسر هذا؟ فليس أحد يزعم أنه أسرني، حتى انتهي بي إلى رسول الله ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: «يا ابن أبي حبيش من أسرك؟ فقلت: لا أعرف، وكرهت أن أخبره بالذي رأيت، فقال رسول الله ﷺ: «أسره ملك من الملائكة كريم، اذهب يا ابن عوف بأسيرك» فذهب بي عبد الرحمن فقال السائب: فما زالت تلك الكلمة أحفظها، وتأخر إسلامي حتى كان ما كان من إسلامي.

(١) بُلق: فيها سواد وبياض.

وعن البراء قال: جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره، فقال العباس: يا رسول الله، ليس هذا أسرني، أسرني رجلٌ من القوم أنزع، من هيئته كذا وكذا؛ فقال رسول الله ﷺ: قد آزرك الله بملك كريم. «رواه أحمد».

وقال الواقدي فحدثني ابن أبي حبيبة، عن داود بن حصين، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: كان الملك يتصور في صورة من يعرفون من الناس يثبتونهم، فيقول: إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا، ليسوا بشيء، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ (الأنفال: ١٢).

قال البخاري رحمه الله: حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا عبد الوهاب، حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب» .. وفي الجامع الصغير: «كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سودن ويوم أحد عمائم حمر»، وهذا لا ينافي ما جاء: كان على الزبير رضي الله عنه في بدر عمامة صفراء معتجراً بها، فقال ﷺ: «نزلت الملائكة على سيما أبي عبد الله» - يعني الزبير رضي الله عنه - لجواز أن يكون أكثرهم كان بعمائم صفر.

وعن علي رضي الله عنه قال: كان سيما الملائكة (أي سيما خيلهم يوم بدر) الصوف الأبيض، وفي لفظ: بالعهن الأحمر في نواصي الخيل وأذنابها، وعن ذلك قال ﷺ: «سوموا خيلكم فإن الملائكة قد سومت» فهو أول يوم وضع فيه العهن (الصوف) في نواصي الخيل وأذنابها.

وروى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: لم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم بدر، قال الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة: والذي نراه والله أعلم أن الإمداد بالملائكة حصل قطعاً لتكثير المسلمين. وأن بعضهم قاتل لأملهم وأن الجهاد الأكبر في القتال للمسلمين.

تفسير وبيان:

النصوص السابقة من القرآن الكريم ومرويات السنة قاطعة الدلالة على نزول الملائكة يوم بدر ومشاركتهم مع المسلمين في المعركة، فالله تعالى يقول: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾(الأنفال: ٩).

فالآية صريحة أن الله أمد المسلمين بألف من الملائكة يأتون متتالين مترادفين، ويرى بعض المفسرين أن معنى كلمة مردفين يتلوهم غيرهم ويأتي في أعقابهم آلاف أخرى واللفظ يحتمله».

وفي الآية الأخرى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ (الأنفال: ١٢)،فإن بعض المفسرين يرى أن مهمة الملائكة في بدر كانت التثبيت.. تثبيت الذين آمنوا بحضور الحرب معهم كما قيل أنه كان بمعاونتهم في قتال أعدائهم، لكن البعض يرى أن مهمة الملائكة كانت بث الطمأنينة في قلوب المؤمنين وتشجيعهم بالإيحاء إليهم أنهم أقوياء قادرون على هزيمة أعدائهم الضعفاء خائري العزم، كما يرى بعض المفسرين أن تثبيت الملائكة ونصرهم المؤمنين كان بتكثير العدد حتى يلقوا الرعب في قلوب الكفار ويلقوا الأمن والطمأنينة في نفوس المؤمنين.

قال القرطبي رحمه الله: قوله ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي بشروهم بالنصر، أو القتال معهم، او الحضور معهم بغير قتال، أي إنه أجاز كل التفسيرات ولم يقطع بواحد منها، والخطاب في قوله تعالى: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ فالخطاب فيه للمؤمنين عند من يرى أن الملائكة لم تقاتل وللملائكة عند من يرى أنهم قاتلوا ويجوز أن يكون الخطاب لهما معاً أن القتل يكون بضرب الأعناق، أما ضرب البنان فهو حتى يعجزوا عن حملان السيوف فيصبحوا عبئاً ثقيلاً على من سواهم ويسهل الوصول إليهم وقتلهم، ولا أرى غرابة ولا مخالفة للعقل والمنطق في القول بأن الملائكة اشتركوا في القتال مع المسلمين يوم بدر بل العجب في القول بغرابته ومخالفته للعقل. الملائكة عباد

الله من أخص خصائصهم أنهم ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم: ٦).
وقد وردت في القرآن الكريم قصص تشكل فيها الملائكة بصورة البشر ولم ينكر ذلك أحد من المفسرين أو غيرهم، فقد جاء في سورة مريم في سياق قصة مريم البتول عليها وعلى وليدها السلام ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾. (مريم: ١٧-١٨).

وفي قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام.﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ (الحجر:٥١-٥٣).
﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الذاريات:٢٤-٣٠).

وفي قصة لوط عليه السلام:﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾. (الحجر:٦١-٦٢) .. ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ (الحجر:٦٧-٦٩)

فهذه مريم قد تمثل لها جبريل بشراً سوياً، فخافته وقالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً..وهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام جاءته الملائكة في صورة البشر فقدم إليهم الطعام فلم يأكلوا من طعامه، وها هي امرأته تراهم بشراً، وتسمع مقالهم وتفهمه، فضربت وجهها بيديها وقالت عجوز عقيم، تعجب من قولهم ولا تصدقه.

وهؤلاء قوم لوط الفسقة ظنوهم بشراً، لهم صور جميلة فجاءوا مستبشرين يريدونهم بالشر الذي يفعلون، فيقول لهم لوط عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ (الحجر:٦٨-٦٩).

وقد جاء في السنة المشرفة أن جبريل عليه السلام كان يجيء النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي، ويراه كل الحضور من المسلمين، فيسأل الرسول عليه الصلاة والسلام ليعلم الناس أمور دينهم، وليعلمهم كيف يسألون.

فقد صح عندنا أن الله تعالى أمد المسلمين يوم بدر بالملائكة، وثبت بهم الأقدام والقلوب، كما ثبت من الأحاديث التي رويناها يقوي بعضها بعضاً أنهم كان لهم دور ومشاركة في القتال الذي دار يومئذ.

فإذا قلنا إنهم جاءوا في صورة البشر كما ورد في بعض الأحاديث وهو جائز وحدث مع كثير من الأنبياء بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فمن السهل أن نتصور إتيانهم بما يأتي به البشر المؤمن من الطاعات والتكليفات التي يكلفهم الله تعالى بها، فهم يقاتلون ويحملون السلاح ويقتلون أعداء الله، وغير ذلك من الأعمال التي يقوم بها البشر، ومن قال بغير ذلك فقد جانب الصواب.

ونحن جميعاً نسلم بأن النصر من عند الله وأن الله نصر القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة المشركة لا فرق بين أن يكون النصر بالملائكة الذين جاءوا في صورة البشر، وأحاطوا برسول الله ﷺ وكثر بهم العدد فثبت الله بهم قلوب عباده المؤمنين، وقذف الرعب في قلوب الكافرين وأعملوا فيهم سيوف الإيمان فقتلوا وأسروا وانتصروا نصراً مبيناً.

وبين أن يكون جند الله ريحاً مرسلة تهدم الخيام، وتقلب القدور، وتعمى الأبصار بترابها، أو غير ذلك من جند الله، فهي كرامة أكرم الله بها عباده المؤمنين بأن كان الفعل لهم في صورته وظاهره ولله تعالى في حقيقته.

وأعجب معي من هؤلاء الذين يقرون بنصر الله لعباده بالريح المرسلة، والطير الأبابيل، والأمطار والعواصف، والجراد وغير ذلك من الحشرات، ثم ينكرون أن يكون نصر الله بقتال الملائكة مع عباده المؤمنين.

وإنما كانت الملائكة شركاء لهم في بعض الفعل، ليكون الفعل منسوباً للنبي ﷺ

ولأصحابه، وإلا فجبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه، كما فعل بمدائن قوم لوط، وأهلك قوم صالح بصيحة واحدة، وليهابهم العدو بعد ذلك، حين يعلمون أن الملائكة تقاتل معهم.

وحتى يتعلم المسلمون أن بلوغ الغايات لا يكون إلا بالعمل والاجتهاد والكفاح وحسن الاستعداد، فهذه سنة الله في الخلق وفطرة الله التي فطر الناس عليها، ثم يأتي بعد ذلك عون الله ونصره ومدده الذي لا يغلب ولا يخيب.

أين نزلت الملائكة:

عندما زرت (بدر) ووقفت على أماكن الغزوة وآثارها ومواقعها، رأيت جبلاً طويلاً بجوار الحنان على يسار الذاهب على المدينة بينه وبين الحنان ممر صغير يسمى «الملص» وهو المكان الذي هرب منه أبو سفيان عندما أدرك أن رسول الله ﷺ يتعقبه وقد سمى الشيخ باشميل هذا الجبل بجبل الملائكة وتوهم البعض أن الملائكة نزلت على هذا الجبل مع أن الثابت الصحيح أن الملائكة نزلت على يمين رسول الله ﷺ في ارض المعركة، وقد يكون سبب التسمية أن هذا الجبل هو الذي كان عليه الرجل الغفاري وابن عمه اللذان سمعا الملائكة داخل السحابة وهم يمرون فوق الجبل وسمعوا صوت السلاح وغير ذلك مما جاء في الرواية، فربما سمي الجبل بجبل الملائكة على هذا الأساس والله أعلم.

المؤلف في مكان المعركة في الموضع الذي اتكأ فيه الرسول ﷺ

الحوض الذي شرب من الصحابة رضوان الله عليهم وردموا بقية الآبار

حياة الشهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

(آل عمران:١٦٩-١٧٣).

أخرج الإمام أحمد وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا»، وفي لفظ «قالوا: من يبلغ إخواننا أننا أحياء في الجنة نرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يتكلوا عن الحرب، فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم فنزلت هذه الآيات.

وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث جابر بن عبد الله قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال: «يا جابر مالي أراك منكسراً؟» فقلت: يا رسول الله. . استشهد أبي، وترك عيالاً وديناً، فقال : «ألا أبشرك بما لقي الله به أباك؟» قلت: بلى يا رسول الله قال: «ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك وكلمه كفاحاً، وقال: ياعبدي تمن علي أعطك، قال يارب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب تعالى : قد سبق القول مني أنهم لا يرجعون، قال أي رب فأبلغ من ورائي» فأنزل الله هذه الآية، والجمع بين الروايتين سهل ومقبول.

حياة الشهداء عندربهم:

للعلماء والمفسرين في معنى (بل أحياء عند ربهم يُرزقون) أقوال عدة، قال المعتزلة : إن المراد بقوله تعالى :(بل أحياء) إنهم سيكونون أحياء في الآخرة وهو قول مردود إذ لا يختص الشهداء بهذا بل كل البشر سيكونون أحياء في الآخرة إما في نعيم وإما في عذاب.

ويقول بعضهم : إنهم أحياء بحسن الذكر وطيب الثناء وهذا أيضاً يجوز لغير الشهداء، ولا يختص بهم وحدهم .

ويقول آخرون: إنهم أحياء بأجسادهم كحياتنا يأكلون ويشربون وينكحون في قبورهم كسائر أهل الدنيا، وهذا القول يجردهم عن ميزة خصهم الله تعالى بها في الانتقال إلى الحياة الأفضل والنعيم المقيم، ويجعل تنعمهم وحياتهم مرتبطين بهذه الأجساد بكل ما فيها من مساويء.

وكذلك ليس من المقبول القول بأن أجسادهم ترفع إلى السماء، لأن الواقع العملي المشاهد ينفي ذلك، فقد يحدث أن يفتح قبر الشهيد لسبب أو لآخر فيجد الناس جثمانه أو بقاياه حيث دفن .

والحق إن حياة الشهداء برزخية ليست كحياتنا ونواميسها خارجة عن إدراكنا نقتصر في حقيقتها على ما جاء به الوحي . وفي الحديث «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» وإذا كشفنا عن القبر فإنا لانرى شيئاً، ونعيم القبر وعذاب القبر يجب الاعتقاد به والإيمان به من جملة الإيمان بالغيب.

تسمية شهداء معركة بدر الخالدة:

شهداء هذه المعركة العبقرية في تاريخ الإسلام، الذين استحقوا حياة النعيم والخلود عند ربهم، واستحقوا خلود الذكر في تاريخ الأمة الإسلامية إلى أن يرث الأرض ومن عليها ، وضعهم ربنا وربهم في مصاف الكرام البررة، تحمل لهم القلوب الثناء العاطر والذكرى الطيبة، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، وسماهم بعض المحدثين

عشرة من الأنصار، وهم:

من المهاجرين:

١- ذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة بن غسان بن مالك بن قصي الخزاعي حليف بني زهرة، ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً واستشهد، وكذا ذكره ابن إسحاق وغيره.

٢- صفوان بن وهب، ويقال أهيب ويقال ابن سهيل بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن هلال بن وهيب القرشي وهو ابن بيضاء. . قال ابن حجر في ترجمته: اتفقوا على أنه شهد بدراً، وروى ابن إسحاق أنه استشهد ببدر، قتله طعيمة بن عدي . وذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً، وذكره في البداية (ابن كثير) فيمن استشهد ببدر ، وكذلك ذكره ابن هشام في السيرة النبوية.

٣- عاقل بن أبي البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيره بن سعد بن ليث بن بكر الليثي، حليف بني عدي. .

قال ابن حجر : كان من السابقين الأولين وشهد بدراً هو وإخوته إياس، وخالد، وعامر، واستشهد عاقل ببدر، قاله موسى بن عقبة وابن إسحاق. . وكان اسمه غافلا فغيره النبى ﷺ. حكاه ابن سود ذكره ابن كثير في البداية وابن هشام في السيرة النبوية فيمن استشهد يوم بدر.

٤- عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشى المطلبي:

قال ابن حجر رحمه الله : أسلم قديماً وكان رأس بني عبد مناف حينئذ، وكان مع النبي ﷺ بمكة ثم هاجر وشهد بدراً، وبارز فيها، وأصابه سيف في رجله فقطعها، ثم احتمل ومات في الصفراء في طريق الرجوع إلى المدينة ودفن بها .

٥- عمير بن أبي وقاص بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري أخو سعد ، ذكره

ابن كثير ، وابن هشام فيمن استشهد في بدر.

قال ابن حجر رحمه الله: أسلم قديماً، وشهد بدراً واستشهد بها في قول الجميع. قال سعد بن أي وقاص رضي الله عنه: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى، فقلت: مالك يا أخي؟

قال : إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستعرضني ، فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة، وحين عرض على رسول الله ﷺ استصغره، فأراد رده، فبكى، فأجازه، واستشهد وهو ابن ست عشرة سنة، وقد تربى في مدرسة رسول الله ﷺ على مائدة القرآن .

٦- مهجع العكي مَنَّ عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعتقه، فهو مولى لعمر بن الخطاب، وأصله من اليمن .

قال موسى بن عقبة كان أول من قتل ذلك اليوم، جاء ذكره في البداية لابن كثير، وفي السيرة النبوية لابن هشام.

ومن الأنصار:

٧/ ١ حارثة بن سراقة بن عدي بن مالك بن عامر ، وأمه الرَبيّع بنت النضر عمة أنس بن مالك رضي الله عنه، استشهد يوم بدر، ولأمه بعد استشهاده قصة ذكرناها في (فضل أهل بدر) .

٨/ ٢ رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدي بن زيد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق وغيرهما فيمن استشهد ببدر، قتله عكرمة بن أبي جهل، وقد ذكره ابن كثير ، وذكره ابن هشام في السيرة النبوية.

٩/ ٣ سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النماط بن كعب بن حارثة بن

غنم الأوسي الأنصاري، يكنى أبا خيثمة.

قال ابن حجر في ترجته في الإصابة : كان أحد النقباء في العقبة.

وروى البخاري في التاريخ عن طريق رباح بن أبي معروف سمعت المغيرة بن حكيم قال: سألت عبد الله بن سعد بن خيثمة هل شهدت بدراً؟ قال : نعم والعقبة، ولقد كنت رديف أبي وكان نقيباً.

قال ابن إسحاق : استشهد سعد بن خيثمة يوم بدر، وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: استهم يوم بدر خيثمة وابنه سعد ، فخرج سهم سعد، فقال له أبوه: يا بني آثرني اليوم، فقال سعد: يا أبت لو كان غير الجنة فعلت، فخرج سعد إلى بدر فقتل بها، وقد أجمع أهل السير على استشهاده في بدر، أما قاتله فقيل : طعيمة بن عدي، وقيل : عمرو بن عبيد، وقتل أبوه أبو خيثمة يوم أحد.

١٠/ ٤ عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري . ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً، وقال ابن إسحاق .

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة» .

فقال عمير بن الحمام وفي يده تمرات يأكلهن بخ بخ ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، فقذف بالتمر وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد.
إلا التقى وعمل المعاد.
والصبر في الله على الجهاد .

وقد رويت رواية أخرى في هذا الباب سبق ذكرها.

١١/ ٥ عوف بن الحارث، وهوعوف بن عفراء، أخو معاذ ومعوذ. . لما التقى الناس يوم بدر قال عوف بن عفراء : يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال ﷺ: «أن يراه قد غمس يده في القتال حاسراً « فنزع عوف درعه وتقدم فقاتل حتى قتل شهيداً.

١٢/ ٦ مبشر بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أمية الأنصاري. . ذكره ابن كثير، وابن هشام، وابن إسحاق فيمن شهد بدراً واستشهد بها .

١٣/ ٧ معوذ بن الحارث الأنصاري وهو ابن عفراء . . كان ممن شارك في قتل أبي جهل، قيل أصيب بين يدي رسول الله ﷺ ، وقال ابن عبد البر كان ممن قتلوا أبا جهل ثم قاتل بعد ذلك حتى استشهد.

ذكره ابن كثير في البداية، وابن هشام في السيرة.

١٤/ ٨ يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمد بن حارثة بن ثعلبة بن الخزرج، يعرف بابن فسحم، قتله نوفل بن معاوية الديلي .

قال ابن حبان: استشهد ببدر، ألقى تمرات في يده وقاتل حتى قتل، ذكره ابن هشام في السيرة النبوية، وابن كثير في البداية .

هؤلاء اتفق رواة المغازي والسير على استشهادهم في بدر.

١٥/ ٩ أما معاذ بن الحارث بن سواد بن مالك النّجاري المعروف بابن عفراء شهد العقبة الأولى مع الستة، وشهد بدراً، وشارك في قتل أبي جهل، فقد أثبته ابن حجر مع الذين استشهدوا في بدر، ولم يذكره معهم ابن كثير ولا ابن هشام.

١٦/ ١٠ هلال بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن الخزرج، فقد ذكره ابن إسحاق وابن حبان فيمن استشهدوا في بدر ولم يذكره ابن كثير وابن هشام .

وقد روى الواقدي عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال : قتل أنسة مولى النبي ﷺ ببدر .

وأمر رسول الله ﷺ بدفنهم، فدفنوا تحوطهم قلوب المؤمنين بالإجلال والإكبار، فقد انتقلوا من دار العمل والشقاء، إلى دار النعيم والبقاء، فهم أحياء عند ربهم يرزقون.

وقد روى الطبراني بإسناد رجاله ثقات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الذين قتلوا من أصحاب محمد يوم بدر جعل الله أرواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة، فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال: يا عبادي ماذا تشتهون؟ فقالوا: ربنا هل فوق هذا من شيء؟ قال: فيقول: ما تشتهون؟ فيقولون في الرابعة: ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما قتلنا .

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول لله ﷺ يقول : «والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل». فهنيئاً لأصحابها ما فازوا به من رضوان الله ومنازل الصدق في جنات النعيم.

ومن يزور مدينة بدر اليوم يستطيع أن يقف على مقابر شهداء بدر، وهم في مكان محاط بسور داخل مقبرة بدر وقد دفنوا رضوان الله عليهم في أرض المعركة وقد وفق الله بعض أهل الخير فأقاموا على قبور الشهداء حوطة مسورة، وأصبحت تعرف بمقابر شهداء بدر.

ومن الفوائد التي نلاحظ في غزوة بدر أنها لم يشارك فيها منافق مع جيش رسول الله ﷺ.

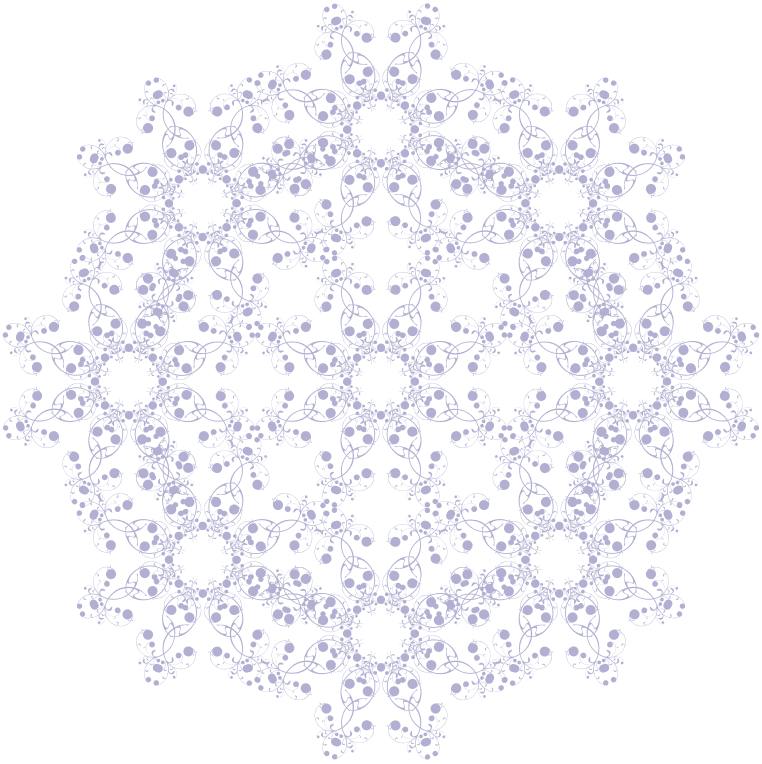

إلقاء قتلى المشركين في القليب

أمر رسول الله ﷺ بالقتلى من قريش أن ينقلوا من مصارعهم التي كان قد أخبر بها ليلة المعركة، فلم يحد واحد منهم عن المكان الذي أشار إليه ﷺ، وأمر بهم أن يلقوا في قليب خبيث مخبث، وكان من سنته ﷺ إذا كان في سفر أو غزو، ومر على جيفة إنسان أن يأمر بدفنها، دون أن يتحقق مسلماً كان أو كافراً، ولكن لكثرة عدد قتلى المشركين في بدر،أمر بهم فسحبوا، فألقوا في القليب عدا أمية بن خلف فقد كان منتفخاً متحللاً، فلما أرادوا سحبه تناثر لحمه وتزايل فأمر بتركه، وأهالوا عليه التراب والحجارة حتى دفنوه وغيبوه في التراب.

في مسند الدارقطني: كان من سنته ﷺ في مغازيه، إذا مر بجيفة إنسان، أمر بدفنه لا يسأل عنه مؤمناً كان أو كافراً. ولكثرة جيف الكفار كره ﷺ أن يشق على أصحابه أن يأمرهم بدفنهم، فكان جرهم إلى القليب أيسر وكان الحافر لهذا القليب رجل من بني النجار.

ولما جاء دور عتبة بن ربيعة وجر ليلقي في البئر، نظر رسول الله ﷺ إلى وجه ابنه أبي حذيفة، فوجده قد تغير، ففطن ﷺ إلى معاناته وقال له: «لعلك دخلك من شأن أبيك شيء» فقال أبو حذيفة: لا والله يا رسول الله: ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه للإسلام، فلما رأيت ما مات عليه أحزنني ذلك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً.

عن أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان اليوم الثالث أمر ﷺ براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه حتى قام على شفا الركي (القليب) وجعل يقول: «يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقا».

وجاء في بعض الروايات نداؤه لهم بأسمائهم، فقال: (يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام، بئس عشيرة النبي كنتم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس».

قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ فقال ﷺ: «لقد سمعوا ما قلت غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً».

قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً. روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال: «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟» ثم قال: «إنهم الآن يسمعون ما أقول» فذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي ﷺ إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق ثم قرأت: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ .. ﴾ حتى قرأت الآية، وهي ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ (فاطر: ٣٢).

قال ابن كثير رحمه الله في هذه المسألة:

والصحيح عند العلماء رواية عبد الله بن عمر لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححاً عن ابن عباس مرفوعاً، «ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد السلام» وثبت عنه ﷺ لأمته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه، فيقول المسلم: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب المعدوم والجماد. والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر. أ هـ. (مرويات غزوة بدر ص٢٥٧).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال الإسماعيلي:

كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم مالا

مزيد عليه، لكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبته غيرها ممكن لأن قوله تعالي:﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (الروم: ٥٢). لا ينافي قوله ﷺ «إنهم لا يسمعون» لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع، فالله تعالي هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيه ﷺ بذلك.

وأما جوابها بأنه إنما قال: إنهم الآن ليعلمون فإن كانت سمعت بذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيدها.

ثم قال الحافظ: قال السهيلي ما محصلة: إن في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك للنبي ﷺ لقول الصحابة له: أتخاطب أقوماً قد جيفوا؟

وإذا جاز أن يكونوا في هذه الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين وذلك إما بآذان رؤسهم على قول الأكثر أو بآذان قلوبهم أهـ.

ومكان هذا القليب الذي ألقي فيه قتلى المشركين معروف الآن في مدينة بدر وقد وقفت عليه بنفسي. «انظر الصورة». وذكر لي من أثق به من سكان بدر أنه عندما تنزل الأمطار على مدينة بدر ويطلع العشب وتنتشر الخضرة في كل مكان يلاحظ أن مكان القليب هذا لا ينبت فيه شيء من العشب بل يظل مجدباً والعياذ بالله والعهدة على الراوي كما يقولون.

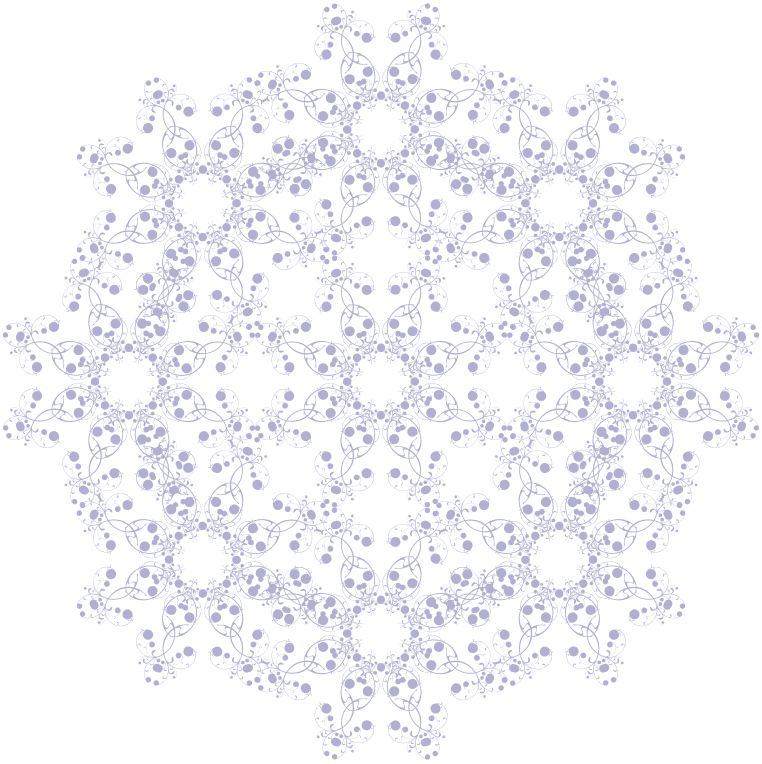

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بشيراً لأهل العالية، وهي محل قريب من المدينة على عدة أميال، وبعث زيد بن حارثة لأهل السافلة بها راكباُ ناقته ﷺ بما فتح الله على رسول الله ﷺ والمسلمين، فجعل عبد الله بن رواحة ينادي في أهل البادية العالية يا معشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ، وقتل المشركين وأسرهم.

ونادى زيد بن حارثة في أهل السافلة بمثل ذلك، وكانا يقولان قتل فلان وفلان من أشراف قريش، وصار عدو الله كعب بن الأشرف يقول إن كان محمد قد قتل هؤلاء فبطن الأرض خير من ظهرها، قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما فأتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ. وقال رجل من المنافقين لأبي لبابة رضي الله عنه: قد تفرق أصحابكم تفرقاً لا يجتمعون بعده أبداً، قد قتل محمد وغالب أصحابه وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب، قال أسامة: فجئت حتى خلوت بأبي لبابة وسألته عما أسره له الرجل، فأخبرني بما أخبره به، فقلت: أحق ما تقولو، قال: أي والله حق ما أقول يا بني، فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق. فقلت: أنت المرجف برسول الله ﷺ، لنقدمنك إلى رسول الله ﷺ إذا قدم فيضرب عنقك، فقال: إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه.

وهذا كان قبل أن يجتمع أسامة بأبيه زيد بن حارثة.

ثم أقبل رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، فلما خرج من مضيق الصفراء، قسم الغنائم وكانت مائة وخمسين من الإبل، وعشرة أفراس ومتاعاً وسلاحاً وأنطاعاً وثياباً وأدماً كثيراً حمله المشركون للتجارة. فأخذ كل من قتل قتيلاً سلبه، ومن أسر أسيراً فهو له كما قال رسول الله ﷺ، وما وجد مطروحاً وجمعه المسلمون في أرض المعركة بعد فرار من بقي من قريش قسم عليهم بالتساوي.

وحين اقترب رسول الله ﷺ من المدينة خرج المسلمون يستقبلونه خارج المدينة على بعد عدة أميال وأخذوا يهنئونهم بهذا النصر العظيم فإذا سلمة بن سلامة بن وقش يقول مهوناً من أمر قريش ومن قتل منها في بدر والله إن لقينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعقلة فنحرناها، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: أي ابن أخي أولائك الملأ يريد أولائك أشراف الناس ورءوسهم، فخجل سلمة وقال: كأنك غير راضٍ عني يا رسول الله؟

فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «أما وقد قلت هذا فنعم أنت قلت كذا في يوم كذا، وكذا في يوم كذا- يذكره بفلتات لسانه ﷺ وصبرت عليك حتى تثوب إلى رشدك».

فازداد خجل سلمة وأخذ يسترضي رسول الله ﷺ ويحلف ألا يقول ما لا يرضيه بعد ذلك أبداً «سبق أن ذكرنا قصته مع الأعرابي» وقد أمر رسول الله ﷺ بقسمة الغنائم بعد خروجه من مضيق الصفراء وقبل أن يصل إلى النازية.

وقد علمنا أن النضر بن الحارث قتل عند الصفراء، وعند عرق الظبية أمر رسول الله ﷺ بقتل عقبة بن أبي معيط هذا وقد أوصى رسول الله ﷺ بالأسارى خيراً.

واستجاب أصحابه لوصيته وأحسنوا معاملتهم، بل كانوا يفضلونهم على أنفسهم أحياناً واستقبل المسلمون نبيهم بالروحاء مهنئين بالنصر وقد عمهم البشر بسلامته ونصره وإن فوجئ البعض بالأسرى من سادة قريش في الأغلال فأفلتت من أم سلمة كلمة أسرعت تعتذر عنها وتستغفر فعفا عنها رسول الله ﷺ وقد قدر أنه أثر المفاجأة حين رأت سهيل بن عمرو في القيد.

الاسرى واختلاف رأي الصحابة فيهم

انتهت معركة بدر بتلك الهزيمة النكراء التي حاقت بقريش وأحلافها، فقتل منهم أكثر من سبعين رجلاً، وأسر منهم مثل هذا العدد تقريباً، ولأول مرة وجد النبي ﷺ نفسه وأصحابه في هذا الموقف، ماذا يفعل بكل هؤلاء واتجه إلى سياسته المفضلة والأسلوب المقدم على غيره عنده فيما لم ينزل فيه قرآن وتعين الاجتهاد فيه، اتجه إلى المشورة، فجمع خيرة أصحابه واصحاب الرأي فيهم وطلب منهم الرأي والمشورة.

وأصحابه ﷺ لكل منهم خصائص يتميز بها عن غيره فمنهم من يميل إلى الرقة واللين وله في ذلك أسباب وعلل ومنهم من يميل إلى الحزم والحسم وله في ذلك أسباب وعلل.

وقد تبلورت آراء الصحابة رضي الله عنهم في ثلاثة اتجاهات متميزة.

اتجاه أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

فقد قال: يا رسول الله أهلك وقومك وفي رواية: هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، قد أعطال الله الظفر ونصرك عليهم، أرى أن تستبقيهم وتأخذ منهم الفداء فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم بك، فيكونوا لنا عضداً.

اتجاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

فقد قال حين سأله رسول الله ﷺ يا رسول الله كذبوك وأخرجوك وقاتلوك، وما أرى رأي أبي بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان - قريب له أو نسيب، فأضرب عنقه، وتمكن علياً من أخيه عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه-يعني العباس- فيضرب عنقه، حتى يعلم أنه ليست في قلوبنا مودة للمشركين، ما أرى أن تكون لك أسرى فأضرب أعناقهم، هولاء صناديدهم وقادتهم.

اتجاه ابن أبي رواحة رضي الله عنه:

اتجه اتجاهاً أكثر عنفاً وصرامة من اتجاه عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً فقد قال: انظروا وادياً كثير الحطب فأضرمه عليهم ناراً .. قال العباس حين سمع رأي ابن رواحة: ثكلتك رحمك. واختلف الناس بين محبذ لرأي أبي بكر ومحبذ لرأي عمر وإن كان المحبذون لرأي عمر قلة.

قال أبو زُميل: قال أبنُ عباس: فلما أسروا الأُسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة. أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار. فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قلتُ لا والله يا رسول الله! ما أرى الذي رأي أبو بكر. ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم. فتُمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه. وتمنكني من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه؛ فإن هؤلاء، أئمة الكفر وصناديدها. فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت.

فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان فقلت: يا رسول الله! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؛ فإن وجدت بكاء بكيت،وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال: «أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء. لقد عُرض عليّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرة» (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ).

وانزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ﴾ (الأنفال: ٦٧) الى قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(الأنفال: ٦٩). فأحل الغنيمة لهم.(رواه مسلم).

دخل رسول الله ﷺ دون أن يرد عليهم ثم خرج بعد قليل وقد مال إلى رأي أبي بكر فقال لهم: «إن الله ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدن قلوب أقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة مثلك يا أبا بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة. ومثلك في الأنبياء مثل إبراهيم حيث يقول تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ

عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ (إبراهيم: ٣٦).

ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ابن مريم إذ قال الله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٨).

ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل: نزل بالشدة والبأس والنقمة على أعداء الله تعالى. ومثلك في الأنبياء مثل نوح عليه الصلاة والسلام إذ قال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح: ٢٦-٢٧). ومثلك في الأنبياء مثل موسى (عليه الصلاة والسلام) إذا قال: ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (يونس: ٨٨).

ثم قال ﷺ لأبي بكر وعمر: «لو توافقتما ما خالفتكما». ثم قال: «أنتم عالة فلا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضربة عنق».

قال عبد الله فقلت: يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام، قال: فسكت قال: فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ حجارة من السماء منى في ذلك اليوم حتى قال: «إلا سهيل بن بيضاء».

ثم أمرهم أن يأخذوا من غنيهم الفداء أربعة آلاف درهم وثلاثة آلاف وألفين وألف كل حسب قدرته ويساره وقدره، وقد جعل فداء بعضهم من الذين يعرفون الكتابة تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة، وقد منّ على بعضهم بغير فداء. ثم نزلت الآيات من سورة الأنفال: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(الأنفال: ٦٧-٦٩).

فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً لما كان منه من موافقة على فداء الأسرى حتى بكى، وحزن الصديق رضي الله عنه لحزن رسول الله، ولما قدمه من مشورة ورأي حتى بكى، على الرغم من أن الآيات جاءت بالعفو مع العتاب. وقال ﷺ: «لو عذبنا في هذا الأمر ما

نجا غيرك يا عمر» ومعلوم أن سعد بن معاذ كان قد أظهر كراهيته لأخذ الأسرى، حين رأي إقبال المسلمين على أخذهم بعد هزيمة الشرك والمشركين.

تلكأت قريش في السعي لفداء الأسرى حتى لا يشمت المسلمون فيهم، وحتى لا يتعالوا في طلب الفدية.

وكان أول من ذهب خفية حتى لا تمنعه قريش المطلب بن أبي وداعة السهمي قدم المدينةوأخد أباه بأربعة آلاف درهم.

ثم توالى أولياء الأسرى يطلبون الإفراج عن أسراهم.

جبير بن مطعم بن عدي:

جاء يكلم النبي ﷺ في الاسرى. فقال له النبي ﷺ: «لو كان شيخك حياً، أو الشيخ أبوك حياً فأتانا فيهم- في أسارى بدر- لشفعناه» وفي رواية لو كان المطعم حياً وكلمني في هؤلاء النفر لتركتهم له» لمعروفه عنده فقد أجاره عند عودته من الطائف ولموقفه النبيل من نقض صحيفة المقاطعة الجائرة الظالمة.

وكان ﷺ من أكثر الناس وفاء لصاحب اليد عنده

وكان من الأسرى عمرو بن أبي سفيان:

أسره علي بن أبي طالب رضي الله عنه وامتنع أبوه أبو سفيان عن فدائه، وقال أيجمع علي دمي ومالي؟ قتلوا حنظلة وأفدي عمراً، دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم.

ثم حانت له فرصة للغدر فعدا على سعد بن النعمان أخي بني عمرو بن عوف، حين وجده في مكة معتمراً، فحسبه بابنه، فذهب بنو عمرو بن عوف إلى النبي ﷺ وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكون به صاحبهم فأجابهم إلى ما طلبوا.

وكان من الأسرى أبو العاص بن الربيع:

زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، فبعثت في فدائه قلادة لها كانت قد أهدتها إياها خديجة عند زواجها بعثت بها مع أخيه عمرو، فلما رأي رسول الله ﷺ القلادة رق قلبه لها. فقال لأصحابه: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا» ففعلوا. واشترط النبي ﷺ أن يخلي سبيلها لتلحق بأبيها ﷺ في المدينة، ففعل، وأرسل النبي من يرافقها إلى المدينة.

وكان من الأسرى سهيل بن عمرو العامري:

وكان من خطباء قريش في الجاهلية – كان أعلماً – وقال عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ: دعني أنزع ثنيتيه فلا يقوم عليك خطيباً في موقع أبداً. فقال ﷺ: «لا أمثل به فيمثل الله تعالى بي، وإن كنت نبياً، وعسى أن يقوم مقاماً لا تذمه» فكان كذلك عند وفاة الرسول ﷺ فقد قام خطيباً في مكة:

حمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ وقال: أيها الناس: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ألم تعلموا أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠). وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤). والله إني أعلم أن هذا سيمتد امتداد الشمس في طلوعها وغروبها، فلا يغرنكم هذا من أنفسكم: يعني أبا سفيان، فإنه ليعلم من هذا الأمر ما أعلم، ولكنه قد ختم على صدره حسد بني هاشم، وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم، وكلمته تامة، وإن الله ناصر من نصره ومقو دينه، وقد جمعكم الله على خيركم، إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه، أ.هـ. فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وكانوا قد هموا بالرجوع عن الإسلام حتى أخافوا واليهم لولا موقف سهيل بن عمرو العامري، وصدق رسول الله ﷺ.

قدم مكرز بن حفص في فداء سهيل بن عمرو، فلما ذكروا قدراً من المال أرضاهم، قال لهم: ضعوا رجلي مكان رجله، حتى يعود بالمال، فخلوا سبيله وحبسوا مكرزاً.

وكان من الأسرى الوليد بن الوليد:

افتكه اخواه هشام وخالد، فلما افتدى أعلن إسلامه، فعاتبوه فقال: كرهت أن يظن بي أني جزعت من الأسر، فلما أراد الهجرة حبساه، وكان ﷺ يدعو له في القنوت في عمرة القضاء.

وكان من الأسرى وهب بن عمير بن وهب:

أسره رفاعة بن رافع ومنّ رسول الله ﷺ عليه بغير فداء.

ولذلك قصة:

فقد كان أبوه عمير شيطاناً من شياطين قريش، يؤذي الرسول ﷺ والمسلمين بمكة. جلس يوماً مع صفوان بن أمية بعد بدر، فتذاكر بدراً وما جرى فيها وأصحاب القليب وما أصابهم، فقال عمير: أما والله لولا دين عليَّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي كنت آتي محمداً حتى أقتله، فإن لي فيهم علة، أبني أسير بين أيديهم.

فقال صفوان: علي دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، قال: عمير فاكتم عني شأني وشأنك، قال: أفعل.

فأخذ عمير سيفه وشحذه وسقاه سماً، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين بتحدثون عن يوم بدر، إذا نظر إلى عمير حين أناخ راحلته على باب المسجد متوشحاً السيف، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير ما جاء إلا بشر، فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه. قال ﷺ: «فأدخله علي، فأقبل عمر رضي الله عنه حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: «أرسله يا عمر، أدن يا عمير» فدنا منه عمير ثم

قال: انعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة، ما جاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، يعني ولده وهباً، فأحسنوا فيه.

قال: «فما بال السيف؟» فقال عمير: قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً؟ قال ﷺ: «أصدقني ما الذي جئت له؟» قال: ما جئت إلا لذلك. قال ﷺ: «بل قعدت إلى صفوان بن أمية في الحجر، وذكرتما أصحب القليب من قريش ثم قلت: لولا دين على وعيالي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك» قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما تأتي به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله تعالى، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ: فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا أسيره، ففعلوا ذلك، ثم قال: يا رسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، فأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام لعل الله أن يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم، كما كنت أوذي أصحابك في دينهم، فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة وأسلم ولده وهب رضي الله عنهما.

وكان من الأسرى أبو عزيز بن عمير:

أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه قال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب فقال لأبي اليسر الذي أسرني: شد يدك عليه فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك. قال أبو عزيز فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلو بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، فأستحي فاردها فيردها عليّ ما يمسها.

قال لأخيه مصعب حين قال لآسره شد يدك عليه: يا أخي هذه وصاتك؟ فقال له مصعب: إنه أخي من دونك، فسالت أمه عن أغلى ما فدي به قرشي؟ فقيل لها أربعة

آلاف درهم ففدته بها.

وكان من الأسرى العباس بن عبد المطلب:

عن ابن عباس قال: كان الذي أسر العباس بن عبد المطلب أبو اليسر بن عمرو، وهو كعب بن عمرو أحد بني سلمة، قال له رسول الله ﷺ: «كيف أسرته يا أبا اليسر» قال: لقد أعانني عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل، هيئته كذا، هيئته كذا، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه ملك كريم» وقيل للعباس كيف أسرك أبو اليسر ولو أردت أن تحمله على كفك لفعلت؟ قال: ما إن رأيته حتى رأيته كالخندمة فاستسلمت له.

وقد شُد وثاقه فأن، فلم ينم رسول الله ﷺ، فقيل ما سهرك يا رسول الله؟ قال: لأنين العباس» فقام رجل فأرخى وثاقه وفعل ذلك بالأسرى كلهم.

وأمره رسول الله ﷺ أن يؤدي فداءه وفداء ابن أخيه عقيل بن أبي طالب. وفي رواية أن العباس رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: لقد تركتني فقير قريش ما بقيت، فقال ﷺ: «كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب أم الفضل وقلت لها: إن قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت»، وفي رواية أن العباس رضي الله عنه قال: علام يؤخذ منا الفداء وكنا مسلمين أو وكنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني، فقال له ﷺ: «الله أعلم بما تقول إن يك حقاً إن الله يجزيك، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا» وقد أنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ (الأنفال: ٧٠).

وقد تأخر إسلام العباس إلى ما بعد الفتح لأنه كان ذا مال كثير، وكان أكثره متفرقاً في قريش فتأخر إعلان إسلامه لهذا السبب، والله أعلم.

فداء العباس:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٧١﴾(الأنفال: ٧٠-٧١).

عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة»[1].

عن يحيى بن عبدالله قال: لما قدم بالأسرى حين قدم بهم، قال: وسودة بنت زمعة عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، - وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ﷺ قال: تقول سودة: والله، إني لعندهم إذ أتيت، قيل: هؤلاء الأسرى قد أتى بهم، فرجعت إلى بيتي، ورسول الله ﷺ فيه، وغذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحُجر مجموعة يداه إلى عنقه بحبل» وذكر الحديث.[2]

عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أَسراهم بعثت زينب في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة، أدخلتها بها على أبي العاص، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها؟ قالوا: نعم. وكان رسول الله ﷺ أخذ عليه ووعده أن يخلي سبيل زينب إليه، وبعث رسول الله ﷺ، زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار، فقال لهما: كونا ببطن يأجج، حتى تمر بكما زينب فتصطحباها، حتى تأتيا بها.[3]

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: « من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا، فتقدم الفتيان، ولزم المشيخة الرايات، فلم يبرحوها، فلما فتح الله عليهم، قالت المشيخة: كنا ردءاً لكم، لو انهزمتم فئتم إلينا، فلا تذهبوا بالمغنم دوننا ونبقى، فأبى الفتيان، وقالوا: جعله رسول الله ﷺ لنا، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال:١). يقول: كان ذلك خيراً لهم، فكذلك أيضاً فأطيعوني، فإني أعلم بعاقبة هذا منكم»

---

(١) كذا بدون تعيين المعدود، وقد ورد في المغازي أن فداء بعض المشركين كان أربعة آلاف درهم.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) أخرجه أبو داود.

وفي رواية يقول: فكما كان خروجه خيراً لكم، فكذلك فأطيعوا الله ربكم فإنه أعلم بعاقبة أموركم ومصالحها، فاصطلحوا ورضي كلُ بقسم الله فيهم.

وفي رواية: فقسمها رسول الله ﷺ بالسواء.[1]

عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ نظر إلى عمير بن أبي وقاص فاستصغره حين خرج إلى بدر ثم أجازه قال سعد: فيقال: إنه خانه سيفه، قال عبد الله - يعني - ابن جعفر المجرمي -: قتل يوم بدر.[2]

عن رفاعة بن رافع الأنصاري قال: أقبلنا يوم بدر ففقدنا رسول الله ﷺ، فنادت الرفاق بعضها بعضاً: أفيكم رسول الله ﷺ؟ فوقفوا حتى جاء رسول الله ﷺ: فيهم علي بن ابي طالب فقالوا: يا رسول الله فقدناك، فقال: إن أبا الحسن وجد مغصاً في بطنه فتخلفت عليه.[3]

كما أنزل اله عز وجل: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾(الأنفال:١٢).وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ (الأنفال:٧) والشوكة القوم، وغير ذات الشوكة العير.

وكان رسول الله ﷺ قد اخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه القوم فانهزموا فانزل الله عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٧) فقتلنا وأسرنا. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ما أرى أن تكون لك أسرى، فإنما نحن داعون مؤلفون. قلنا - معشر الأنصار -: إنما يحمل عمر على ما قال حسدٌ لنا، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ، فقال: ادعوا لي عمر فدُعي له، فقال: إن الله عز وجل قد أنزل علي: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ

(١) أخرجه أبو داود.

(٢) رواه البزار.

(٣) رواه الطبراني.

ٱلْأَخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٦٧).

عن على بن أبي طالب قال: لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها، فأصابنا بها وعك، فكان النبي ﷺ يتخبر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر - وبدر بئر - فسبقنا المشركون إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم. رجلاً من قريش، ومولى لعقبة أبن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة، فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «كم القوم»؟ فقال: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم؛ فجهد رسول الله ﷺ أن يخبره فأبي. ثم إن النبي ﷺ سأله: «كم ينحرون من الجزر؟ قال: عشرة لكل يوم. فقال رسول الله ﷺ: «القوم ألف كل جزور لمائة ونيفها.

ثم إنه أصابنا طشٌ من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف، نستظل تحتها من المطر. وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: «اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تُعبد» قال: فلما أن طلع الفجر نادى «الصلاة عباد الله» فجاء الناس من تحت الشجر والحجف. فصلى بنا رسول الله وحض على القتال ثم قال: «إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل» فلما دنا القوم وصففناهم إذا رجل منهم على جمل أحمر يسير في القوم. فقال رسول الله ﷺ: «يا علي ناد حمزة - وكان أقربهم من المشركين-: من صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم؟»: ثم قال رسول الله ﷺ: «إن يكن في القوم أحدٌ يأمر بخير، فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر» قال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: يا قوم إني أرى قوماً مستميتين، لا تصلون إليهم وفيكم خير؛ يا قوم اعصبوها اليوم برأسي وقولوا: جبن عتبة بن ربيعة، ولقد علمتم أني لست بأجبنكم.

فسمع بذلك ابو جهل، فقال: أنت تقول ذلك، والله لو غيرك يقول لأعضضته، قد ملأت رئتُك جوفك رعباً. فقال عتبة: إياي تعني، يا مصفر استه، ستعلم اليوم أينا الجبان.

قال: فبرز عتبة، وأخوه شيبة وأبنه الوليد، حمية، فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستةٌ. فقال عتبة: لا نريد هؤلاء ولكن يبارزنا من بني عمنا من بني عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ: «قم يا علي، وقم يا حمزة، وقم يا عُبيدة بن الحارث بن المطلب» فقتل الله شيبة وعتبة ابني ربيعة والوليد بن عُتبة. وجرح عبيدة.

فقلتنا منهم سبعين، وأسرنا سبعين. فجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً. فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني. أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق، ما أراه في القوم.

قال الأنصاري أنا أسرته يا رسول الله. قال: «اسكت، فقد أيدك الله بملك كريم»

قال عليه الصلاة والسلام: فأسرنا من بني عبد المطلب العباس وعقيلاً ونوفل ابن الحارث.[1]

وقال للعباس: «يا عباس افد نفسك وابن أخيك عقيل بن ابي طالب، ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن جحدم» - أحد بني الحارث بن فهر - قال: فإني كنت مسلماً قبل ذلك، وإنما استكرهوني.

قال: «الله أعلم بشأنك؛ إن يك ما تدعي حقاً، الله يجزيك بذلك، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافد نفسك»، وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ معه[2] عشرين أوقية ذهب فقال: يا رسول الله، احسبها من فدائي، قال: «لا، ذلك شيء أعطانا الله منك» قال: فإنه ليس لي مال.

قال: «فأين المال الذي وضعته بمكة، حين خرجت، عند أم الفضل، وليس معكما غيركما أحد، فقلت: إن اصبت في سفري، فللفضل كذا ولقُثم كذا، ولعبد الله كذا».

---

(١) رواه أحمد والبزار، وروي أبو داود طرفاً منه.

(٢) كذا في الأصل ولعلها «منه».

قال: فوالذي بعثك بالحق، ما علم به أحد من الناس غيري وغيرها، وإني أعلم أنك رسول الله.[1]

وعن أبي عزيز بن عمير - أخي مصعب بن عمير - قال: كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالأسرى خيراً، وكنت في نفر من الأنصار، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر، وأطعموني البُر، لوصية رسول الله ﷺ[2].

وعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكنت قد أسلمتُ، وأسلمت أم الفضل وأسلم العباس، وكان يكتم إسلامه مخافة قومه وكان أبو لهب تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص ابن هشام، وكان له عليه دين فقال له: اكفني من هذا الغزو، وأترك لك ما عليك، ففعل، فلما جاء الخبر، وكبت الله أبا لهب - وكنت رجلاً ضعيفاً أنحت هذه الأقداح في حجرة زمزم - فوالله إني لجالس أنحت أقداحي في الحجرة، وعندي أم الفضل، إذا الفاسق أبو لهب يجر رجليه، أراه قال، حتى جلس عند طُنب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري، قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث؛ فقال أبو لهب: هلم يا أبن أخي كيف كان أمر الناس؟.

قال: لا شيء والله، ما هو إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا؛ وأيم الله، ما لمتُ الناس، قال: فلمَ؟.

قال: رأيت رجالاً بيضاً على خيل بلق، لا والله لا تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء.

قال: فرفعت طنب الحجرة فقلت: تلك والله الملائكة.

فرع ابو لهب يده فلطم وجهي، وثاورته، فاحتملني، فضرب بي الأرض حتى نزل علي، وقامت أم الفضل فاحتجزت، وأخذت عموداً من عمد الحجرة فضربته به، ففلقت في رأسه شجة منكرة، وقالت: أي عدو الله استضعفته أن رأيت سيده غائباً عنه. فقام

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الطبراني في الصغير والكبير.

دليلاً؛ فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى ضربه الله بالعدسة، فقتلته فتركه ابناه يومين أو ثلاثة، ما يدفناه حتى أنتن؛ فقال رجل من قريش لابنيه: ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته؟ فقالا: إنا نخشى هذه القرحة.

وكانت قريش تتقي العدسة كما تتقي الطاعون. فقال رجل: انطلقا فأنا معكما فوالله ما غسلاه إلا قذفاً بالماء من بعيد. ثم احتملوه، فقذفوه في أعلى مكة إلى جدار، وقذفوا عليه الحجارة.(١)

عن أبي أسيد، أنه كان يقول: أصبت يوم بدر سيف بني عابد المخزوميين «المرزبان»، فلما أمر رسول الله ﷺ أن يردوا ما في أيديهم، أقبلت به حتى ألقيته في النفل قال: وكان رسول الله ﷺ، لا يمنع شيئاً يُسأله؛ قال: فعرفه الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، فسأله رسول الله ﷺ، فأعطاه إياه.

وكان من الأسرى نوفل بن الحارث بن عبد المطلب:

قال له رسول الله ﷺ: «افد نفسك يا نوفل» مالي شيء أفدي به نفسي، قال: «افد نفسك من مالك الذي بجدة» وفي لفظ «بأرماحك التي بجدة» فقال: أشهد أنك رسول الله، والله ما أحد يعلم أن لي بجدة أرماحاً غير الله. وفدي نفسه.

وكان من الأسرى عمرو بن عبد الله بن عثمان بن وهب بن جمح أبو عزة الشاعر:

وكان يؤذي النبي ﷺ بشعره، فلما اسر قال: يا رسول الله إني فقير وذو حاجة قد عرفتها ولي خمس بنات، ليس لهن شيء، فتصدق بي عليهن، فأعتقه وأخذ عليه المواثيق، قال أبو عزة: أعطيك موثقاً لا أقاتلك، ولا أكثر عليك أبداً.

وذكر أنه قال في ذلك شعراً يمدح رسول الله ﷺ ويذكر فضله: قال:

مـن مبلـغ عنـي الرسـول محمـداً بأنـك حـق والمليـك حميـد

(١) رواه الطبراني والبار.

وأنت امرؤ تدعو على الحق والهدى عليك من الله العظيم شهود
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة لها درجات سهلة وصعود
فإنك من حاربته لمحارب شقي ومن سالمته لسعيد

فلما خرجت قريش على احد، جاءه صفوان بن أمية قال: اخرج معنا. فقال إني قد أعطيت محمداً موثقاً إلا أقاتله، ولا أكثر عليه أبدا، وقد من علي ولم يمن على غيري حتى قتله أو أخذ منه الفداء فضمن له صفوان أن يجعل بناته مع بناته إن قتل، وإن عاش أعطاه مالاً كثيراً لا يأكله عياله فغلبت عليه شقوته وخرج يدعو العرب ويحشدها، ثم خرج مع قريش يوم أحد فأسره ولم يؤسر غيره من قريش فقال: يا محمد إنما خرجت مكرهاً، ولي بنات، فامنن علي.

فقال رسول الله ﷺ: «أين ما أعطيتني من العهد والميثاق؟ لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول: سخرت بمحمد مرتين، إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، يا عاصم بن ثابت قدمه فاضرب عنقه» فقدمه عاصم فضرب عنقه.

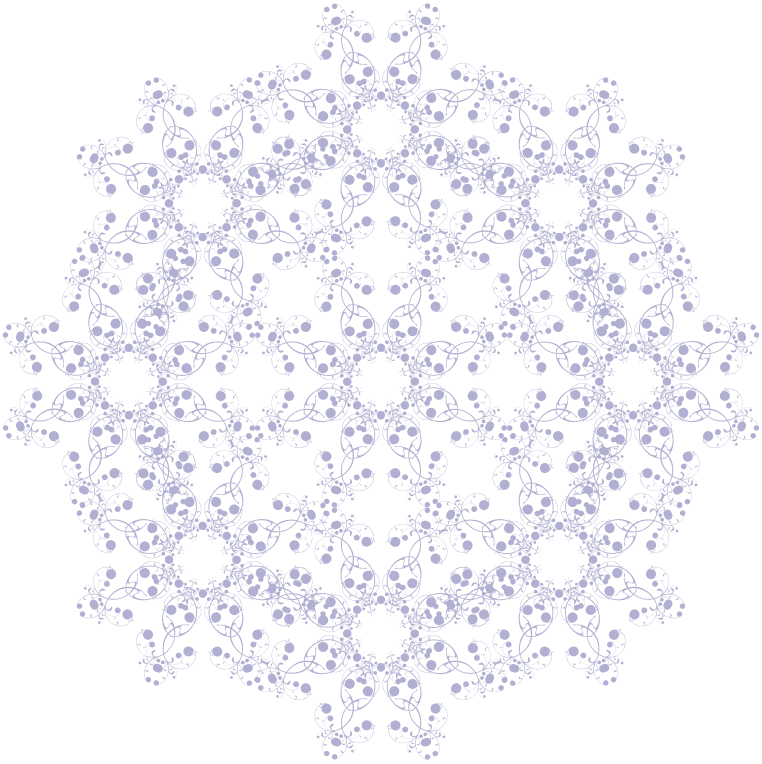

الأسرى الذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهم

لم يأمر رسول الله ﷺ بقتل أسير قط إلا وكان هذا الأسير يدخل تحت وصف – مجرم حرب – كما يقول رجال الساسة المحدثون، أي أن يكون قد ارتكب من الجرائم والآثام ضد الإسلام والمسلمين، واستمر على آثامه وجرائمه وعداوته حتى وقع في الأسر، وليس هناك أمل في توبته أو رجوعه.

النضر بن الحارث:

نظر رسول الله ﷺ إلى النضر بن الحارث وهو أسير، فقال النضر للأسير الذي بجانبه: محمد والله قاتلي، فإنه نظر إلي بعينين فيهما الموت، فقال له: والله ما هذا إلا رعب.

وقال النضر لمصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه: يا مصعب أنت أقرب من هنا إلي رحماً فكلم صاحبك أن يجعلني كرجل من أصحابي، يعني المأسورين، هو والله قاتلي. «هذا بسبب معرفته بما ارتكب من الآثام وما قدمه من أذى وإساءة إلى المسلمين، ونبي الإسلام، وكتاب الإسلام، عمق في نفسه الإحساس بأنه يستحق القتل» فقال مصعب: إنك كنت تقول في كتاب الله كذا وكذا (يعيبه ويسبه) وتقول في نبيه ﷺ كذا وكذا (يشتمه ويهجوه) وكنت تعذب أصحابه، وفي أسباب النزول للسيوطي: وكان المقداد رضي الله عنه أسر النضر، فلما أمر رسول الله بقتله، قال المقداد: يا رسول الله: أسيري فقال له رسول الله ﷺ«إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول». وقد أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بقتله بالصفراء في طريق العودة إلى المدينة.

وقد رويت أبيات من الشعر منسوبة إلى قتيلة بنت الحارث في مقتل أخيها:

يـا راكبـاص إن الأثيـل مظنـة ... مـن صبـح خامسـة وأنـت موفـق

أبلـغ بهـا ميتـاص بـأن تحيـة ... مـا إن تـزال بهـا النجائـب تخفـق

منـي إليـك وعـبرة مسـفوحة ... جـادت بواكفهـا وأخـرى تخنـق
هـل يسـمعن النظـر إن ناديتـه ... أم كيـف يسـمع ميـت لا ينطـق
أمحمـد يـا خـير ضـنء كريمـة ... في قومهـا والفحـل فحـل معـرق
مـا كان ضرك لـو مننـت وربـما ... مـن الفتـى وهـو المغيـظ المحنـق
أو كنـت قابـل فديـة فلينفقـن ... بأعـز مـا يغلـو بـه مـا ينفـق
والنـضر أقـرب مـن أسرت قرابـة ... وأحقهـم إن كان عتـق يعتـق
ظلـت سـيوف بنـي أبيـه تنوشـه ... لله أرحـام هنـاك تشـقق
صـبراً يقـاد عـلى المنيـة متعبـاً ... رسـف المقيـد وهـو عـان موثـق

ويقال: إنه ﷺ حين سمع هذا الشعر بكى حتى أخضلت لحيته وقال: «لو بلغني هذا الشعر قبل مقتله لمننت عليه» وفيه نظر.

عقبة بن أبي معيط:

وفي عرق الظبية أمر رسول الله ﷺ بقتل عقبة بن أبي معيط، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وحين قدم للقتل قال: من للصبية يا محمد؟ قال عليه الصلاة والسلام: «النار»، فنادى: يا معشر قريش مالي أقتل من بينكم صبراً؟ فقال له النبي ﷺ «بكفرك وافترائك على رسول الله» وفي رواية «ببزاقك» على وجهي» ولذلك قصة سنلخصها بعد قليل قال في البداية: لما أمر رسول الله ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلني يا محمد من بين قريش؟ قال: «نعم أتدرون ما صنع بي؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فألفاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي».

اما قصة البزاق فتتلخص فيما يلي:

كان عقبة بن أبي معيط يكثر من مجالسة رسول الله ﷺ في مكة وهو على كفره، ويوماً

دعا لوليمة، فدعا رسول الله ﷺ إليها، فرفض عليه السلام أن يأكل من طعامه إلا أن ينطق بالشهادتين، ففعل، وكان أبي بن خلف صديقاً لعتبة، فعاتبه وقال: صبأت يا عقبة، قال: لاولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه، فشهدت له الشهادة وليست في نفسي، فقال أُبي: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداُ فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه، فوجده ﷺ ساجداً في دار الندوة، ففعل به ذلك، فقال رسول الله ﷺ «لا ألقاك خارج مكة إلا علوت راسك بالسيف» وأنزل الله فيه﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ (الفرقان: ٢٧).

طعيمة بن عدي:

والصحيح أن حمزة رضي الله عنه قتله في المعركة.

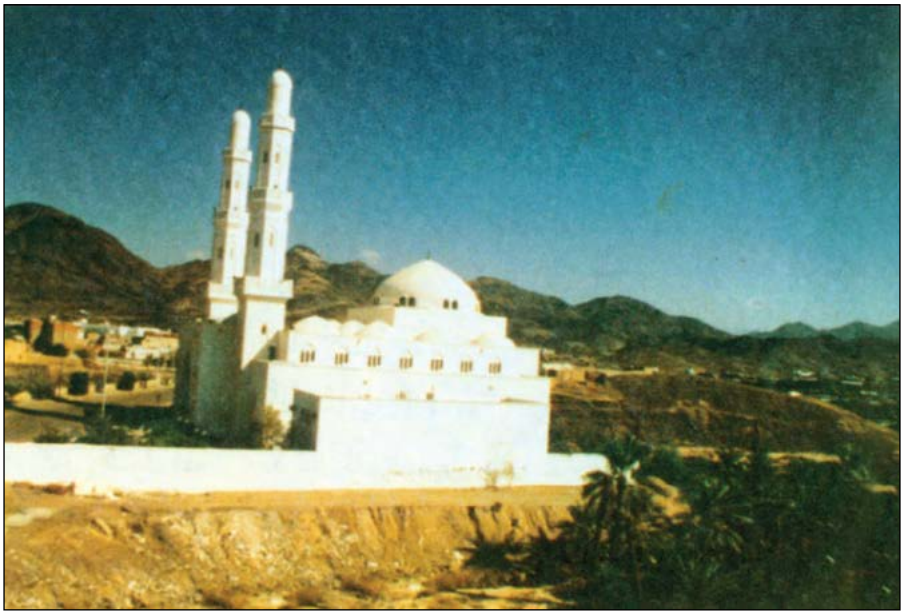

مسجد العريش

جانب من أرض المعركة بجوار المكان الذي استراح فيه رسول الله ﷺ بعد المعركة

الغنائم في بدر والخلاف حولها

قال الله تعالى في سورة الأنفال:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال:١).

كان رسول الله ﷺ قد قال للمسلمين عند التقاء الجمعين : « من قتل قتيلا فله سلبه، ومن اسر اسيرا فهو له».

ولما انهزمت قريش، وولت الأدبار، وقتل من قُتل وأسر من أسر وفر من استطاع أن يفر، كان المسلمون في هذه الساعة بين متتبع مطارد للمشركين الفارين يدفع بهم بعيداً ويشردهم بعيداً عن مكان الوقعة، ومشغول منهمك جاد في جمع ما تركه العدو المهزوم في مكان المعركة من سلاح ومتاع وخيل وثياب، وغير ذلك، وقائم على عريش رسول الله ﷺ حتى لا يجد العدو إليه سبيلا. فقال كل فريق : إننا أحق بهذه الغنائم. من جمعوا قالوا: نحن جمعنا وحملنا فنحن أحق بما جمعناه وأوعيناه، ومن تتبع الفارين قالوا: نحن تتبعناهم وطاردناهم ولولا نحن ما استطعتم أن تجمعوا شيئاً، والذين كانوا حول الرسول قالوا: نحن ما بقينا حول الرسول جبناً ولا ضعفاً ولا زهداً في القتال ولكنا بقينا للذود عن القيادة والرسول عليه الصلاة والسلام، فنزلت الآية تجعل الغنائم لله وللرسول عليه الصلاة والسلام حسماً للخلاف وقطعاً لدابر الفتنة التي أرادت أن تطل برأسها ولأن الله قد منَّ عليهم بهذه الغنائم استجابة لدعاء رسوله الكريم حين فصل بالجيوش ودعا ربه قائلا: «اللهم إنهم حفاة فاحملهم، جياع فأطعمهم ، عراة فاكسهم، عالة فأغنهم» أو كما قال، فإن ذلك لا يصح أن يكون سبباً للخلاف والخصومة، وأمر كل من أخذ شيئاً من الغنائم أن يرده إلى رسول الله ﷺ.

روى الإمام أحمد في المسند عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:

خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدراً، فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون وأكبّت طائفة على المعسكر يحوونه ويجمعونه وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم.

وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أحطنا برسول لله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ... ﴾ الآية: فقسمها رسول الله ﷺ عل سواء بين المسلمين .

وكانت الغنائم ١٩٠ بعيراً وعشرة أفراس وكان معهم أدم كثير حملوه للتجارة وأسلحة وانطاع وأدراع وطعام ومتاع كثير وكان هناك قطيفة حمراء افتقدها القوم فقالوا: ما نرى رسول الله ﷺ إلا أخذها فنزل قول الله سبحانه وتعال : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ .. ﴾.. ثم جاءهم من دلهم على آخذها والمكان الذي خبأها فيه ، ثم طلبوا من النبي ﷺ أن يستغفر له، ثلاثاً ، فقال: «دعونا من آتي حرم ».

ثم أمر رسول الله ﷺ أن تقسم بينهم على سواء، فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله أيعطى فارس القوم الذي يحميهم مثل ما يعطى الضعيف .

فقال ﷺ: « ثكلتك أمك ٠ وهل تنصرون إلا بضعفائكم» والقول الراجح أنه أعطى من قتل قتيلاً سلبه ، وأعطى من أسر أسيره ثم قسم ما وجد مطروحاً وما أخذ بغير قتال بينهم بالتساوي.

اختلف فيمن أخذ سلب أبي جهل، فقيل أخذه معاذ بن عمرو بن الجموح، وقيل أخذه عبد الله بن مسعود – وأخذ علي سلب الوليد بن عتبة ودرعه ومغفره وبيضته

وأخذ حمزة سلاح عتبة، وأخذ عتبة بن الحارث درع شيبة بن ربيعة وقد ضرب رسول الله ﷺ بسهم لكل واحد من الثمانية الذين تخلفوا لأعذار، كما أخرج سهماً لكل واحد من الشهداء وأعطاه لورثته .

كما أعطى رسول الله ﷺ مماليك ممن حضروا بدراً ولم يسهم لهم، فأعطى غلاماً لحاطب بن أبي بلتعة وأعطى غلاماً لعبد الرحمن بن عوف كما أعطى غلاماً لسعد بن معاذ.

واستعمل شقران غلام رسول الله ﷺ على الأسرى فأعطي من الأسرى ما لو كان حُراً ما أصابه من المقسم. وتنفّل ﷺ سيفه ذا الفقار وكان لمنبه بن الحجاج وتنفّل جمل أبي جهل وكان مهرياً ولم يزل يغزو عليه حتى ساقه في هدي الحديبية، وقيل: إن المشركين عرضوا ثمناً له مائة بعير فقال عليه الصلاة والسلام : « لولا أني سميته في الهدي لأمضيت».

ثم نزلت آية الخمس التي تفرض إخراج خمس الغنيمة لتوضع في مصارفها التي حددتها الآية: لله وللرسول وذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقد اختلف في نزول هذه الآية هل نزلت في بدر؟ أو بعدها؟ .

ويرجح كثير من العلماء نزولها في بدر لأن سورة الأنفال كلها كانت في غزوة بدر حتى لقد قيل إن غنيمة سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة قد تأخر تقسيمها فقسمت مع بدر بعد إخراج الخمس منها .

روى البخاري رحمه الله تعالى أن حسين بن علي أخبر أن علياً قال : كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني شارفاً مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ. . إلخ . فهذا يدل على أن غنائم بدر خمست ثم قسم الأربعة الأخماس بين من حضروا بدراً بالتساوي.

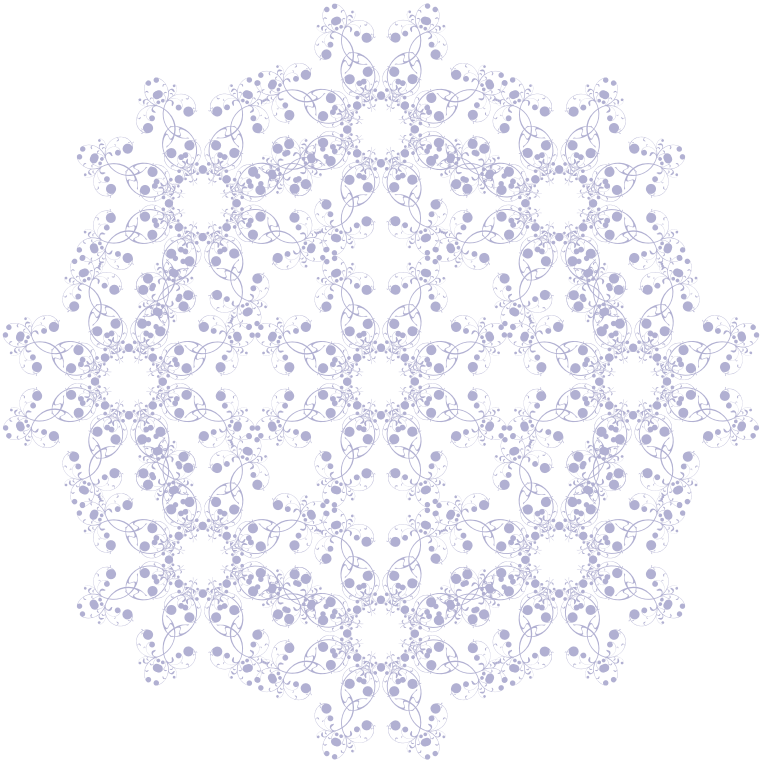

مكة تعلم بمصاب قريش

لم يكن أحد في مكة يظن أو يتخيل أن تصاب قريش وأحلافها بهذه الهزيمة النكراء وأن تفجع في هذا العدد الكبير من سادتها وكبرائها وزعمائها في يوم أو بعض يوم، ومن هنا كان الذهول وعدم التصديق هو الشعور السائد الغالب عليهم حين جاءهم من يخبرهم بالفاجعة.

وكان أول من قدم مكة بمصاب ريش الحيسمان بن عبد الله بن إياس بن كعب الخزاعي، فسألوه ما وراءك؟ فقال: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود وأبو البختري بن هشام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج. فقال صفوان بن أمية وكان سامعاً: والله إن يعقل هذا فسلوه عني. فقالوا ما فعل صفوان بن أمية؟ فقال هو ذاك جالس في الحجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا. قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت وأسلمت أم الفضل، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه.

وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر بعث مكانه العاص بن هشام، فلما جاءه الخبر عن مصاب مكة في بدر كتمه وكبته. قال أبو رافع: وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر، أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طرف الحجرة فكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم، قال أبو لهب: هلم إليّ فعندك الخبر، قال: فجلس إليه والناس قيام عليه. فقال: يا بن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس.

قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلون كيف شاءوا، ويأسروننا

كيف شاءوا، وايم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، والله ما تلقى شيئاً ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت: تلك والله الملائكة. قال فرفع يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة، قال: وثاورته فاحتملني وضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً.

فقامت أم الفضل إلى عمود من عُمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فبلغت في رأسه شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده. فقام مولياً ذليلاً ومات بعدها بقليل.

وكانت قريش قد قررت عدم النياحة وتأخرت في إرسال الفداء في الأسرى تعبيراً عن سخطها، وكانت النساء في أول الأمر قد ناحت زمناً وجززن شعورهن ثم أشير عليهن، لا تفعلن فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمتوا بنا، ولا نبكي قتلانا حتى نأخذ بثأرهم، وتواصوا على ذلك.

وكان الأسود بن زمعة من المستهزئين بالمسلمين، يقول إذا رآهم: قد جاءكم ملوك الأرض، ومن يغلب على ملك كسرى وقيصر فاستجاب الله فيه دعوة رسوله فأصابه العمى. قتل له في بدر ثلاثة من ولده، وكان يحب أن يشفي صدره ببكائهم، وكان يبعث غلاماً له ليرى إن كان النوح قد أحل، وقيل كان يخرج به غلامه يقوده إلى شعب حيث يبكي فلا يراه أحد، ويقول لغلامه اكتم علي.

وكان من رد فعلهم مؤامرة صفوان بن أمية وعمير بن وهب لقتل رسول الله ﷺ التي انتهت بإسلام عمير بن وهب (ذكرناها عند الحديث عن الأسرى).

سمي الله تعالى يومها (يوم الفرقان يوم التقى الجمعان)، وجعلها مناط التمايز والتفريق بين الناس في الآخرة.

لقد اصطفى الله أصحاب بدر من بين المسلمين فخصهم بمزايا ليست لغيرهم من المؤمنين، وذلك لأن بدراً فتحت الطريق أمام الإسلام ليطل بنوره على جزيرة العرب ثم يخرج منها إلى الدنيا بأسرها.

ولأن بدراً أضاءت للأمة الإسلامية وللجماعة المؤمنة سبل الدعوة والجهاد والحياة في ظل خلوص العبودية لله تعالى فكان لمن شارك فيها المكانة اللائقة والفوز بالجنة والنجاة من النار.

إن أصحاب بدر هم النجوم المضيئة في التاريخ الإسلامي حتى أصبح يقال للواحد منهم البدري، وكفى بهذا الوصف شرفاً وتعظيماً له في حياة الناس، وكفى به أجراً وإحساناً عند الله تعالى» أ.هـ مرويات غزوة بدر.

فضل من شهد بدراً

قتل حارثة بن سراقة في غزوة بدر، أصابه سهم غرب وهو يشرب على الحوض، بلغ خبر مقتله أمه الربيع بنت النضر عمة أنس رضي الله عنهم بالمدينة قبل رجوع النبي ﷺ إلى المدينة، فقالت: لا ابكيه حتى أسأل رسول الله ﷺ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ذهبت مع أخته إليه، فقالت يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى تر ما أصنع. فقال لها ﷺ: «ويحك أو هبلت أجنة واحدة؟ إنها جنان كثيرة والذي نفسي بيده إنه لفي الفردوس الأعلى» ودعا رسول الله ﷺ بإناء من ماء، فغمس يده فيه ومضمض فاه فيه ثم ناوله أم حارثة فشربت، ثم ناولت ابنتها فشربت، ثم أمرهما تنضحان به في جيوبهما، ففعلتا، فرجعتا من عند النبي ﷺ وما بالمدينة امرأتان أقر عيناً منهما ولا أسر. رواه البخاري.

فهذا الذي أصيب وهو خارج حومة الوغي قبل أن يشارك في قتال أو عراك مكانه الفردوس الأعلى، فانظر أين مكان الأبطال الين خاضوا المعارك طلباً للشهادة وكتبها الله لهم؟.

روى البخاري رحمه الله عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه – وكان أبوه من أهل بدر – قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟».

قال: «من أفضل الناس – أو كلمة نحوها – قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة». وهذه صورة رائعة لبيان منزلة أهل بدر إذ يقاس الملائكة بهم في الفضل. وقد وردت أحاديث تدل على أن أهل بدر قد غفر الله لهم كما تدل على أنهم من أهل الجنة وإن أخطأوا.

فقد روى البخاري عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير – كلنا فارس – قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين

معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين. فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ. فقلنا: الكتاب؛ فقالت: ما معي من كتاب. فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتاباً. فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت على حجزتها- وهي محتجزة بكساء - فأخرجته فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ.

فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه. فقال النبي ﷺ: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله ﷺ، ولكن أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع بها الله عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال النبي ﷺ: «صدق ولا تقولوا له إلا خيراً» فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضربن عنقه فقال ﷺ: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم». فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. أ هـ.

قال ابن حجر رحمه الله واتفقوا على أن البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة، لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها. والله أعلم.

وقال النووي رحمه الله (شرح مسلم) قال العلماء: معناه الغفران لهم في الآخرة وإلا فإن توجه على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه في الدنيا، ونقل القاضي عياض الإجماع على إقامة الحد وإقامة عمر على بعضهم قال: وضرب رسول الله ﷺ مسطحاً الحد وكان قد شهد بدراً. أ هـ.

وجاء أحد الصحابة على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن ابن عمي نافق، أي وقد كان من أهل بدر، أتأذن لي أن أضرب عنقه؟ فقال ﷺ: «إنه شهد بدراً وعسى أن يكفر عنه» وفي رواية «وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

روى أحمد عن حفصة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله تعالى أحد شهد بدراً أو الحديبية.

وفي مجمع الزوائد قال الهيثمي رحمه الله:

عن رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «والذي نفسي بيده لو أن مولوداً ولد في فقه أربعين سنة من أهل الدين، يعمل بطاعة الله ويجتنب معاصي الله كلها على أن يرد إلى أرذل العمر، أو يرد إلى أن لا يعلم بعد علم شيئاً لم يبلغ أحدكم هذه الليلة» رواه الطبراني أيضا.

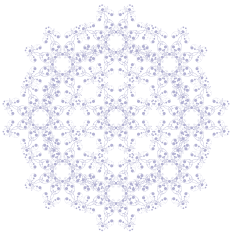

ويقال لها بدر الموعد، لأن رسول الله ﷺ واعد أبا سفيان على أن يكون بينهما لقاء في بدر، وذلك حين انصرافه من أحد، فقد قال أبو سفيان موعد ما بيننا وبينكم بدر - أي موسمها - فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، قل: نعم إن شاء الله تعالى:

اختلف رواة السيرة في موعد خروجه ﷺ لهذه الغزوة فقيل خرج في شعبان، وقيل في شوال، وقيل في ذي القعدة من السنة الرابعة من الهجرة والراجح أن خروج المسلمين كان في شهر شوال لأنهم وصلوا في مستهل ذي العقدة وأقاموا بها ثمانية أيام - موسم بدر كل عام - حيث كان الناس يجتمعون بها هذه المدة يقيمون ويبتاعون ويتبادلون المنافع.

وقد استخلف رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله بن عبد الله ابن سلول وقيل عبد الله بن رواحة، وقد اختلف في عدد من خرج معه من المسلمين فقيل كانوا الفاً وخمسمائة مقاتل، وقيل سبعين والفرق كما ترى كبير.

وقد نزلت هذه الغزوة آيات من كتاب الله العزيز: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾(آل عمران: ١٧٣).

وذلك لأنه عندما تأهب المسلمون للخروج جاءهم نعيم بن مسعود الأشجعي - ولم يكن قد أسلم بعد - وأخذ يطوف بالمدينة يرجف بكثرة المشركين وقوة استعدادهم ويخوف المسلمين من لقائهم قائلاً: ما هذا بالرأي، أتوكم في دياركم وقراكم فلم يفلت منكم إلا شريد، فتريدون أن تخرجوا إليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم من أحد.

وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد ذهب إلى أبي سفيان وأهل مكة يخبرهم بتأهب المسلمين للخروج إلى موعدهم في بدر، وكان أبو سفيان وأهل مكة قد خرجوا وهم يزمعون على الرجوع قبل لقاء المسلمين، فبعث أبو سفيان نعيم بن مسعود على أهل المدينة ليثبطهم ويضعف عزائمهم ويخوفهم من لقاء أبي سفيان ومن معه، وله عشر من الإبل وقال أبو سفيان لقريش: لقد بعثنا نعيماً ليخذل المسلمين عن الخروج، لكن نخرج نحن فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع فإن كان محمد لم يخرج وبلغه أنا خرجنا ورجعنا لأنه لم يخرج، كان ذلك لنا عليه، وإن خرج أظهرنا أن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام عشب، قالوا نعم، فخرج بهم حتى وصلوا إلى مجنة وهي سوق معروف قرب مر الظهران، ثم قال: يا معشر قريش، لا يصلحكم إلا عام خصب، ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم عام جدب، وإني راجع فارجعوا، فرجع الناس، فسماهم أهل مكة جيش السويق.

أما ما كان شأن المسلمين فقد تأثر بعضهم بأراجيف نعيم بن مسعود، وترددوا في الخروج، واستبشر المنافقون واليهود، وقالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع، فجاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى النبي ﷺ، وقد سمعا ما أرجف به المرجفون وقالا له: يا رسول الله، إن الله مظهر نبيه ومعز دينه، وقد وعدنا القوم موعداً لا نحب أن نتخلف عنه، فيرون أن هذا جبن، فسر لموعدهم، فوالله إن في ذلك لخيرة فسر عليه الصلاة والسلام لكلامهما وقال: «والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد» فأذهب الله عنهم ما كانوا يجدون.

وحمل لواء المسلمين في هذه الغزوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وخرج المسلمون ومعهم تجارات إلى بدر، قالوا خرج ومعه سبعون رجلاً يقولون (حسبنا الله ونعم الوكيل) وصاروا كلما سألوا عن قريش يقولون لهم: قد جمعوا لكم، قالوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

وقام السوق صبيح الهلال، واستمر ثمانية أيام، وهم مقيمون ينتظرون من واعدوهم،

ووجدوها أسواقاً لا ينازعهم فيها أحد، وكان معهم نفقات وتجارات فباعوا واشتروا وربحوا أدماً وزبيباً وأصابوا بالدرهم درهمين، وانصرفوا على المدينة سالمين غانمين، وقال في ذلك عبد الله بن رواحة أو كعب بن مالك.

وعدنا أبا سفيان وعداً فلم نجد ... لميعاده صدقاً وما كان وافياً
فاقسم لو وافيتنا فلقيتنا ... لأبت ذميماً وافتقدت المواليا
تركنا به أوصال عتبة وابنه ... وعمراً أبا جهل تركناه ثاوياً
عصيتم رسول الله أف لدينكم ... وأمركم الشيء الذي كان غاوياً
وإني وإن عنفتموني لقائل ... فدى لرسول الله أهلي وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره ... شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا

وذكر ابن القيم في زاد المعاد والحلبي أن النبي ﷺ خرج إلى بدر الموعد في ألف وخمسمائة مقاتل.

وقد أسرع معبد بن أبي معبد إلى مكة بعد انتهاء الموسم ليخبر قريشاً بأن المسلمين كانوا أصحاب الموسم، فقال صفوان بن أميه لأبي سفيان: قد والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم، وقد اجترءوا علينا ورأوا أنا أخلفناهم وإنما خلفنا الضعف.

القليب المكان الذي دفن فيه موتى المشركين

نتائج معركة بدر بالنسبة لقريش والقبائل:

كانت النهاية التي انتهت إليها معركة بدر نهاية مفجعة مؤسفة بالنسبة لقريش وأحلافها، وكارثة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فقد هزمت قريش هزيمة منكرة حاسمة ربما لم تشهد الجزيرة العربية لها مثيلاً منذ زمن بعيد، وقتل من سادتها وأشرافها وزعمائها عدد كبير، كما أسر منهم عدد كبير أيضاً، وهذا آخر ما كانت قريش تتوقعه بل لم يكن يخطر لها على بال.

فماذا كانت نتائج هذه الصدمة؟

العقل والمنطق يقولان: يجب أن يعيد القرشيون حساباتهم، وينظروا إلى الإسلام والمسلمين نظرة جديدة تتناسب مع هذا الحدث الجديد، ثم يرتبون علاقاتهم بالمسلمين والقبائل التي حولهم على أساس هذا الواقع الجديد، واقع ظهور جماعة جديدة فتية قوية، لها مبادئها ومقوماتها التي تساعدها على البقاء والنمو وخاصة بعد أن وضح أن الأمة الإسلامية قد عرفت طريقها إلى المقاومة الإيجابية بعد أن سيطرت تماماً على طريق التجارة مع الشام.

لكن الذي وقع شيء مختلف تماماً وغريب غاية الغرابة، فقد كان رد الفعل جاهلياً قبلياً، إذ أمرت النساء بالكف عن النوح والبكاء على قتلاهم، لأن البكاء والنوح يشفي الصدر، ويذهب الغيظ، وهم لا يريدون لصدورهم أن تسكن ولا لغيظهم أن يهدأ حتى يثأروا لقتلاهم من محمد وأصحابه.

وكانت زعامة الانتقام والثأر لأبي سفيان بن حرب وزوجته هند بنت عتبة التي ما فتئت تشعلها ناراً، وتبحث عن وسيلة للثأر من حمزة قاتل أبيها وأخيها، حتى وجدتها

غدراً في صورة العبد الحبشي وحشي في أحد.

أضطر القرشيون الأعزة أن يهبوا إلى المدينة في فداء أسراهم بعد أن امتنعوا عن ذلك زمناً، ثم اضطروا إلى التسليم بالأمر الواقع، فافتدى الأغنياء أسراهم بأربعة آلاف درهم لكل أسير، ومن رسول الله ﷺ على فقرائهم، وجعل فداء الكاتب منهم أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة.

انتقلت زعامة قريش إلى أبي سفيان بن حرب بعد قتل الزعماء والسادة في بدر لكنه لم يستطع أن يأتي بشيء ذي بال في صالح قريش ومكة رغم ما اشتهر به من هدوء الأعصاب، وطول التفكير، وجمود العاطفة، ولعل ذلك لأن قريشاً لم تسلم له بالزعامة كلها، بل كانت هناك بطون لا تعترف بزعامته.

المعروف عن القبائل البدوية العربية أنها واقعية التفكير، تميل إلى الجانب الذي تحس عنده القوة، وقد كان ميلها إلى قريش القوية، ذات الثراء والسيادة يحجب عنها إدراك ما في الإسلام من محاسن وفضائل، كما يحجب عنها الوضع الجديد المستقر الآمن الذي قام في المدينة بقيام أمة الإسلام، فلما وقعت الهزيمة وانكشفت قريش، بدأ زعماء القبائل ينصرفون عنها، واتجهت أنظارهم إلى المدينة يستطلعون أخبارها، ويستكشفون مزايا النظام الجديد الذي بزغ فجره فيها، ويتدبرون أمر الإسلام وقد زالت عن عيونهم الغشاوة التي كانت قريش تضعها عليها.

أغلق طريق التجارة على الشام، التي كانت تمثل الجانب الأكبر والرئيسي من مصادر ثراء قريش ورخائها، وقد أدى ذلك إلى انصراف العرب والأعراب عن الحج، حيث كان موسم الحج عندهم وهو موسم التجارة وتبادل السلع والمنافع، وبدأت ثروة قريش المدخرة خلال السنوات الطوال تستهلك وتنفد، كما انصرف أكثر العرب عن معبوداتهم التي أقاموا لها الأصنام حول الكعبة.

حاولت قريش الخروج من هذا الحصار بغزو المدينة مرتين: أحد والخندق، ولكنها باءت بالفشل الذريع في كليهما.

نتائج معركة بدر بالنسبة للإسلام والمسلمين:

١- كانت معركة بدر أول معركة متكاملة واجه المسلمون فيها الشرك والبغي والظلم، وجيش المسلمين في هذه المعركة كان أول جيش نظامي عرفه العرب في تاريخهم قبل الإسلام.

٢- كانت الضربة التي وجهها المسلمون للمشركين في هذا اليوم قاصمة فقد قتل عدد كبير من قادتهم وزعمائهم وسراتهم في زمن قليل، حيث قتل عتبة وشيبة والوليد، ثم قتل أبو جهل، وأبو البختري العاصي بن هشام وابنه الأسود، وأمية بن خلف وابنه علي، ثم عقبة بن أبي معيط، والنظر بن الحارث وغيرهم، واصبح المسلمون شيئاً جديداً وكياناً جديداً، وامة جديدة حول عقيدة ورسول وأهداف، لها نظام عسكري وسياسي وخط سلوكي لم تعرفه الجزيرة قبل ذلك.

٣- تفتحت عيون أهل المدينة من الأوس والخزرج على هذه الحقائق، وادركوا أن أمر الإسلام جد لا هزل فيه، وان أمة الإسلام الناشئة حقيقة واقعية لا مراء فيها، وزال ما في النفوس من شك وتردد، فأخذوا يقبلون على الإسلام في حماس، وحسن إسلامهم وشاركوا بأنفسهم وأموالهم في المغازي، فاتسع نطاقها وزادت نظاماً وقوة وحسماً.

٤- تزايد اهتمام أهل المدينة بإنشاء المساجد، وتوسيع مساجد القبائل بعد تزايد عدد المسلين وإقبالهم على أداء الصلوات وظل المسجد الجامع، مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام هو المحور الذي تجتمع حوله القلوب، وتؤدي فيه الصلاة الجامعة صلاة الجمعة، ويجتمع فيه الرسول الكريم بأصحابه معلماً ومرشداً، وهادياً وموجهاً، وقائداً.

٥- أدت المشاركة في معركة بدر بين المهاجرين والأنصار والمسلمين من أهل القبائل لأول مرة إلى زيادة التلاحم بين المسلمين، وتلاشت نهائياً فواصل القبلية والعصبية.

٦- دخلت المدينة في دائرة الأمان بعد انتصار بدر، وبدا اهتمام الرسول عليه الصلاة والسلام بالتوسع العمراني فيها، فاتسعت أطرافها. خاصة بعد أن انظم إلى سكانها كثير من أبناء القبائل الذين أقبلوا بعد نصر بدر وزوال الغشاوة عن عيونهم من قبائل جهينة، وبليّ وضبة.

٧- استقرت الأحوال الاقتصادية في المدينة المنورة وبدأ المسلمون يشعرون بالرخاء والاستقرار، إذا اتجه الجميع إلى العمل، يظللهم الأمان في حماية الشريعة الإسلامية، والعجيب أن استجابتهم لأحكام الشريعة الإسلامية الاجتماعية والخلقية كانت رائعة، فسرعان ما اختفت المنازعات والمشاحنات والعداوات الفردية، واختفى الطمع والجشع وحب المال والأنانية.

وغلبت على المسلمين روح الجماعة، والإيثار والاستعداد للبذل والعطاء، ومعاونة بعضهم بعضاً عن طيب نفس وسخاء، وأصبح التكافل الاجتماعي بين الإغنياء والفقراء هو السلوك السائد فيهم. يسابق بعضهم بعضاً على الجهاد وتحمل التبعات والرسول ﷺ يقوي هذه النزعة فيهم ويزكيها (فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) (والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده). (ومن بات شبعان وجاره جائع حرمت عليه الجنة)، (مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر).. أو كما قال.

وإذاً فقد كانت بدر ضربة قاصمة لأعداء الله ونصراً مبيناً لجند الله وفتحاً وتأييداً وبداية مسيرة عظيمة أعز الله فيها نبيه ﷺ ومن معه وأظهره وأيده وأنجزه وعده، وأصبح المسلمون في المدينة في سرور وحبور وأمان وأرهبت نتائج المعركة من حولهم من الأعداء الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر وتلاحم المعسكر الإسلامي أكثر وأكثر، وارتجف وخذل معسكر المشركين في مكة وشاء الله أن تكون بدر بداية النصر ومفتاح الظفر ونقطة الانطلاق نحو فتح مبين ومسيرة عظيمة.

الدروس المستفادة والأحكام الشرعية

كانت مقدمات بدر ووقائعها وما تمخضت عنه من نتائج ومواقف وأحداث زاخرة بالدروس العظيمة والعبر الكثيرة والأحكام الشرعية المستفادة، ونزلت في بدر سورة كاملة هي سورة الأنفال تلقي أخلد الدروس، وتحيط بمعظم الأحداث والوقائع، وكانت بدر أول معركة بين الإسلام وأهله، وبين الكفر وسدنته، وظلت بدروسها وعبرها أبرز معركة في تاريخ الإسلام يتجدد عطاؤها على تعاقب الأيام وتوالي الدهور، وأهم هذه العبر والدروس:

١-كان خروج النبي ﷺ وندبه المسلمين لذلك بمثابة إعلان للحرب على قريش التي حاربت الإسلام والمسلمين بكل وسائل الحرب المادية والمعنوية فقد عذبتهم وطردتهم وصادرت أموالهم وضيقت عليهم وعلى المستضعفين منهم وأخافتهم وعاملتهم بالقسوة والأذى بشتى صوره، وقد أخذ هذا الإعلان صورة الحرب الاقتصادية، وتعريض أمن قريش للخوف وتهديد تجارتها بالمصادرة جزاء ما أخذته من أموال المسلمين وديارهم وما عطلته من مصالحهم، ومعاملة بالمثل وقد شرع الله لعباده حق الانتصار من الظالمين فقال: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾(الشورى: ٤١). وفي هذا إهدار لدماء الكفار، وإحلال لأموالهم لأنها وسيلتهم وسلاحهم في محاربة الإسلام والصد عن سبيل الله، والحيلولة بين الناس وبين اتباع الحق بالقوة. وهذا ما تقره شرائع الحرب قديماً وحديثاً، بل إن ما يفعله المحاربون في هذا الأيام وما تبيحه القوانين الدولية وما يقع من تجاوزات لهذه القوانين يجعل قوانين الحرب في الإسلام أسمى ما عرفته البشرية في تاريخها كله، وأرحم ما يعامل به المحارب خصمه في شتى المجالات.

٢-أن رسول الله ﷺ بشر لا يعلم الغيب إلا بوحي من الله، وقد ندب المسلمين

لملاقاة عير قريش، ولم يكن يعلم أنها ستكون الحرب، لذلك لم يعزم على المسلمين بالخروج، وترك لهم الخيرة في ذلك، فسار معه من سار، وتخلف عنه من تخلف، ولو كان المسلمون يعلمون أن النبي ﷺ سيلقى حرباً ما تخلف عنه أحد، وقد رأوا أن الذين خرجوا معه كافون للظفر بالعير التي يقودها أبو سفيان في ثلاثين أو أربعين رجلاً، وكان الذين خرجوا مع النبي ﷺ أضعافاً كثيرة لهذا العدد.

٣-كان خروج ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً من الصحابة دليل حبهم لرسول الله ﷺ وحرصهم عليه، وقد عبر عن هذا سيد الأنصار سعد بن معاذ حين أشار على النبي ﷺ ببناء العريش وكان فيما قال: ... فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك.

وقد قدر الله تعالى وقوع الحرب بين الفريقين لحكم كثيرة سنلم ببعضها ونحن نستقريء هذه الدروس والعبر المستفادة من هذه الغزوة، ثم أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ أن المسلمين سيظفرون بإحدى الطائفتين: العير أو جيش قريش، فلما نجت القافلة بقيادة أبي سفيان تأكد لهم أن الحرب واقعة لا محالة، وبدأ النبي ﷺ بالتهيؤ للقاء العدو.

٤-وكان النبي قد جعل للأنصار راية دفعها إلى سعد بن معاذ، وللمهاجرين راية اعطاها لعلي بن أبي طالب، ودفع الراية العامة إلى مصعب بن عمير الذي كان أول من هاجر إلى المدينة بعد بيعة العقبة، ليعلم الأنصار الإسلام ويقرأ عليهم القرآن. وفي هذا تقدير لأهل الفضل والسبق للإسلام ومراعاة للمشاعر وإثارة للحماس وتنويه بمكانة العاملين، والسادة المحبوبين.

٥-وفي تعاقب الثلاثة أو الأربعة على بعير واحد دليل على قلة الظهر عند المسلمين، وجواز تعاقب الثلاثة أو أكثر على البعير، ودليل على تعاون المسلمين في الأمور المهمة، وفيما يوصل إلى البر والتقوى ورضوان الله عز وجل، ودليل على علو الهمة عند أولئك المؤمنين، فلا تقف في وجوههم الصعاب مهما عظمت، ولا يبخلون بأنفسهم.

٦-إقامة المساواة وتحقيق العدالة بين الجنود والقائد، فقد رفض ﷺ ما عرضه عليه علي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد بأن يركب ويمشيا فقال: ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما، وفي هذا ما فيه من حرص النبي ﷺ على الأجر، وإظهار التواضع والافتقار إلى الله، والرغبة فيما عنده، وإيثار الآخرة على العاجلة، وتعليم المسلمين ذلك بالقول والعمل، واكتمال الأسوة الحسنة في شخصه الكريم، مما لا مثيل له في أحد أبداً.. وإن خير ما يتصف به المؤمن الحرص على الأجر، وقد قال ﷺ: لن يشبع المؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة.

٧-التعمية على العدو بكل وسيلة ممكنة فقد قطع أجراس الإبل ليبقى تحرك الجيش سراً عسكرياً، وعدم إعطاء الخصم أي خبر يمكن إخفاؤه، وجواز استعمال المعاريض خروجاً من الكذب، كقوله ﷺ: نحن من ماء جواباً لمن سأله ممن أنتما؟.

٨-أهمية معرفة أحوال العدو والتجسس عليه وتتبع أخباره واستنتاج أحواله واستعداده، فقد سأل عن منزل قريش وعددها وزعمائها وأبطالها، وأرسل العيون لذلك وسأل من لم يكن على علم بما يدور ليكون اقرب على الصواب وابعد عن الشبهة، وقام بنفسه ومعه صاحبه أبو بكر ببعض هذه المهام ليكون ذلك درساً لكل قائد عسكري، كي لا يكون اعتماده كله على عيونه وجواسيسه.. ولأن نظر القائد أبعد من نظر من دونه، وحرصه أشد من حرص غيره، وليكون كل جندي عيناً على عدوه يعرف كل ما يستطيع معرفته عنه، ويواصل أخباره ويكشف تحركاته ومؤامراته.

٩-وفي هذا جواز إرسال الجواسيس وبث العيون «نحن من ماء» يفهم من هذه الواقعة جواز استعمال المعاريض للتخلص من الوقوع في الكذب. وخصوصاً في وقت الحرب.

١٠-تفاؤل الرسول بما يدعو إلى التفاؤل فقد قطع وادي ذفران ثم نزل، ولم ينزل بالصفراء، وحين سأل عن جبليها، وأهلها فقيل: بنو النار، وبنو حراق كرههما وتفاءل باسميهما وأسماء أهلها، وان النار والحرق ستكون على الكافرين، وأن النصر للمؤمنين.

١١-براعة النبي ﷺ وقدرته على مواجهة الظروف الطارئة، والمفاجآت الصعبة، فقد خرج وندب المسلمين لاعتراض القافلة، فلما جاء النفير وخرجت قريش بخيلها وخيلائها. بدأ فاستشار الناس، وأخبرهم أنه ربما لقي حرباً.. وتكلم ثلاثة من أكابر الصحابة فأحسنوا .. وكان يريد أن يسمع رأي الأنصار لأنهم بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون أنفسهم وأبناءهم ونساءهم ولم يكن في البيعة ما يلزمهم بالدفاع عنه خارج بلدهم.. وأدرك سعد بن معا سيد الأنصار أن النبي ﷺ يريد أن يسمع رأيهم فقال ما قال وسُرّ رسول الله ﷺ بما قال سعد، وبما أظهره الأنصار من التعطش للشهادة والاستعداد للقتال مهما كلفهم من تضحيات، وجاء الوحي يبشر المسلمين بالنصر.

١٢-فقال ﷺ: سيروا وابشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.. وكانت هذه المقدمات كلها في صالح المسلمين فازدادوا ثقة بنصر الله، وإيماناً بوعد الله، وعزماً على القتال في سبيل الله حتى إذا كانت ساعة اللقاء أبدوا من ضروب البسالة وفنون الشجاعة ما قرت به عين رسول الله ﷺ وعين الإسلام. فكان يوم الفرقان.. ويوم التقى الجمعان.. وكان النصر العظيم الخالد إلى يوم القيامة.

١٣-كان للشورى أثر كبير في التمهيد والاستعداد للمعركة فقد قبل رسول الله ﷺ مشورة الخباب بن المنذر فغير المكان، وجعل آبار بدر خلف ظهور المسلمين وغور الآبار، وبنى الحوض ليمنع المشركين من الماء وأمر ببناء العريش كما أشار سعد بن معاذ ولو أن أحداً استغنى عن الشورى لكان رسول الله ﷺ أول من

استغنى، وهو المؤيد بالوحي،الذي ينظر بنور النبوة،ولكن حكمة الله قد قضت أن يكون المكان ملائماً للمعركة لتظهر فضيلة الشورى ومكانتها في حياة المسلمين إلى يوم القيامة، وأنه ليس لأحد من أهل الحل والعقد أن يستقل برأيه عن آراء أهل المشورة، وقد جاء الأمر من الله العزيز الحكيم لرسوله بالشورى فقال: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (آل عمران: ١٥٩). ووصف سبحانه جماعة المسلمين ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى: ٣٨). فأرشد ذلك إلى أنها أساس الحكم وسبيل الفلاح.

١٤-النصر بيد الله ومن عنده ولكن يناله المتقون الذين أخلصوا دينهم لله، وتوكلوا حق التوكل على الله ﴿ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾(النساء: ٧٤). فلا يعولون في تحقيق النصر إلا على البر والتقوى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٩-١٠). ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(آل عمران: ١٢٣). فإذا عُصي الله ورسوله ولو من فئة قليلة من المقاتلين نزع الله النصر من بين أيديهم عقوبة لهم، وتصحيحاً لطرقهم وإصلاحاً لأخطائهم، وتخليصاً لقلوبهم من شوائب الدنيا، ووساوس النفوس، فلا تكون الهزيمة بذلك خسارة معركة فحسب، بل تكون وسيلة تطهير وتزكية للنفوس وتمحيص للقلوب، وشحذ للعزائم ورغبة فيما عند الله وإيثار للآجلة على العاجلة، والباقية على الفانية، هذا ما وقع في أُحد: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٢).

١٥-وكانت دروس الهزيمة كدروس النصر في غاياتها وأهدافها لتحقيق كمال العبودية لله وصدق التوكل على الله، وبذل الجهد في إعلاء كلمة الله، وبذلك تظهر للمسلمين كلمة الله الخالدة: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة:٢١٦).

وصدق رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمنين إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» رواه مسلم.

١٦-الالتجاء إلى الله والتذلل إليه وطلب المعونة منه أساس النصر يزيد إيمان المؤمن وثقته بربه، ويربط قلبه به، ويفيض عليه الإحساس بالقوة المستمدة من قوة الله التي لا تقهر وهذا ما فعله النبي ﷺ في تضرعه والتجائه لربه. وقد وعد الله عباده المؤمنين الصادقين اللائذين به المجاهدين في سبيله بالنصر والتأييد.

وهنا نحب أن نقول: إن ما حدث في بدر من المقدمات والحوادث والمعجزات والنتائج ليس محصوراً في أهل بدر رضي الله عنهم، ولا في حياة النبي ﷺ ووجوده بين ظهرانيهم، بل إن ذلك يمكن أن يقع ويتحقق في حياة المسلمين حيثما وجدت الجماعة المسلمة أو الجيش المسلم الذي يعتقد اعتقاد أهل بدر ويعمل بعملهم، وليس هذا أمراً مستحيلاً ولا بعيد المنال، بل هو أمر متاح وقابل للتكرار كلما وجد الإيمان العميق الصادق والتربية الإسلامية الصحيحة، والالتجاء إلى الله عز وجل والتذلل إليه، وطلب المعونة منه، والتصديق بوعده: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠). والثقة الكاملة بنصره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧). فإن هذه الآيات الكريمة وأمثالها ليست خاصة في أهل بدر، بل هي لعموم المسلمين إلى يوم القيامة وعلمها باق دائم، وما فيها من وعد أو وعيد ليس خاصاً برجال بدر، ولا بكفار قريش بل هي وعود من الله عز وجل لعباده بالنصر والتأييد، والتثبيت وللكافرين بالهزيمة والتمزيق.

١٧-الكافر مقطوع عن الله، محجوب عن رؤية الحق، متبع للهوى، متكبر بالباطل، يستحوذ عليه الحقد والغرور، بسعى في مضرة نفسه وهلاك قومه من حيث لا يشعر، وقد تكفل الله تعالى بإذلاله وخذلانه وإضلاله يعمى بصره عن رؤية الحق، ويصم أذنه عن سماعه فلا ينفعه تحذير، ولا تجدي معه النصيحة ولو

جاءت من أقرب الناس إليه.. فقد رفض أبو جهل الرجوع واصر على السير إلى بدر حتى تنحر الجزر وتعزف القيان، وتشرب الخمور وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا.. وقد خذله الله وأهانه وقتله شر قتلة مع من قتل من سادة قريش. وهذا موقف الكافرين في غالب أحوالهم، وقد قص القرآن الكريم خطأ تقديرهم، وسوء مصيرهم في كثير من الأمم، كما خاطب كفار قريش في بدر فقال تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١٩). وكان أبو جهل قد استفتح قبل المعركة فقال «اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة - أي اقتله وأخذله - ورغم ذلك ظلت قريش سادرة في غيها، ساعية في باطلها سنين طوالاً حتى جاء نصر الله والفتح.

١٨-المؤمن موصول بالله محب لله ولرسوله ﷺ، متعطش للشهادة في سبيل الله، واثق بما أعده الله للمؤمنين من النعيم، وبوعده إحدى الحسنين للمؤمنين: النصر أو الشهادة، لذلك لم ينتظر عمير بن الحمام حتى يأكل تمراته، وخاض المعركة، حتى قتل،وقال عوف بن الحارث يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ فقال: غمس يده في العدو حاسراً، فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل. وقال عبيدة بن الحارث للنبي ﷺ حين حمل ومخ ساقه يسيل: وددت والله أن أبا طالب كان حياً ليعلم أننا أحق منه بقوله:

ونسلمه حتى نصرع دونه ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم أنشأ يقول:

فإن يقطعوا رجلي فإني مسلم ... أُرجي به عيشاً من الله عاليا

وألبسني الرحمن من فضل مَنّة ... لباساً من الإسلام غطى المساويا

١٩-كان دعاء النبي ﷺ قبل المعركة، وتذلله ومناشدته ربه النصر للمؤمنين معلماً على طريق الجهاد في سبيل الله، بأن النصر لا يكون إلا بدوام الصلة بالله، والتضرع إليه والإلحاح في الدعاء، وعدم الاتكال على القوة المادية مهما عظمت، أو اليأس من النصر مهما تضاءلت، والثقة بأن الله آخذ على نفسه العهد بنصر المؤمنين، وأن النصر بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده، وان خرق الأسباب وحصول الكرامات ونزول الملائكة للتثبيت والتأييد أمور ممكنة الحدوث في ميادين الجهاد في سبيل الله.. ما دام المجاهدون صادقين مع الله، آخذين بالأسباب المتاحة، باذلين كل ما في وسعهم، عاملين لإعلاء كلمته، ونصر دينه وتحكيم شرعه.. وهذا سر انتصارات المسلمين الباهرة في حربهم مع الفرس والروم ومع المغول والصليبيين والوثنيين .. التي أذهلت العقول. وحيرت الزعماء والقادة وأرباب الحكم والفلاسفة في القديم والحديث.

٢٠-أهمية تشجيع المقاتلين وإثارة حماستهم من قبل القيادة، وما يبعثه ذلك من الاستبسال والتنافس على الشهادة في سبيل الله والفوز برضوانه وجناته، وقد تجلى ذلك في مواقف كثيرة من رسول الله ﷺ منها قوله ﷺ حين علم بمكان قريش وعددها وقادتها فقال: (هذه مكة قد ألقت إليكم بأفلاذ أكبادها..) وحين خرج من عريشه فقال: (والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة)، وحين سئل عما يضحك الرب من عبده فقال: (غمسه يده في العدو حاسراً) وحين رأي الملائكة قادمين لتثبيت المؤمنين فقال لأبي بكر: (أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع). وقد رأينا ما أحدثته هذه الكلمات في النفوس من الحماسة والتسابق إلى الشهادة.

٢١-جواز قتال الكافرين ولو كانوا أكثر عدداً وعدة، فقد كان جيش قريش أكثر من ثلاثة أضعاف المسلمين، وكانت عُدتهم أضعافاً كثيرة، وأغذيتهم وفيرة بينما كان المسلمون على خلاف ذلك ونصرهم الله نصراً عزيزاً، ولم يكن الفرار من

العدو جائزاً ولو كانوا عشرة أضعاف، ثم خفف الله ذلك فجعل الفرار غير جائز إذا كان العدو ضعف المسلمين: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الأنفال: ٦٦). فإذا زاد على الضعف جاز التراجع والانسحاب من وجه العدو على أن يكون بأوامر القيادة ولا يعد التراجع جريمة كبرى يبوء صاحبها بغضب الله إلا إذا كان العدو أكثر من الضعف، وليس هذا يعني أن المسلمين لا يقاتلون إذا كان العدو أكثر، فإن غالب حروب المسلمين كان أعداؤهم أكثر من الضعف فلم يفروا ولم يهزموا، وما كانت الهزائم إلا حيث يكون القتال لغير الله، أو حيث يكون الإعراض عن الله والوقوع في المعاصي والإقبال على الدنيا.

٢٢-جواز أن يكون القائد موجهاً للمعركة، ومحمساً على القتال، وأن يكون إلى جانبه من أهل الرأي والمشورة ممن يستعين به في التخطيط والتوجيه، فقد كان النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه يوجهان الحرب، وكان رسول الله ﷺ في دعائه وتضرعه والتجائه إلى الله وطلبه النصر من الله، وتوجيهاته وكلماته التي قالها للمقاتلين أجدى على المسلمين من جيش، وكان الصديق رضي الله عنه يسمع ضراعة رسول الله ﷺ. وشدة دعائه فيشفق عليه من ذلك، ويرفع رداءه ويقول: بعض مناشدتك ربك يا رسول الله، فإن الله منجز لك ما وعدك.. وكان سعد بن معاذ بباب العريش يحرس رسول الله ﷺ في نفر من الأنصار يخافون عليه كرة العدو بعد أن دارت عليهم الدائرة ولاذوا بالفرار وذلك عنوان المحبة الصادقة للنبي ﷺ والحرص على حياته لما تمثله هذه الحياة الكريمة في حمل الرسالة وتبليغ الدين وكان سعد بن معاذ هو الذي أشار على النبي ﷺ بناء العريش خوفاً على حياته الشريفة.

٢٣-جواز المبارزة بإذن الإمام فقد أذن رسول الله ﷺ وأمر حمزة وعلياً وعبيدة بالخروج للمبارزة حيث طلب عتبة بن ربيعة ذلك، وأبي أن يخرج إليهم من

خرج للمبارزة من الأنصار، وأمر النبي ﷺ عليا يوم الخندق.

وتكون المبارزة مستحبة إذا علم المبارز من نفسه الشجاعة والقوة والقدرة على الخصم وتكون مباحة إذا طلبها المسلم القوي الواثق من قوته ومهارته وقدرته على خصمه، وتكون مكروهة حيث يطلبها مبارز ضعيف غير واثق من نفسه ويجوز للمبارزين من المسلمين أن يعين بعضهم بعضاً على خصمه، وينقذه من الخطر إذا تعرض له كما فعل حمزة وعلي حين قتلا عتبة واحتملا عبيدة بن الحارث إلى صفوف المسلمين.

٢٤-تعليم النبي ﷺ أصحابه فنون الحرب حين أمرهم أن لا يبدءوا المشركين بالقتال حتى يأمرهم وقال: إن أكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم، وفي هذا نهي عن إطلاق السهام في الهواء إذا كان العدو بعيداً، والمحافظة على السهام لأوقات الحاجة لئلا تنفد أو تضيع دون فائدة، وقد أمر ﷺ أصحابه بتعلم الرماية وجعلها نوعاً من القوة التي أمر الله تعالى بإعدادها، فقد روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠). ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، الا إن القوة الرمي. ومما لا يخفى أن الرمي شامل لكل سلاح يستعمل في الحرب، وأن من واجب المسلمين الحصول عليه وتعلم الرمي به مهما تغيرت الأسلحة وتطورت وتنوعت.. ولا يخفى كذلك أن تكرار النبي ﷺ لعبارة (ألا إن القوة الرمي) ثلاث مرات مع قرنها بأداة الاستفتاح والتنبيه (الا) وتوكيدها بالأداة (إن) وهي حرف توكيد أصلي يعطي الحديث أهمية خاصة ومعنى واضحاً مقصوداً وهو أن قوة المسلمين في الحرب منحصرة في تعلم الرماية وإتقانها، وأن ذلك أساس القوة وجماعها وذروتها وأن ما سواها من وسائل الحرب ومقوماتها تبع لها ومكمل، ويشبه هذا قوله ﷺ: الحج عرفة، وقوله: البر حسن الخلق.

وهذا نوع من القصر قصر فيه المسند إليه وهو الحج على المسند وهو عرفة، وكذلك

الحال في قوله: البر حسن الخلق، وليس في هذين القصرين أي توكيد، أما قوله: ألا إن القوة الرمي فقصر فيه ثلاث مؤكدات: أداة التنبيه والاستفتاح الا، وحرف التوكيد إن، ثم التكرار ثلاثاً، وهذا ملحوظ هام ينبغي التأمل فيه، وإدراك مراميه..

٢٥-أمد الله تعالى نبيه ﷺ بمعجزات كثيرة، وأكرم الصحابة بكرامات عظيمة، فقد أوصل الله تعالى بقدرته حفنة التراب التي ألقاها النبي ﷺ في وجوه المشركين إلى كل واحد منهم وهم أكثر من تسعمائة، ومكن الله المسلمين رغم قلة عددهم وعدتهم من قتل أكثر أكابر مجرمي قريش فقال تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (الأنفال: ١٧). حتى علا عبد الله بن مسعود صدر أبي جهل وأجهز عليه بسيف ضعيف. وثبت الله المسلمين بالملائكة على خيولهم يثيرون النقع، وكسر سيف عكاشة فأعطاه النبي ﷺ غصناً من حطب فانقلب في يده سيفاً فقاتل به في بدر وفي غيرها من المشاهد التي حارب فيها.

٢٦-مشروعية دفن الشهداء دون غسل ولا صلاة في أماكنهم وعدم الإذن بنقلهم إلى المقابر، وقد أمر النبي ﷺ برد من حُمل من الشهداء إلى المدينة يوم أحد ليدفن في ميدان المعركة، وفي هذا تكريم من الله عز وجل للشهداء وتطهير لهم من الذنوب، ونيل رضوانه عنهم فهم لا يحتاجون إلى تغسيل ولا إلى صلاة لما ماتوا عليه من الجهاد في سبيل الله وأن الله يغفر للشهداء كل شيء إلا الدين كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون كما ثبت بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة.

٢٧-مشروعية إلقاء الكافرين في حفرة واحدة أو بئر واحدة وفي هذا إهانة لهم وزيادة إذلال لما ماتوا عليه من الكفر والظلم الكبير بإنكار الخالق والكفر بأنعمه وتكذيب رسله ومحاربة أوليائه وإراقة دمائهم بالباطل رغم ظهور الحق ووضوح الحجة.

٢٨-حقيقة عذاب القبر وتيقن الكافرين منه عند نزوله وأنهم يسألون في القبر ويرون ما سيصيرون إليه في الآخرة من العذاب الأليم، وأنهم يسمعون ما يقال عند الدفن ولكنهم لا يقدرون على الإجابة، وقد سأل النبي ﷺ أصحاب القليب وسماهم بأسمائهم هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فسأله أناس وقالوا: أتخاطب قوماً جيفوا؟ فقال ﷺ لمن سألوه: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني، وقد وبخهم الرسول ﷺ فقال: بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس.

٢٩-الاهتمام بالأسرى وحسن معاملتهم فقد أوصى النبي ﷺ بهم خيراً فقال: استوصوا بالأسرى خيراً، ووزعهم بين أصحابه، ثم قبل المسلمون مفاداة الأسرى، ومن لم يستطع الفداء عهد إليه أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ليطلق سراحه، وفي هذا بيان لأهيمة التعلم، ودعوة للقضاء على الأمية التي كانت متفشية في الأمة، ودعوة إلى الاستفادة من الطاقات البشرية لتحقيق الرقي والتقدم للمجتمع، ورفع لمستوى الأسير المعنوي والمادي الذي عاش أسره معززاً مكرماً معلماً وعومل أحسن معاملة، قال أبو عزيز أخو مصعب بن عمير: «فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ، قال: حتى كنت أستحي من حسن صنيعهم» وفي هذه المعاملة الحسنة دعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة لهؤلاء الأسرى ليروا أخلاق المسلمين ويسمعوا مبادئ الإسلام وآيات القرآن الكريم فيكون ذلك تأليفاً لقلوبهم، وسبباً في إعلان إسلامهم، وهذا ما لم تر الدنيا له مثيلاً في تاريخ الأرض كله، وقد وصف القرآن الكريم صالحي هذه الأمة بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٨-٩) . فأين هذا في معاملة الأسرى اليوم في عصر الأمم المتحدة وحقوق الإنسان من كلام معسول لم ير طريقه إلى التطبيق

في يوم من الأيام خلال ما يقرب من خمسين سنة من عصر الأمم المتحدة.

٣٠-كان الأولى بهؤلاء الأسرى أن يقتلوا، ولكن النبي ﷺ استشار أبا بكر فيهم فلين الله قلبه فأشار باستبقائهم لما بينهم من القرابة والأهل، وأشار عمر بقتلهم لأنهم كذبوا النبي ﷺ وأخرجوه، وأشار عبد الله بن رواحة بإحراقهم وقال سعد: والله يا رسول الله كانت هذه أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال وآثر النبي الرءوف الرحيم ﷺ استبقاءهم وقبول فدائهم فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾(الأنفال: ٦٧-٦٨).

وقد كان عتاب الله تعالى لنبيه وللمسلمين شديداً حتى إن رسول الله ﷺ وأبا بكر قد بكيا بكاء شديداً من خشية الله. وسأل عمر عن بكائهما وقال: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد تباكيت لبكائكما. فقال رسول الله ﷺ أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة.

والوجه- والله أعلم - في ترجيح قتلهم أن معركة بدر كانت أول وقعة حاسمة بين الشرك والإيمان،والمشركون كثير، فكان قتلهم أدعى لكسر شوكتهم وإذلالهم، وليعلموا أن الدنيا هينة في أعين المسلمين، وأنه ليس في قلوبهم رحمة لكافر ولو كان من أهلهم وأرحامهم، ويكون ذلك أبلغ في قذف الرعب في قلوب أعدائهم، وإخافتهم من إعادة محاولتهم في فرصة أخرى.. ولو فعل المسلمون ذلك ما تجرأت قريش على السير إلى المدينة والنزول على مشارفها يوم أحد لأخذ ثأرها، واستئصال المسلمين عن بكرة أبيهم. كما كان المشركون يحلمون ويأملون، ولكن الله تعالى شاء بحكمته أن تكون بدر على ما كانت عليه، وأن تكون دروسها وعبرها على ما أسفرت عنه، وأن تكون أحد على ما كانت عليه، وأن تكون دروسها وعبرها على ما تمخضت عنه، وأن يأخذ المسلمين

بالسراء والضراء، ويبلوهم بالنصر والإبتلاء، ليقضى الله أمراً كان مفعولا، فيهلك من هلك عن بينة، وأن تنزل في بدر سورة الأنفال بآياتها الخمس والسبعين، أن تنزل في أحد اثنتان وستون آية في سورة آل عمران - وفي كل آية من آيات الأنفال وآل عمران للمسلمين دروس وعبر لا ينفد عطاؤها أبد الدهر.

٣١-لم يخل رسول الله ﷺ بعض الأسرى من القتل من أكابر المجرمين، ممن كان من أشد المشركين كفراً وعناداً وبغياً وفساداً، فقد قتل النضر بن الحارث بالصفراء والمسلمون عائدون ثم قتل عقبة بن أبي معيط حين كان بعرق الظبية. وجمع بذلك رسول الله ﷺ بين الرأفة والرحمة بمن قبل منهم الفداء، وبين الشدة والحزم على من قتلهم.

٣٢-مشروعية التهنئة بالنصر واستقبال العائدين من الحرب إظهاراً للفرح والسرور بالنعم، وتقديراً للمقاتلين واعترافاً بحسن بلائهم، وما أكرمهم الله به من الصبر والثبات والشجاعة، وفي هذا تشجيع للمقاتلين يحمل على التنافس والتسابق إلى ميادين الجهاد إعلاء لكلمة الله.

٣٣-وقوع الاجتهاد من الرسول ﷺ في الأمور المهمة، والوحي يصوب الاجتهاد، فقد اجتهد ﷺ في مسألة الأسرى فأقر اجتهاده مع بيان أن قتلهم كان أولى وأحسن، وحين نزل في مكان ورأى الخباب بن المنذر غيره نزل الوحي بتصويب رأيه وقال عليه السلام: لقد أشرت بالرآي.

٣٤-جواز قتل الأسير خاصة إذا كان من أهل البغي والمخادعة وقد تقدمت أمثلة ذلك. عقبة بن أبي معيط. النضر بن الحارث أبو عزة الجمحي الشاعر.

الغنائم: وقد أحلها الله للمسلمين وجعل أمرها لرسول الله ﷺ، ثم جاءت آية الخمس يخرج منها الخمس لمن ذكروا في الآية ثم يوزع الباقي على شهود المعركة بالتساوي عدا الفرسان، فللفرس سهم، ومن غاب عن المعركة لمصلحة الجماعة أسهم له.

من قتل قتيلاً فله سلبه، ومن أسر أسيراً فهو له.

-أهل بدر مغفور لهم في الآخرة، ولكنهم يعاقبون بالحدود في الدنيا - ولا يعذبون في الآخرة «وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر.. الخ».

-الشهداء يدفنون حيث ماتوا.

-عدم جواز وضع الأجراس في أعناق الإبل، فقد أمر رسول الله ﷺ بقطعها من أعناق الإبل في بدر، كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها.

-إلقاء جثث القتلى في القليب يدل على أن الحربي لا يجب دفنه.

-يجوز الاجتهاد للنبي ﷺ فيما لم ينزل فيه وحي. قال للخباب «بل هو الرآي».

-مراعاة أصحاب المنة والمعروف جائزة ويدل على ذلك حديثه عن المطعم ابن عدي.
من قوله ﷺ للعباس حين قال إن مسلم: «الله أعلم بما تقول إن كان حقاً.. إلخ»
إننا نعامل الناس بظاهر حالهم، ونترك باطنهم لله يحاسبهم عليه.

-العتاب في الفداء في بدر خاصة تعظيماً لشأنها.فقد أخذ فداء عثمان بن المغيرة، والحكم بن كيسان لم يعاتبه ربه فيهما.

والحقيقة أن غزوة بدر كانت درساً بليغاً وظلت نبراساً مضيئاً للمسلمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

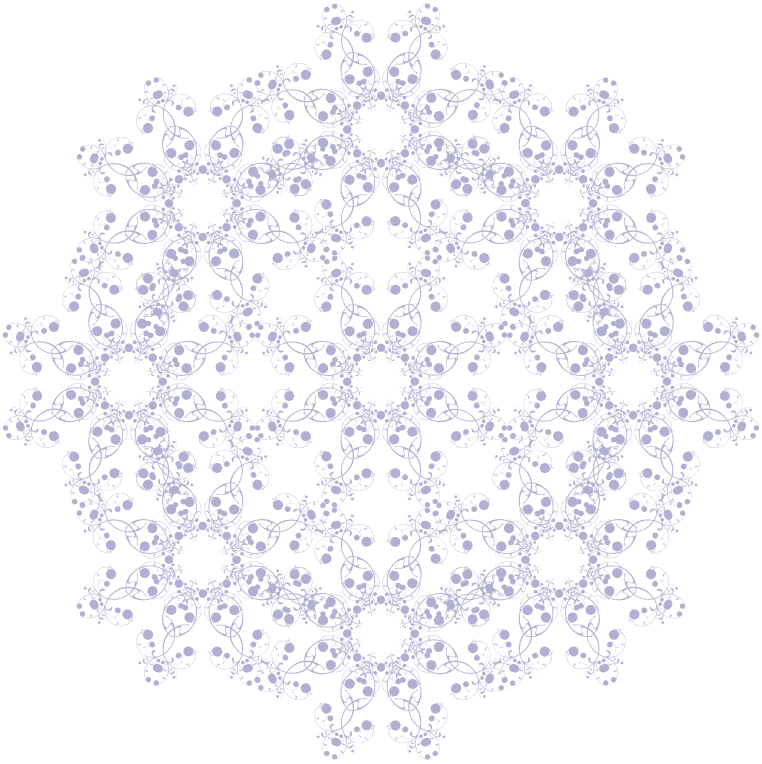

بعض ما قيل من الشعر في بدر

الشعر وأثره:

كان العرب في جاهليتهم أهل فصاحة وفرسان بلاغة، وكان للشعر في حياتهم أثر كبير، فهو ديوان أخبارهم، وترجمان أيامهم، ووعاء مفاخرهم وأفراحهم والمعبر عن أفراحهم وأحزانهم، يسجلون فيه صدى إنتصاراتهم، وشجاعة فرسانهم وأبطالهم، وضروب البطولة الخارقة التي أبدوها أمام أعدائهم، وما أظهروه من بسالة وثبات وصبر على البأساء.

وكان العرب يحنون إلى الشعر ويطربهم سماعه طرباً يملك عليهم عواطفهم وأحاسيسهم ويحرك وجدانهم وخطاهم، فكم من شاعر استنفر قبيلة، وساق إلى ميادين الحرب رجالا يجدون فيه مثلهم وقيمهم وعاداتهم وتقاليدهم. وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « لن تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين، أي حنين الناقة إلى فصيلها كلما تذكرته وهي ترعى ، سواء كان حياً أو ميتاً، ولذلك نرى العربي محباً للشعر لما فيه من الحكمة الصائبة والتجربة الشعورية الصادقة، والمعاني السامية يصوغها الشاعر من خلال إحساس مرهف وملكة أصيلة، وأذن طروب، وانفعال صادق يبلغ حده الأقصى عند الشاعر كلما أنضجت التجربة الشعرية والانفعال الصادق في أعماقه نغماً موزوناً ينقل من خلاله أحاسيسه، ويعبر عن خواطره.

ومما يجعل الشعر العربي القديم أعمق تأثيراً وأروع أسلوباً صدقه في التعبير عن إحساس الشاعر فهو لا يقول الشعر جراً لمغنم ولا دفعاً لمغرم كما هو حال كثير من الشعراء في العصور المتأخرة، بل يقصد إلى التعبير عن إحساس عميق أنضجته التجربة، وعبرت عنه الموهبة، وحكاه المخاض النفسي للشاعر، وهو مخاض ليس في طوقه من أمره شيء، يتفجر كما يتفجر الماء السلسبيل من الحجارة، وينبجس كما تنبجس العيون

من السفوح والأودية.

وقد فاجأت دعوة النبي ﷺ قريشاً بما لم يعهدوه من أمور اعتقادهم وأسمعتهم من رائع البيان ما عجز عنه فصحاؤهم وأرباب البلاغة فيهم، وأدركوا أن هذا القرآن نسيج وحده، لا هو بالشعر الذي حبّروه، ولا هو بالكلام الذي أجزلوه، ووقف الشعراء منهم موقف المكذبين به فقالوا: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾(المدثر:٢٤-٢٥).

وأحسوا بالخطر يهدد وجودهم كما أحس ذلك زعماؤهم ورؤساء القبائل والعشائر فيهم، فانطلقوا يناوئون الدعوة وصاحبها عليه الصلاة والسلام.

وقد سارت قريش إلى بدر بغرورها وسفهها، وقضها وقضيضها وزعمائها وأبطالها، وكان معها الكثير من شعرائها وفصحائها الحارث بن هشام ، وضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزبعري، ومعاوية بن زهير، وكانت الهزيمة ساحقة، والمفاجأة مذهلة، والضحايا كثيرة، وأخذت سيوف الله من قريش وزعمائها مأخذها، وانطلق شعراؤها يذرفون الدموع ويبكون الزعماء والأحبة من أصحاب القليب، ويتوعدون بالثأر، وأقضت الهزيمة مضاجع قريش في مكة، وهالها كثرة ما قيل في رثاء أصحاب القليب ممن شهدوا المعركة، ومن لم يشهدها من الشعراء، فتعاقدوا على السكوت عن ذلك لئلا يبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمتوا بهم، وأن لا يبعثوا في فداء أسراهم حتى لا يثقل عليهم المسلمون في الفداء، ويحرجوا عليهم في التضييق والإيلام، وكان في صفوف المسلمين الذين شهدوا بدراً عدد من الشعراء كعبيدة بن الحارث بن المطلب، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، ولكن كبار الشعراء من أمثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك لم يشهدوا بدراً ، ولكنهم أكثروا القول فيها بما سمعوه من أخبارها وتنزل الملائكة بالنصر على المسلمين فيها فدافعوا عن الإسلام ونبيه ﷺ وتصدّوا للرد على شعراء قريش فيما قالوه، بباطلهم كلما أنضج الحزن والألم قصيدة في صدر شاعر من شعرائهم، وكلما أثارت أفراح النصر عواطف المسلمين وهم يقرأون ما أنزل من القرآن فيه أو يسمعون ما روي من أعاجيب البطولة وقصص البلاء الذي أبلاه المسلمون بين يدي الله ورسوله:

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (الأنفال:١٢).

وهكذا نما شعر بدر وازداد مع الأيام في كل مكة المكرمة حيث قريش وأحلافها يندبون قتلاهم، ويتجرعون مرارة هزيمتهم، وفي المدينة المنورة كلما تذكر المسلمون نصر الله لهم في ذلك اليوم العظيم.. يوم الفرقان.. يوم التقى الجمعان.

وقد حرصت على أن أضع بين يدي السادة القراء أهم القصائد التي قيلت في الجانبين لأنها تلقي المزيد من الضوء على جوانب هذه المعركة الفاصلة وآثارها في المسلمين والمشركين، فالقصائد التي قالها شعراء المسلمين تدور حول المعاني الإسلامية التي جاء بها الإسلام وصبغ بها القلوب والعقول من عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر وما تنطوي عليه من القيم الإنسانية الرفيعة، وتمثل القصائد التي قيلت في الجانب الآخر العقلية الجاهلية والعصبية القبلية والتمسك بالعادات والتقاليد السائدة والعقائد الفاسدة.

ولن أعلق على النص إلا بالقدر الذي يلقي الضوء على أهم ما فيه من المعاني والبواعث تجنبا للإطالة.

نماذج مما قيل من الشعر في بدر:

كان علي بن أبي طالب أحد أبطال بدر الأفذاذ، وأحد المبارزين الثلاثة الذين خرجوا لمبارزة عتبة بن ربيعة وأخيه شيبة بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة، وقد قتل علي خصمه الوليد بن عتبة، وأبلى في المعركة بلاء عظيماً وقتل من المشركين وحده أكثر من عشرة فيما ذكره ابن هشام، وكانت فرحته بنصر الله عظيمة، قال رضي الله عنه يتحدث عن نصر الله عزّ وجل لرسوله والمؤمنين وهزيمة قريش وما أصابها من القتل والأسر وما حملته رسالة الإسلام من الهدى والنور:

ألم تـــر أن الله أبلـــى رسولـــه بـلاء عزيـز ذي اقتـدار وذي فضـل

بـما أنـزل الكفـار دار مذلـة ... فلاقـوا هوانـاً مـن إسـار ومـن قتـل
فأمسـى رسـول الله قـد عـز نـصره ... وكان رسـول الله أرسـل بالعـدل
فجـاء بفرقـان مـن الله منـزل ... مبينـة آياتـه لـذوي العقـل
فآمـن أقـوام بـذاك وأيقنـوا ... فأمسـوا بحمـد الله مجتمعي الشـمل
وأنكـر أقـوام فـزاغت قلوبهـم ... فزادهم ذو العرش خبلاً على خبل
وأمكـن منهـم يـوم بـدر رسـوله ... وقوماً غضاباً فعلهم أحسن الفعل
بأيديهـم بيـض خفـاف عصـوا بهـا ... وقـد حادثوهـا بالجـلاء وبالصقـل
فكـم تركـوا مـن ناشـيءٍ ذي حميـة ... صريعاً ومن ذي نجدة منهم كهل
تبيـت عيـون النائحـات عليهـم ... تجـود بإسـبال الرشـاش وبالوبـل
دعـا الغـي منهـم مـن دعـا فأجابـه ... وللغـي أسـباب مرمقـة الوصـل
فأضحـوا لـدى دار الجحيـم بمعـزل ... عن الشعب والعدوان في أشغل الشغل

وقال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه يصور المعركة الفاصلة ويتحدث عن جيش قريش الضخم، وعن أصحاب القليب الذين كانوا حصائد تلك المعركة العظيمة وما أبلاه المسلمون من المهاجرين والأنصار بين يدي النبي ﷺ، وما أظهروه من ضروب البطولة والاستبسال والشوق للشهادة في سبيل الله.

ويصف كيف وقف رسول الله ﷺ على القليب يخاطب القتلى بأسمائهم وهم تحت أطباق الثرى والمسلمون يعجبون من خطابهم فيقول: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»:

وخـبِّر بالـذي لاعيـب فيـه ... بصـدق غـير إخبـار الكـذوب
بـما صنـع المليـك غـداة بـدر ... لنـا في المشركـين مـن النصيـب
غـداة كـأن جمعَـهم حِـراءٌ ... بـدت أركانـه جنـح الغيـوب

فوافينـــاهم منـا بجمـــع ... كأسـد الغـاب: مـردان وشـيب
بنـو الأوس الغطـارف آزرتهـا ... بنـو النجـار في الديـن الصليـب
بأيديـهم صـوارم مرهـفات ... وكل مجـرب خاظـي الكعـوب
أمـــام محمـــد قـــد آزروه ... عـلى الأعـداء في لفـح الحـروب
فغادرنـا أبـا جهـل صريعـاً ... وعتبـة قـد تركنـا في الجبـوب
وشـيبة قـد تركنـا في رجـال ... ذوي حسـب إذا نسـبوا نسـيب
يناديـهم رســـول الله لـمـا ... قذفناهـم كباكـب في القليـب
ألم تجـدوا حديثـي كان حقـا؟ ... وأمـرالله يـأخـــذ بالقلـوب
فـما نطقـوا ولـو نطقـوا لقالـوا: ... صدقت، وكنت ذا رأي مصيب

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه يعبر عن فرحته وتعجبه من تقدير الله تعالى للقاء بدر، وما انجلى عنه من النصر المبين للفئة القليلة الضعيفة على ما حشدته قريش من رجال، وما أعدته من سلاح وأموال، وإن ذلك آية كبرى على صدق رسول الله ﷺ، وصدق المؤمنين الذين صبروا عند اللقاء:

قَـضَى يـوم بَـدْرٍ أن نلاَقِـيَ معـرا ... بغواء وسبيل البغْي بالناس جائرُ
وقد حَشَدُوا واسْتنفروا من يَليهُمُ ... مـن النـاس حتَّـى جمعهـم مُتكاثـرُ
وسـارت إلينـا لا تُحـاول غَيرَنَـا ... بأجمعهـا كَعْـبٌ جميعـاً وعامـرُ
وفينَـا رسـولُ الله والأوس حوْلَـه ... لَـهْ مَعْقَـلٌ فيهـم عَزيـز ونَـاصِرُ
وجمـعُ بنـي النّجَـار تحـت لَوَائِـهِ ... يُمشُـونَ في المـاذِيّ والنَّفُـع ثائـر
فلـمَّا لقيناهُـم وَكُـلُّ مجاهـدٍ ... لأصحابـه مُسْـتَقْبَلُ النَفْـس صابـرُ
شـهِدنا بـأنَّ الله لاربَّ غـيره ... وأنَّ رسـولَ الله بالحـقِّ ظاهـرُ

وقد عَريت بيضٌ خِفافٌ كأَنها ... مَقَابِيسُ يُزْهيها لعينك شَاهِرُ
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا ... وكلٌ يلاقي الحَينْ، من هو فاجرُ
فأمسوا وقود النار في مُسْتَقَرِّها ... وكُلُّ كفور في جَهَنَّم صائرُ
تلْظَّى عليهم وهي قد شبَّ حَميُها ... بزُبْر الحديد والحجارة سَاجِرُ
وكان رسول الله قد قال: أَقْبِلُوا ... قَوْلُوا وقالوا: إنَّما أنْتَ ساحرُ
لأمر أرادَ الله أَنْ يهلكوا به ... وليس لأمر حمّه الله زَاجرُ

وكان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أحد المبارزين الثلاثة يوم بدر، وقد عبر عما عبر ابن مالك في قصيدته الآنفة من دهشة وتعجب من تقدير الله لذلك اللقاء على غير ميعاد، وما نزل بقريش من ذل وهزيمة وهوان، وما أبداه المسلمون من البسالة والصبر والصدق في اللقاء وضروب الشجاعة النادرة والثقة المطلقة بإحدى الحسنيين، النصر أو الشهادة، وقد ضمت القصيدة ما حكاه القرآن الكريم في سورة الأنفال حين قال الشيطان لقريش ما قال وزين لهم ضلالهم وعنادهم ثم تخلى عنهم حين رأى نزول الملائكة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(الأنفال:٤٨).

قال حمزة رضي الله عنه :

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر؟ ... وللحين أسبابٌ مُبَيَّتَةُ الأمر
وماذاك إلا أنَّ قوماً أفادُهم ... فحانوا.. تواص بالعقوق وبالكفر
عشية راحوا نحو بدر بجمعهم ... فكانوا رُهُوناً للركيَّة من بدر
وكنا طلبنا العيرّ لم نبغ غيرها ... فساروا إلينا فالتقينا على قَدْرِ
فلما التقينا لم تكن مثنويَّةٌ ... لنا غيرٌ طَعْن بِالمثقَّفَةِ السُمْرِ

وضرب ببيض يختلي الهام حدُّها ... مُشهَّرة الألوان بّينةِ الأثر
أولئك قوم قُتِّلُوا في ضلالهم ... وَخُلُّوا لواد غير مُحتَضَر النصر
لواء ضَلال قادَ إبليسُ أهلَه ... فَخَاسَ بهم إنَّ الخبيث إلى غرِ
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً ... برئت إليكم مالي اليوم من صبر
فإني أرى ما لا ترون وإنَّني ... أخافُ عقاب الله والله ذو قَسر
فقدَّمَهم للحين حتى تورّطوا ... وكان بما لم يَخْبُرِ القوم ذا خبر
فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعُنا ... ثلاث مئينٍ كا (لمسدَّمة) الزُهرِ
وفينا جُنُودُ الله حين يُمدّنا ... بهم في مقام ثمّ مستوضح الذِّكر
فَشَدّ بهم جبريل تحتَ لوائنا ... لدى مأزق فيه منایاهُمُ تجري

وأورد حسان بن ثابت معنى الآية الكريمة بثلاثة أبيات مستقلة فقال:

سرنا وساروا إلى بدر لحينهم ... لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم ... إنَّ الخبيث لمن والاه غرَّارُ
وقال: إنّي لكم جارٌ فأوردهم ... شر الموارد، فيه الخِزْيُ والعارُ

ويروى أن عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ - وكانت في مكة مع قريش - وهي التي رأت الرؤيا التي أفزعت قريشاً قبل أن تسير قريش إلى بدر يُروى أنها قالت توبخ قريشاً على ضعفها وجبنها أمام المسلمين، وتسخر من تكذيبهم لابن أخيها النبي الصادق الأمين، وتنذر بِأَنَ قبائل العرب ستنصره لا محالة.

فهلاً صبرتُمْ للنبي مُحمّد ... ببدر ومن يَغْشَ الوغى حق صابر
ولم تَرْجعُوا عن مُرهفات كأنَّها ... حَرَيقٌ بأَيْدي المؤمنينَ بواتر
ولم تَصْبَرُ (وا) للبيض حتى أخذْتُمُ ... قليلاً بأيدي المؤمنين المشاعِرِ

ووليتُـمُ نّفـراً ومـا البطـل الـذي ... يُقاتـلُ عـن وقـع السّـلاح بنافـر
أتَاكُـمْ بـما جـاء النَّبيُّـون قبلـه ... وما ابن أخي البرُّ الصدوق بشاعر
سـيكفي الـذي ضَيَّعْتُـم مـن نبيّكُـم ... وينـصره الحيّـان: عَمْـروٌ وعامـرُ

ولم يكتف اكثر شعراء النبي ﷺ بقصيدة واحدة يقولونها في بدر، فقد كان النصر أكبر من أن تتسع له قصيدة لكل شاعر، فحسان بن ثابت قال في بدر قصائد عدة، وكذلك كعب بن مالك وكان هذان الشاعران فرسي رهان في الدفاع عن الإسلام، ووصف المعارك المظفرة التي خاضها المسلمون فلنسمع ما قاله كعب عن تصديق قريش لوعد إبليس الذي ظهر لقريش على صورة شيخ من بني شجع فاتبعوه:

لقـد لعـن الرحمـن جمعـاً يقودهـم ... دعـيُّ بنـي شـجع لحـرب محمـد
مَشُـومُ لعـينٌ كان قدمـا مُبَغَّضـاً ... يُبِـينُّ فيـه اللـؤْمٌ مـن كان يهتـدي
فدلاهـم في الغـي حتـى تهافتـوا ... وكان مُضـلاً أمـره غـير مُرشـد
فأنـــزل ربيّ للنبـــي جُنـــوده ... وأيـده بالنـصرفي كلّ مشـهد
وإن ثـــواب الله كـــل مُوحِّـدٍ ... جنـان مـن الفـردوس فيهـا يُخلَّـد

وقال كعب بن مالك يسخر من غرور قريش وغطرستها وخيلائها، ويذكرها بهزيمتها النكراء ويتهددها بالغزو في عقر دارها ، وينذر زعيمها أبا سفيان بانتصارات أخرى ، وبالملائكة تتنزل على المسلمين بالنصر والتثبيت ، وعلى رأسهم أمين الوحي جبريل، وأمين الرحمة والقطر ميكائيل:

لَعَمْـرُ أبِيكُـما يـا ابنـي لـؤي ... عـلى زهـوٍ لديكـم وانتخـاء
لمـا حامـت فوارسـكم ببـدرٍ ... ولا صـبروا بـه عنـد اللقـاء
وردنـــاهُ بنـور الله يجلـــو ... دُجـى الظّلمـاء عنـا والغطـاء
رسـول الله يقدُمنـا بأمـر ... مـن أمـر الله أُحكـم بالقضـاء

فـما ظفـرت فوارسـكم ببـدرٍ وما رجعـوا إلينـا بالسـواء
فـلا تعجـل أبـا سُـفيان وارقـب جيـاد الخيـل تطلُـعُ مـن كـداء
بنـصر الله روحُ القُـدس فيهـا وميـكال فيـا طيـب المـلاء

وقال حسان بن ثابت يصف جيش المسلمين في بدر وقد تسربل بالدروع بقيادة رسول الله ﷺ ومنعه قريشاً من ماء بدر وكانت تظن أنها ستمنع المسلمين ذلك الماء، ويصف التفاف المسلمين حول النبي القائد الفذ، واستعدادهم للسير معه حيث سار لاقتحام المخاطر وخوض المعارك المظفرة، فهو النور المبين والسراج المنير، وصاحب الكلمة المطاعة، فلتحذر قريش أن يصيبها من المسلمين عذاب أليم:

مستشـعري حلـق المـاذيِّ يقدمهـم جلـدُ النَّحيـزة مـاضٍ غـيرُ رعديـد
أعنـي الرسـول فـإنَّ الله فضَّلـه عـلى البريـة بالتقـوى وبالجـود
وقـد زعمتـم بـأن تحمـوا ذماركـم وماءُ بـدر - زعمتـم - غـيرُ مورُود
وقـد وردنـا ولم نسـمع لقولكـم حتـى شربنـا رواءً غـير تصريـد
مسـتعصمين بحبـل غـير منجـذمٍ مسـتحكم مـن حبـال الله ممـدود
فينـا الرسـولُ وفينـا الحـقُّ نتبعُـه حتـى المـمات ونـصرٌ غـيرُ محـدود
مـاض عـلى الهـول ركَّابٌ لما قطعـوا إذا الكـماةُ تحامـوا في الصناديـد
واف ومـاض شـهابٌ يُسـتضاءٌ بـه بـدرٌ أنـار عـلى كل الأماجيـد
مبـاركٌ كضيـاء البـدر صُورتُـه مـا قـال كان قضـاءً غـير مـردُود

ظلت بدر نصراً عظيماً وحدثاً حياً يعيش في ضمائر الصحابة، ودرساً بليغاً يبعث في وجدان شعرائهم الثقة بنصر الله، كما ظلت شجى في حلوق قريش وأحلافهم يتجرعون أشواكها وآلامها، فلما جاءت قريش إلى أحد وقد استظهرت بالأحابيش عاب عليها حسان بن ثابت ذلك وذكرها بما لقيه زعماؤها وفرسانها الذين جمعهم قليب بدر فصاروا

إلى عذاب الحريق، وقد كان لهم في ذلك عبرة فلم يعتبروا ، ثم ذكر قريشاً بفضل المسلمين عليهم في أسراهم وكان حرياً بهم أن يستحيوا من خزي بدر فلا يسيروا إلى المسلمين في حرب أبداً، فلنسمع حسانَ وهو يقول:

سُقتم كنانة جهلاً من عداوتكم ... إلى الرسول فجند الله مُخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحيةً ... فالنَّارُ موعدها والموتُ لاقيها
أنتم أحابيشٌ جُمعتُهم بلا نسبٍ ... أئمةُ الكُفْرِ غرَّتكُمْ طواغيها
هلاَّ اعتبرتُم بخيل الله إذ لقيت ... أهل القليب ومن أردينه فيها
كم من أسيرفككناه بلا ثمنٍ ... وجَزِّ ناصية كُنَّا مواليها

وكان نزول الملائكة يوم بدر لتأييد المسلمين وتثبيتهم آية من آيات الله الكبرى، وها هو ذا حسان بن ثابت يمدح المصطفى ﷺ بالنبوة والرسالة وعظيم الخلق، وتفضيل الله له على سائر ولد آدم، ويذكر تأييد الله له بالملائكة فيقول:

ياركن مُعتمد وعصمة لائذ ... وملاذ مُنتجعٍ وجار مُجاور
يامن تخْيَّرهُ الإله لخلقه ... فحباهُ بالخُلُقِ الزَّكيِّ الطاهر
أنت النبيُّ وخيرُ عصبة آدمٍ ... يامن يجودُ كفيض بحرٍ زاخر
ميكال معك وجبريلٌ كلاهما ... مددٌ لنصرك من عزيزٍ قادر

وفاز بالشهادة في سبيل الله يوم بدر أربعة عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، فأوحشت منهم الديار، وافتقدتهم محافل المسلمين في المدينة وقد كانوا يملؤونها بصالح أعمالهم، وجميل ذكرياتهم، وهذا حسان بن ثابت يتراءى أولئك الشهداء فتمتلىء نفسه حزناً وتفيض عينه دموعاً ، إنهم رجال صادقون أوفياء، أجابوا رسول الله ﷺ ، وأحسنوا البلاء في سبيل الله فصاروا إلى جنات النعيم، ولقد كان استشهادهم حافزاً للمسلمين على المضي في طريقهم والفوز بمثل ما فازوا به، يقول حسان:

ألا يـا لقـوم هـل لمـا حُـمَّ دافـع؟ وهل ما مضى من صالح العيش راجع
تذكـرت عـصراً قـد مـضى فتهافـت بنـات الحشـا وانهـل منـي المدامـع
صبابـة وجـد ذكرتنـي أحبـةً وقتـلى مضـوا فيهـم نُفيـعٌ ورافـعُ
وسعد فاضحوا في الجنان وأوحشت منازلهـم والأرض منهـا بلاقـع
وفـوا يـوم بـدر للرسـول وفوقهـم ظـلال المنايـا والسـيوف اللوامـع
دعـا فأجابـوه بحـقٍّ وكلُّهـم مطيـع لـه في كل أمـرٍ وسـامعُ
فـما بدَّلـوا حتـى توافـوا جماعـةً ولا يقطـع الآجـال إلا المصـارعُ
لأنهـمُ يرجـون منـه شفـاعةً إذا لم يكـن إلا النبيـون شافـع

***

وذلـك يـا خـير العبـاد بلاؤنـا ومشـهدنا في المـوت والمـوت ناقـع
لنـا القـدم الأولى إليـك وخلفنـا لأولنـا في طاعـة الله تابـع
ونعلـم أنَّ المـلك لله وحـده وأنَّ قضـاء الله لا بُـدَّ واقـعُ

شعراء قريش في بدر:

بعد أن عرضنا بعض النماذج الشعرية التي قالها شعراء الإسلام في بدر نود أن نطلع القارىء الكريم على بعض ما قاله شعراء قريش في الاعتذار عما أصابهم وندب من وقع بأيدي المسلمين من الأسرى في بدر، وفي رثاء زعمائهم وسائر قتلاهم، وفي بث الأمل في النفوس، والتطلع إلى يوم يثأرون فيه لقتلاهم ويستردون فيه هيبتهم بين القبائل في جزيرة العرب، ومن الشعراء الذين شهدوا بدراً من قريش معاوية بن زهير بن قيس بن الحارث حليف بني مخزوم ويكنى بأبي أسامة، قال عند رجوعه من بدر يصور هزيمة قريش الساحقة، وكيف طارد المسلمون جموعهم المذعورة حتى خيل إليهم أنهم كأمواج البحر:

ولما أن رأيت القومَ خَفّوا ... وقد زالت نعامتُهم لنفر
وأن تركت سراة القوم صرعى ... كأن خيارهم أذباح عتر
وكانت جمةٌ وافت حماماً ... ولُقّينا المنايا يوم بدر
نصد عن الطريق وأدركونا ... كأن زهاءهم غطيان بحر
فأقسم بالذي قد كان ربي ... وانصاب لذي الجمرات مغر
لسوف ترون ما حسبي إذا ما ... تبدلت الجلود جلود نمر

وقال الحارث بن هشام يرثي أخاه أبا جهل ويشيد بأخلاقه وكثرة شرابه، ويعتذر لهزيمة قريش، ويحلهم بالثأر لأصحاب القليب، وإن الأيام دول فيوم لك ويوم عليك، ويعترف بجرائم أخيه بحق المستضعفين من المسلمين، ويحث المشركين والعشيرة على الثأر لأخيه:

أيا لقومي للصبابة والهجر ... وللحزن مني والحرارة في الصدر
وللدمع من عيني جواداً كأنه ... فريد هوى من كل ناظمة يجري
على البطل الحلو الشمائل إذ ثوى ... رهين مقام للركية من بدر
فلا تبعدن يا عمرو من ذي قرابة ... ومن ذي ندام كان ذا خلق غمر
فإن يك قوم صادفوا منك دولة ... فلا بد للأيام من دول الدهر
فقد كنت في صرف الزمان الذي مضي ... تريهم هواناً منك ذا سبل وعر
لعلكم إن تثأروا بأخيكم ... ولا شيء إن لم تثأروا بذوي عمرو

وقال الحارث بن هشام يعتذر عن هربه يوم بدر، وأنه إنما هرب لئلا يسر المسلمين بقتله، وليدخر نفسه لقتالهم في حرب قادمة تكون الدائرة فيه على المسلمين، ولكنه اعتذار كاذب وادعاء باطل، فما كان فراره إلا جبناً ورعباً، ولكنه الشعر يسول لصاحبه أن يقول ما لا يفعل، كما قال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا

لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾(الشعراء:٢٢٥-٢٢٧).

الله يعلم ما تركت قتالهم ... حتى علوا فري بأشقر مزبد
و شممت ريح الموت من تلقائهم ... في مأزق والخيلُ لم تتبدد
وعلمت أني إن أقاتل واحداً ... أقتل ولا يضرر عدوي مشهدي
فصددت عنهم والأحبة فيهم ... طمعاً لهم بعقاب يوم سرمد

والحقيقة أن الحارث بن هشام التمس هذا الاعتذار بمهارة وذكاء ومنطق محكم للرد على حسان بن ثابت الذي عيره بفراره في سياق قصيدة أطال فيها المطلع الغزلي التقليدي وفيها يقول:

يامن لعاذلة تلوم سفاهةً ... ولقد عصيتُ على الهوى لُوّامي
زعمت بأن المرء يكَرُبُ عمره ... عدمٌ لمعتكرٍ من الإصرام
إن كنت كاذبة للذي حدثتني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرة ولجام

ومما قيل في يوم بدر ما قاله عبد الله بن الزِّبعري يندب أصحاب القليب ويشيد بفضائلهم، وينوه بحسن بلائهم، ويزجي التحية إليهم ويذرف عليهم الدموع ويخص بالذكر منهم فتية لا تجهل أوصافهم، ولا ينكر فضلهم وتقدمهم، وقد ملا الحقد قلبه على المسلمين الذين قتلوهم:

ماذا على بدرٍ وماذا حوله ... من فتيةٍ بيض الوجوه كرام
تركوا نبيهاً خلفهم ومنبهاً ... وابني ربيعة خير خصم فئام
والحارث الفياض يبرق وجهه ... كالبدر جلي ليلة الإظلام

والعاصي بن منبه ذامرة ... رمحاً تميماً غير ذي أوصام
وإذا بكى باكٍ فأعول شجوه ... فعلى الرئيس الماجد ابن هشام
حيا الإله أبا الوليد ورهطه ... وربُّ الأنام وخصّهم بسلام

وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس يهزأ بانتصار المسلمين فى بدر ويتوعدهم بالثأر والانتقام من الأوس والخزرج الذين نصروا رسولﷺ:

عجبتُ لفخر الأوس والحين دائر ... عليهم غدا والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار إن كان معشرٌ ... أصيبوا ببدركلهم ثم صابر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا ... فإنا رجالا بعدهم سنغادر
وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم ... بني الأوس حتى يشفى النفس ثائر
ووسط بني النجار سوف نكرها ... لها بالقنا والدارعين زوافر
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة ... لهن بها ليل عن النوم ساهر

وقال شداد بن الأسود بندب أصحاب القليب، ويدعو عشاق الجواري والغناء ومدمني الخمر إلى بكائهم، ويتحدث عن مكارمهم، ويسمي بعضهم ومنهم أمية بن خلف وابنه علي، وأنهم يستحقون أن تذرف عليهم العبرات، وتمتلىء عليهم الصدور بالحسرات، ويسخر من البعث بعد الموت:

فماذا بالقليب قليب بدر ... من القينات والشرب الكرام
وأصحاب الكريم أبي علي ... أخي الكأس الكريمة والندام
فإنك لورأيت أباعقيلٍ ... وأصحاب الثنية من نعام
إذا لظللت من وجد عليهم ... كأم السقب جائلة المرام
يخبرنا الرسول لسوف نحيا ... وكيف لقاء أصداء وهام

وقالت هند بنت عتبة تبكي أباها عتبة بن ربيعة، وهي تبكي معه أخاها الوليد وعمها شيبة ، وكان الثلاثة قد طلبوا المبارزة قبل ابتداء المعركة فقتلوا جميعاً، وتعتب على أبناء العشيرة من بني هاشم وبني المطلب الذين قتلوهم في تلك الغداة، وهي تقصد المبارزين الثلاثة من المسلمين، حمزة وعليا وعبيدة بن الحارث بن المطلب :

أعيني جودا بدمع سرب ... على خير خندف لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوة ... بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حد أسيافهم ... يعلونه بعد ما قد عطب
يجرونه وعفير التراب ... على وجهه عارياً قد سلب
وكان لنا جبلاً راسياً ... جميل المراة كثير العُشُب

وقالت كُتيلةُ بنت الحارث أخت النضر وقد بلغها قتل أخيها تبعث إلى قبره تحياتها وأحزانها، وتؤذنه بغزير دموعها وكثرة بكائها، وأنها تبكيه بدموع جافة بعد أن غيض البكاء دموعها، وتسأل هل يسمع أخوها نداءها وبكاءها ثم تلتفت إلى النبي ﷺ فتبعث إليه تحية عتاب وتقر له بالفضل وعظيم الخلق، وتعجب كيف لم تشفع لأخيها أواصر الدم وراسخ القرابة، وموقف الضعف الذي وقفه مكبلاً بالأغلال، لا حول له ولا قوة.

ياراكباً إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بأن تحيةً ... ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني إليك وعبرةً مسفوحةً ... جادت بوابلها وأخرى تخنق
هل يسمعنا النضر إن ناديته ... أم كيف يسمع ميتٌ لا ينطق
أمحمدّ ياخير ضنء كريمة ... في قومها والفحل فحلٌ معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فليُنْفَقَن ... بأعز ما يغلو به ماينفق

والنضر أقرب من أسرّت قرابةً وأحقهم إن كان عتقٌ يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحامٌ هناك تشقق
صبراً يقاد إلى المنية متعباً رسف المقيد وهو عان موثق

قال ﷺ لما بلغه هذا الشعر: «لو بلغني هذا قبل قتله لمننت».

وكان في أسرى بدر أبو عزة الشاعر، وكان فقيراً ذا بنات، فسأل رسول الله ﷺ أن يمن عليه رحمة ببناته، فمن عليه وأخذ عهداً أن لا يظاهر عليه أحداً أبداً فمدح رسول الله ﷺ فقال:

من مبلغٌ عني الرسول محمدا بأنك حقٌ والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى عليك من الله العظيم شهيد
وأنت أمرؤ بوئت فينا مباءة لها درجاتٌ سهلة وصعود
فإنك من حاربته لمحارب شقي ومن سالمته لسعيد
ولكن إذا ذكرت بدراً وأهله تأوب ما بي حسرةٌ وتعود

ونقض أبو عزة عهده وسار مع قريش إلى أحد فأسر أيضاً، فسأل رسول الله ﷺ أن يمن عليه فأبى وقال له: «لا أدعك تمسح عارضيك ، وتقول: خدعت محمدا مرتين ، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين « ثم أمر به فضربت عنقه .

وناحت قريش على قتلاها، ثم قالت: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه، فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه في الفداء.

وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن زمعة، وكان يحب أن يبكي على بنيه، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له وقد ذهب بصره: أنظر هل أحل النحب، هل بكت قريش على قتلاها؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة - يعني زمعة - فإن جوفي قد احترق. فلما رجع

إليه الغلام قال: إنما هي إمرأة تبكي على بعير لها أضلته. فقال الأسود بن المطلب:

اتبكي أن أضل لها بعيرٌ ... ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر ولكن ... على بدر تقاصرت الجدود
على بدر سراة بني هصيص ... ومخزومٍ ورهط أبي الوليد
وبكى إن بكيت أبا عقيل ... وبكى حارثاً أسد الأسود
وبكيهم ولا تسمي جميعاً ... وما لأبي حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجالٌ ... ولولا يومُ بدر لم يسودوا

وكان في الأسرى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب، وكانت أمه بنت عقبة بن أبي معيط، أو أمه أخت أبي معيط، وكان الذي أسره علي بن أبي طالب، وقيل لأبي سفيان: أفد عمراً ابنك، قال: أيجتمع علي دمي ومالي ، قتلوا حنظلة وأفدي عمراً؟! دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم. فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة، إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال معتمراً ومعه إمرأته، وكان شيخاً كبيراً مسلماً، في غنم له بالنقيع، فخرج من هنالك معتمراً، ولا يخشى الذي صُنع به لم يظن أنه يحبس بمكة وقد كان عهد قريش أن قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير . فعدا عليه ابو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو، ثم قال:

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه ... تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فإن بني عمرو لئامٌ أذلةٌ ... لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

فأجابه حسان بن ثابت فقال:

لوكان سعد يوم مكة مُطلقاً ... لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا
بعضبٍ حسامٍ أو بصفراء نبعة ... تحنّ إذا ما أنبضت تحفز النبلا

ومشى أهل سعد بن النعمان بن أكال إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبرة، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم، ففعل رسول الله ﷺ فبعثوا به إلى أبي سفيان، فخلى سبيل سعد.

وامتد أثر بدر زماناً ، وظلت قريش تتجرع مرارة الهزيمة، وتحرق أكبادها ثارات بدر، ورصدت أموال قافلة أبي سفيان العائدة من الشام لتدرك ثأرها، فلما كان يوم أحد وأصابت قريش من المسلمين ظنت أنها أخذت بثأرها وشفت غليلها، وانطلق شعراؤها يعبرون عن أفراحهم وشماتتهم.

قال عبد الله بن الزَبَعْري:

ياغـراب البـين أسـمعت فقـل ... إنـما تنطـق شـيئاً قـد فعـل
كلُّ عيـــشٍ ونعيـــمٍ زائـــلٌ ... وبنـاتُ الدهـر يلعبـن بـكل
أبلغـن حســـان عنـــي آيـة ... فقريض الشعر يشفي ذا الغلل
كـم قتلنـا مـن كريـم سـيد ... ماجـد الجديـن مقـدام بطـل
ليـت أشـياخي ببـدرٍ شـهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسـل
حـين ألقـت بقنـــاة بركهـا ... واستحر القتل في عبد الأشـل
فقتلنـا الضعـف مـن أشرافهـم ... وعدلنـا ميـل بـدرٍ فاعتـدل

وهكذا رأينا من خلال ما مر من شعر كيف ترك الإسلام أثره الكبير في الشعر العربي، فلم يعد شعر رحلة وصيد ولهو وغزل ونسيب، ووقوف على الديار، وبكاء على الدمن والآثار، واستعراض للذكريات، وبعث الحياة في المرابع الدارسة، والأيام الخالية، فقد صار للشعر رسالة يخدمها، وقيم عليا يدافع عنها، وانقسم الشعراء إلى مؤيدين للإسلام مدافعين عن مبادئه وقيمه ونبيه ﷺ، واثقين بأنهم على الهدى، يردون على شعراء مكة سفههم وطيشهم وهجاءهم، ويفندون أباطيلهم، وينذرونهم بسوء المصير في الدنيا والآخرة، ويعيرونهم بضلالهم وأصنامهم وغوايتهم وغرورهم وهزائمهم، وخذلان الله

لهم، وفرار أبطالهم، ويتوعدونهم بالهزائم المتلاحقة، والكتائب المظفرة.

بينما وقف شعراء قريش معارضين للإسلام، ومحاربين له، هاجين لمبادئة ونبيه وشعرائه، ناصرين للقيم الجاهلية وعاداتها، ومدافعين عن الأصنام والأوثان والزعماء والكبراء، راثين للقتلى، عازمين على الثأر، ثم ما لبث هذا النشاط المحموم أن خبا بعد بدر وأحد، وبعد أن اشتدت سواعد المسلمين وكثر أنصارهم وانتصاراتهم، وقويت دولتهم، وألقى الله الرعب في قلوب أعدائهم وتبين الرشد من الغي فذهب كثير من رجال مكة وشعرائها إلى المدينة يبايعون على الإسلام، ويعتذرون عما مضى.

حتى إذا جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً أصبح شعراء مكة مدافعين عن الإسلام وقيمه ونبيه وأهله، شاهرين سيوفهم في سبيل الله ، فقد جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً .

أسماء بدر مكتوبة على علامات أمام مقبرة بدر الحالية

النصب التذكاري الجديد

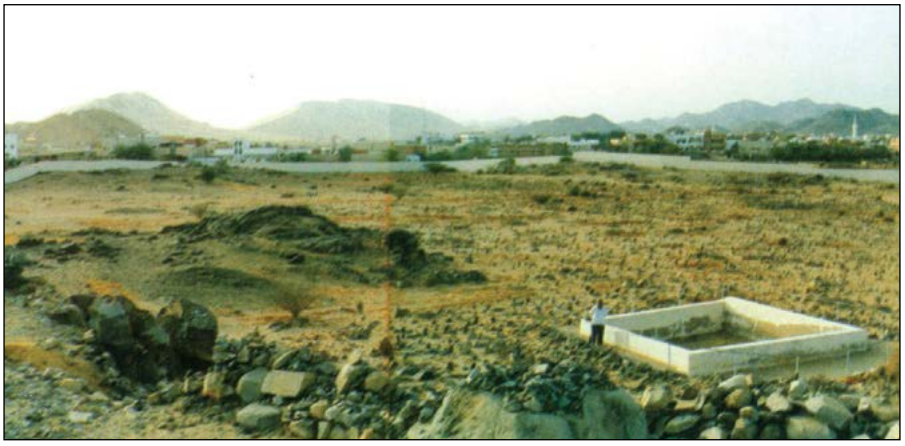

موقع شهداء بدر

صور ثانية لموقع شهداء بدر

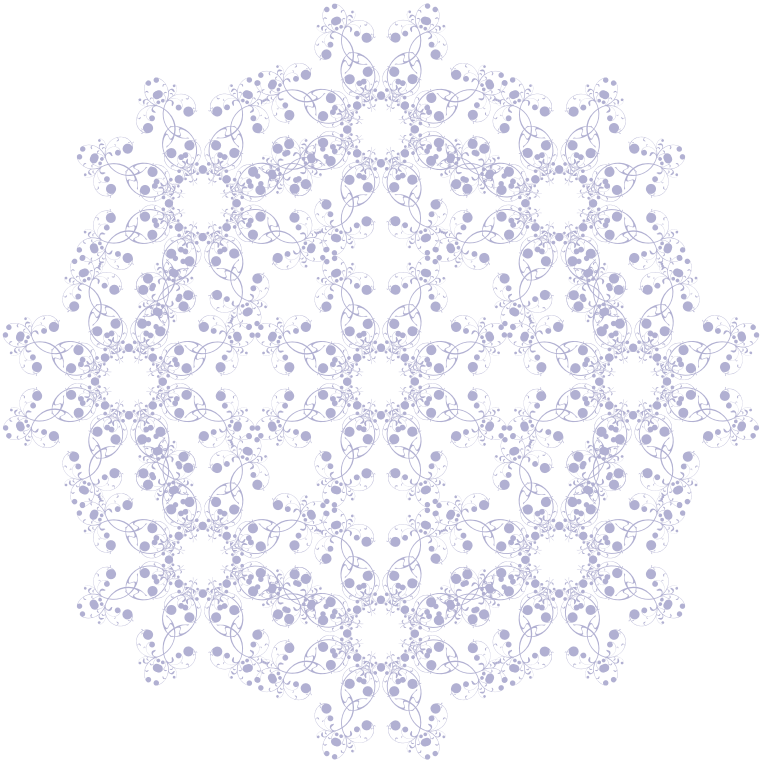

ملحق يتضمن أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم

محمد رسول الله ﷺ

* أبي بن كعب النجّاري.
* الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، من المهاجرين.
* أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد العجلاني.
* أسود بن زيد بن ثعلبة (واختلف في اسمه واسم أبيه) .
* أُسير بن عمرو الأنصاري، أبو سليط .
* أنس بن قتادة بن ربيعة الأوسي.
* أنس بن معاذ النجاري.
* أنسة الحبشي مولى رسول الله ﷺ.
* أوس بن ثابت النجّاري.
* أوس بن خولي الخزرجي.
* أوس بن الصامت الخزرجي (أخو عبادة بن الصامت).
* إياس بن البكير بن عبد ياليل حليف بني عدي بن كعب.
* بُجير بن أبي بُجير حليف بني النجار.

* بحاث بن ثعلبة حليف الأنصار.
* بَسبَس بن عمرو حليف بني ساعدة.
* بشر بن البراء الخزرجي.
* بشير بن عبد المنذر (أبو لبابة) الأوسي . ردّه عليه السلام من الروحاء واستعمله على المدينة، وضرب له بسهمه وأجره .
* تميم بن يعار الخزرجي.
* تميم مولى خراش بن الصمّة.
* تميم مولى غنم بن المسلم.
* ثابت بن أقرم العجلاني.
* ثابت بن ثعلبة من بني سلمة.
* ثابت بن خالد النجّاري.
* ثابت بن خنساء النجّاري.
* ثابت بن عمرو النجّاري.
* ثابت بن هزّال الخزرجي.
* ثعلبة بن حاطب الأوسي.
* ثعلبة بن عنمة السلمي.
* ثقف بن عمرو حليف بني كثير.
* جابر بن خالد النجّاري.

* جابر بن عبد الله السلمي.
* جبار بن صخر السلمي.
* جبر بن عتيك الأنصاري.
* جبير بن إياس الخزرجي.
* الحارث بن أنس بن رافع الخزرجي.
* الحارث بن أوث بن معاذ الأوسي (ابن أخي سعد بن معاذ).
* الحارث بن حاطب الأوسي (رده عليه السلام وضرب له بسهمه وأجره).
* الحارث بن خزمة حليف بني عبد الأشهل.
* الحارث بن الصمة الخزرجي (رده عليه السلام لأنه كسر وضرب له بسهمه وأجره).
* الحارث بن عرفجة الأوسي .
* الحارث بن قيس الخزرجي.
* الحارث بن النعمان الأنصاري.
* حارث بن سراقة النجاري.
* حارثة بن النعمان الأنصاري.
* حاطب بن أبي بلتعة اللخمي من المهاجرين.
* حاطب بن عمرو من بني دهمان (واختلف في نسبه).
* الحباب بن المنذر الخزرجي.

* حبيب بن أسود الخزرجي.
* حريث بن زيد الأنصاري.
* الحصين بن الحارث بن المطلب من المهاجرين.
* حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ.
* خالد بن البكير بن عبد ياليل حليف بني عدي بن كعب.
* خالد بن زيد (أبو أيوب الأنصاري).
* خالد بن قيس الأنصاري.
* خارجة بن الحمير حليف بني الخنساء من الخزرج.
* خارجة بن زيد الخزرجي.
* خبّاب بن الأرت من المهاجرين.
* خبّاب مولى عتبة بن غزوان - من المهاجرين.
* خراش بن الصمّة السُلمي.
* خبيب بن إساف الخزرجي.
* خزيم بن فاتك (ذكره البخاري في اصحاب بدر)
* خليفة بن عدي الخزرجي.
* خليد بن قيس الأنصاري السلمي.
* خُنيس بن حذافة السهمي من المهاجرين.
* خوات بن جبير الأنصاري ضرب له بسهمه وأجره.

* خولي بن أبي خولي من المهاجرين.
* خلاد بن سويد الخزرجي.
* خلاد بن عمرو بن الجموح الخزرجي.
* ذكوان بن عبد قيس الخزرجي.
* ذو الشمالين بن عبد عمرو (واسمه عمير) من المهاجرين.
* رافع بن الحارث الأوسي.
* أرفع بن عنجدة – وعنجدة أمه.
* رافع بن المعلى بن لوذان الخزرجي.
* ربعي بن رافع العجلان.
* ربيع بن إياس الخزرجي.
* ربيعة بن أكثم بن سخبرة من المهاجرين.
* رخيلة بن ثعلبة الخزرجي .
* رفاعة بن رافع الزرقي.
* رفاعة بن عبد المنذر الأوسي (أخو أبي لبابة).
* رفاعة بن عمرو بن زيد الخزرجي.
* الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة.
* زياد بن عمرو الجهني.
* زياد بن لبيد الزرقي.

* زياد بن المزين الخزرجي.
* زيد بن أسلم العجلاني .
* زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ.
* زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب.
* زيد بن سهل (أبو طلحة) النجّاري.
* سالم بن عمير الأوسي .
* سالم بن غنم بن عوف الخزرجي.
* سلم بن معقل مولى أبي حذيفة.
* السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي.
* سبيع بن قيس الخزرجي.
* سبرة بن فاتك.
* سراقة بن عمرو النجاري.
* سراقة بن كعب النجاري.
* سعد بن خولة مولى بني عامر.
* سعد بن خيثمة الأوسي.
* سعد بن الربيع الخزرجي.
* سعد بن زيد الأوسي .
* سعد بن سهيل النجاري.

* سعد بن عبيد الأنصاري.
* سعد بن عثمان بن خلدة الخزرج.
* سعد بن معاذ الأوسي.
* سعد بن عبادة الخزرجي.
* سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة.
* سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل (ضرب له الرسول ﷺ بسهمه وأجره).
* سفيان بن بشر ا لخزرجي .
* سلمة بن أسلم الأوسي.
* سلمة بن ثابت بن وقش.
* سلمة بن سلامة بن وقش.
* سُليم بن الحارث النجّاري.
* سليم بن عمرو السلمي.
* سُليم بن قيس بن فهد الخزر جي.
* سليم بن ملحان النجّاري.
* سماك بن خرشة (ابو دجانة).
* سماك بن سعد الخزرجي.
* سنان بن أبي سنان حليف بني عبد شمس.
* سنان بن صيفي السلمي.

* سهل بن حنيف الأوسي.
* سهل بن عتيك النجاري.
* سهل بن قيس السلمي.
* سهيل بن رافع النجاري.
* سهيل بن وهب الفهري وهو ابن بيضاء.
* سواد بن غزية البلوي.
* سويبط بن سعد العبدري.
* سويد بن مخشي حليف بني عبد شمس.
* شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي.
* شقران مولى رسول الله ﷺ لم يسهم له وكان على الأسرى.
* شماس بن عثمان المخزومي.
* صخر بن أمية بن خنساء.
* صفوان بن وهب بن ربيعة الفهري.
* صهيب بن سنان الرومي .
* ضحاك بن حارثة السلمي.
* ضحاك بن عبد عمرو النجاري.
* ضمرة بن عمرو الجهني.
* طفيل بن الحارث بن المطلب أخو عبيدة.

* طفيل بن مالك بن خنساء السلمي.
* طفيل بن النعمان بن خنساء السلمي .
* طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة.
* طليب بن عمير بن وهب.
* ظُهير بن رافع الأوسي.
* عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح حمي الدبر.
* عاصم بن عدي رده من الروحاء وضرب له بسهمه وأجره .
* عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجي.
* عاقل بن البكير.
* عامر بن أمية بن زيد النجاري.
* عامر بن ربيعة حليف بني عدي.
* عامر بن سلمة البلوي.
* عامر بن عبد الله (أبو عبيدة بن الجرّاح) أحد العشرة المبشرين بالجنة.
* عامر بن فهيرة مولى أبي بكر.
* عامر بن مخلد النجاري.
* عائذ بن ماعض الخزرجي.
* عباد بن بشر بن وقش الأوسي.
* عباد بن قيس بن عامر الخزرجي.

* عباد بن قيس بن عبسّة الخزرجي.
* عباد بن الخشخاش القضاعى .
* عبادة بن الصامت الخزرجي .
* عبادة بن قيس بن كعب.
* عبد الله بن أمية بن عرفطة.
* عبد الله بن ثُعلبة البلوي
* عبد الله بن جحش الأسدي.
* عبد الله بن جبير الأوسي.
* عبد الله بن الجد بن قيس السلمي.
* عبد الله بن حق الساعدي.
* عبد الله بن الحمير حليف لبني حرام.
* عبد الله بن الربيع بن قيس الخزرجي.
* عبد الله بن رواحة الخزرجي.
* عبد الله بن زيد الخزرجي.
* عبد الله بن سراقة العدوي.
* عبد الله بن سلمة حليف الأنصار.
* عبد الله بن سهل أخو بني زعورا.
* عبد الله بن سهيل بن عمرو (خرج مع أبيه والمشركين ثم فر إلى المسلمين وشهدها معهم).

* عبد الله بن طارق القضاعي حليف الأوس.
* عبد الله بن عبد الله بن ابي ابن سلول، كان أبوه رأس المنافقين.
* عبد الله بن عبد الأسد (أبو سلمة).
* عبد الله بن عبد مناف السلمي.
* عبد الله بن عبس .
* عبد الله بن عثمان، أبو بكر الصديق.
* عبد الله بن عرفطة الخزرجي.
* عبد الله بن عمرو السلمي.
* عبد الله بن عمير الخزرجي.
* عبد الله بن قيس النجاري.
* عبد الله بن قيس السلمي.
* عبد الله بن كعب النجاري.
* عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى.
* عبد الله بن مسعود الهذلي.
* عبد الله بن مظعون الجمحي.
* عبد الله بن النعمان السلمي.
* عبد الرحمن بن جبر الخزرجي.
* عبد الرحمن بن عبد الله البلوي.

* عبد الرحمن بن عوف الزهري أحد العشرة المبشرين بالجنة.
* عبس بن عامر بن عدي.
* عبيد بن التيهان.
* عبيد بن ثعلبة من بني غنم .
* عبيد بن زيد العجلاني.
* عبيد بن أبي عبيد.
* عبيدة بن الحارث بن المطلب أحد الثلاثة الذين بارزوا .
* عتبان بن مالك الخزرجي.
* عتبة بن ربيعة بن خالد البهراني.
* عتبة بن عبد الله السلمي .
* عتبة بن غزوان من المهاجرين الأولين.
* عثمان بن عفان (تخلف على تمريض زوجته رقية وضرب له بسهمه وأجره).
* عثمان بن مظعون الجمحي .
* عدي بن أبي الزغباء.
* عصمة بن الحصين العجلاني.
* عصيمة حليف بن الحارث بن سؤّار.
* عطية بن نويرة الخزرجي.
* عقبة بن عامر السلمي.

* عقبة بن عثمان الخزرجي.
* عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدي.
* عقبة بن وهب بن كلدة حليف بني غطفان.
* عكاشة بن محصن.
* علي بن أبي طالب.
* عمّار بن ياسر العنسي .
* عُمارة بن حزم النجاري.
* عمر بن الخطاب.
* عمر بن عمرو بن إياس حليف بني لوذان.
* عمرو بن ثعلبة العامري.
* عمرو بن الجموح بن حرام الأنصاري.
* عمرو بن الحارث الفهري.
* عمرو بن سُراقة العدوي.
* عمرو بن أبي سرح (ويقال معمر بدل عمرو).
* عمرو بن طلق من بني حرام.
* عمرو بن قيس بن مالك بن عدي.
* عمرو بن معبد الأوسي.
* عمرو بن معاذ الأوسي أخو سعد بن معاذ.

* عمير بن الحارث بن ثعلبة.
* عمير بن الحمام بن الجموح.
* عمير بن مالك بن الخنساء.
* عمير بن عوف (ويقال عمرو بن عوف) مولى سهيل بن عمرو.
* عمير بن أبي وقاص (أخو سعد بن أبي وقاص).
* عنترة مولى بني سليم.
* عوف بن الحارث (وهو ابن عفراء).
* عويم بن ساعدة الأنصاري.
* عياض بن غنم الفهري.
* الفاكه بن بشر الخزرجي.
* فروة بن عمرو بن ودفة.
* قتادة بن النعمان الأوسي.
* قدامة بن مظعون الجمحي.
* قطبة بن عامر بن حديدة السلمي.
* قيس بن السكن النجاري.
* قيس بن أبي صعصعة المازني كان على الساقة يوم بدر.
* قيس بن محصن الخزرجي.
* قيس بن مخلد النجاري.

* كعب بن حمان من حلفاء الخزرج.
* كعب بن زيد النجاري.
* كعب بن عمرو (ابو اليسر) السلمي.
* كنّاز بن حصين (أبو مرثد) الغنوي .
* مالك بن الدخشم الخزرجي.
* مالك بن أبي خولي الجعفي.
* مالك بن ربيعة (أبو أسيد الساعدي).
* مالك بن قدامة الأوسي.
* مالك بن مسعود الخزرجيٍ
* مالك بن ثابت المزني.
* مبشر بن عبد المنذر الأوسيٍ
* المجذر بن زياد البلوي.
* محرز بن عامر النجاري.
* محرز بن نضلة الأسدي .
* محمد بن مسلمة حليف بني عبد الأشهل .
* مدلج (ويقال له مدلاج) بن عمرو.
* مرثد بن أبي مرثد الغنوي.
* مسطح بن أثاثة.

* مسعود بن أوس النجاري.
* مسعود بن خلدة الخزرجي.
* مسعود بن ربيعة القاري .
* مسعود بن سعد .
* مصعب بن عمير العبدري.
* معاذ بن جبل الخزرجي.
* معاذ بن الحارث النجاري (ابن عفراء).
* معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجي.
* معاذ بن عائض الخزرجي.
* معبد بن عباد.
* معبد بن قيس السلمي.
* معتب بن قشير الأوسي.
* معقل بن المنذر السلمي.
* معمر بن الحارث الجمحي.
* معن بن عدي الأوسي .
* معوذ بن الحارث الجمحي (ابن عفراء) وهو أخو معاذ.
* معوذ بن عمرو بن الجموح.
* المقداد بن عمرو (وهو المقداد بن الأسود) البهراني.

* مليل بن وبرة الخزرجي.
* المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدي.
* المنذر بن قدامة الخزرجي.
* المنذر بن محمد الأنصاري.
* مهجع مولى عمر بن الخطاب.
* نصر بن الحارث.
* نعمان بن عبد عمرو النجاري.
* نعمان بن مالك بن ثعلبة.
* نعمان بن يسار.
* نوفل بن عبيد الله الخزرجي.
* هانىء بن نيار البلوي
* هلال بن أمية الواقفي.
* هلال بن المعلى الخزرجي.
* واقد بن عبد الله التميمي حليف بني عدي، من المهاجرين
* وديعة بن عمرو بن جراد الجهني.
* وهب بن سعد بن ابي سرح.
* يزيد بن الأخنس السُلمي.
* يزيد بن الحارث الخزرجي.

* يزيد بن عامر بن حديدة (أبو المنذر السلمي).
* يزيد بن المنذر السلمي.
* ابو الأعور بن الحارث النجاري.
* ابو حبة بن عمرو الأنصاري.
* ابو حذيفة بن عتبة.
* أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة.
* أبو خزيمة بن أوس النجاري.
* أبو سبرة مولى أبي رُهم من المهاجرين.
* أبو سنان بن محصن أخو عكاشة.
* أبو الصباح بن النعمان رجع من الطريق .
* أبو عرفجة من حلفاء بني جحجبى.
* أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ.
* أبو مليل بن الأزعر الأوسي.

الذين لم يحضروا بدراً وضرب لهم الرسول ﷺ بسهمهم وأجرهم لعذر أو إذن:

* عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله ﷺ لمرضها .
* سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام.
* طلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضاً .
* أبو لبابة بشير بن عبد المنذر رده رسول الله ﷺ من الروحاء واستعمله على المدينة.
* الحارث بن حاطب رده رسول الله ﷺ من الطريق.
* الحارث بن الصمّة كُسر بالروحاء فرده الرسول ﷺ.
* خوّات بن جبير لم يحضر.
* أبو الصباح بن النعمان أصاب ساقه حجر فرجع.
* سعد أبو مالك تجهز ليخرج فمات.

إحتفاء أهل الحرمين بذكرى بدر

غزوة بدر ويوم بدر من المناسبات العظيمة والذكريات الخالدة التي تفرض نفسها كلما جاء وقتها المتكرر في كل عام ، ونحن في الحرمين الشريفين نغتنم هذه الفرص ونستعد لها بما يناسبها ونعتبرها باباً من أبواب الدعوة إلى الله ، وطريقاً من طرق الخير وسبيلاً للوصول إلى ثمرات المناسبة وفوائدها وأسرارها وحكمها وعبرها والدروس العلمية والروحية والتاريخية التي ينبغي أن يعيشها الناس ، وأن تحيا في قلوبهم ، وتكون نصب أعينهم ، وهو الباب الموصل إلى تجسيدها حقيقة ومنهجا واتباعا وعملا واقتداءً ، وهو المطلوب ، وهذا هو ما يقوم به بعض أهل الحرمين ، وليس هذا خاصاً بذكرى بدر بل هو ما يكون في جميع الذكريات والمناسبات الدينية ، وعلى رأسها ذكرى المولد النبوي الشريف وذكرى الإسراء والمعراج ، وذكرى نزول القرآن ، وذكرى ليلة القدر ، وذكرى عاشوراء.

أما ذكرى المولد النبوي وذكرى غزوة بدر ، فإن الإعتناء بها والإحتفاء بها دائم ومستمر كل السنة ، فالمولد النبوي هو أبو المناسبات وأساسها ، وبه كان الخير كله وبصاحبه سيدنا محمد ﷺ، الذي أنقذ الله العالم من الدمار والهلاك ، وأخرج الأمة من الظلمات إلى النور، وجاء لهم بالخير العظيم ، وهداهم إلى الصراط المستقيم ، وهذا لا شك فيه ولا ريب.

وأما يوم بدر فهو اليوم الذي أعز الله تعالى فيه رسوله ، وأظهر وحيه وتنزيله ، وبيّض وجه النبي ﷺ وقبيله، وأخزى وجه الشيطان وجيله ، وببركة يوم بدر كانت الفتوحات الإسلامية العظمى التي هي إمتداد لهذه الغزوة.

لذلك كان لأهلها من المناقب والفضائل والمزايا والخصائص ما لم يكن لغيرهم. وفي ذلك ألّفت في فضائلهم الكتب والرسائل المنظومة والمنثورة ، واجتمع الناس على

قراءتها والدعاء إلى الله والتوجه والتوسل بهم في المجالس العامة والخاصة كلما سنحت الفرصة ودعا الداعي. وهناك جماعة متخصصة منظمة لقراءة مناقبهم في مناسبات متعددة بأصوات جميلة منغّمة قائلين:

بَدرِيّـةٌ وافَـتْ بِبُرهـانٍ بَهَـرْ أَحَدِيَّـةٌ في سَردهـا سرٌّ ظهـرْ

وهي القصيدة المعروفة بالبدرية ، والمسماة بجالية الكدر بذكر أسماء أهل بدر وشهداء أحد السادة الغر ، للعلامة المؤرّخ السيد جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي مفتي الشافعية بالمدينة المنورة ، وهي قصيدة دينية حماسية تاريخية اشتملت على ذكر الأبطال والشهداء في هاتين الغزوتين ، ووصف أكثرهم بمنقبة من مناقبهم ، وقد قال في أولها عنهم:

فهُـمْ الذيـنَّ مـعَ الرّسُـول مُحَمَّـدِ في يَوْم بَدْرٍ جَاهَدُوا مَنْ قد كَفَرْ

ثم ذكر الناظم الخلفاء الأربعة ، وذكر لكل واحد منهم منقبةً خاصةً، فقال عن أبي بكر:

وصديقـه الصّدِّيـقَ سـيدنا أبي بكـر خليفتـه المقـدم في الخـبر

وقال عن عمر:

وبفاتـح الأمصـار في غزواتـه مصباح أهل الخلد سيدنا عمر

وقال عن عثمان:

وكذا بذي النورين سيدنا الفتى عُثمان من وردت بمدحته الزمر

وقال عن علي :

وكـذا بباب مدينـة العلـم الفتى الكـرّار سـيدنا عـليّ ذي الفخـر

وقال عن حمزة:

وكذا بعم رسولك المختار ليـ ـث الله حمزة من سما وسطا وكر

ثم ذكر عدة أوصاف ومناقب فمنها قوله:

وبثقفهم وبجابر وجبيرهم وبجابرٍ وأنيسهم أسد الظفر
وبعامرٍ وبعائذٍ وبعامرٍ من جرعوا الأعداء كأساً ما أمر
والحارث الأوسي ثم حريثهم والحارث المولى وعتبة من بتر
وسنانهم وبسهلهم وبسبرة الـ أبطال أرباب الأعنة والوتر
والنضر والنعمان والنعمان من شهدت لهم ثم المشاهد والأثر
ويزيدهم وزيادهم وبمعبدٍ وأبي خُزيمة من لهنديٍّ شهر
وبسهلهم وخداشهم وحراشهم من أثخنوا بالسمر وخزاً من دبر
والمنذر الأوسي ثم بزيدهم وبرافعٍ مع رافع العضب الذكر
ومحمد ومحررٍ وبثابتٍ ورخيلةَ الصيد الجحاجيح الغرر
وبزيدهم وبوهبهم ويزيد من كسب الشهادة وهي أربح ما تجر
وكذا بمسعود وعتبة مع عبيـ دهم وخارجة الذي بدم نثر
وكذا بفروة مع يزيد وثابت يوم التقى الجمعان والكفر انزجر
وسنانهم والحارث البدري ثـ ـم سوادهم وصبيحهم صيد الظفر
وكذاعبادة مع خليفة منهم وأبي لبابة قاصمي أهل الدعر
وبعمرهم وخنيسهم وإياسهم صحب الذي سبعين كالقتلى أسر
وبزيدهم وبسعدهم وزيادهم من صيروا الباغي أذل من البقر
والحارث الأوسي ثم بعاقل من بالشهادة حل أحسن مستقر

وكـذا أبوقيـس وعبـــدالله ثـــ ـم الحـارث الزحـاف في يـوم المفـر
وكـــذا بعبـد الله ثـــم برافـع وكـذا بعبـد الله ذي البـأس الأمـر
وأب لسبـــرة ثـــم عبـدالله ثـ ـم بحمزة المردي إذا الحرب استمر
وكـذا بمسـعودٍ وعبـــدالله مـع عبـادك الشـهم الـذي ليـلاً جـأر
وأب لكبشـــه ثـــم عبـدالله ذا ك الليـث ذمـرٌ للصفـوف إذا فطـر
وبعامـر ثـــم الطفيـــل وعامـرٍ مـن أثخنـوا الأعـداء وخـزاً مـا أمـر
وبقيسـهم وعميرهـم وبكعبهـم وأبي سـنان مـن لظـى الهيجـا سـجر
ويزيـد مـع عمـرو وعبـد الله ثـ ـم الحارث الأوسي مردي من دحر
وعميرهـم وعبيدهـم وكـذا بعبـ د الله مـع سـلمة مُصَيرُهـم عـبر
وكـذا بعبـدالله ثـم عُبيـــدهم خدن الشهادة وهي أفضل ما ادخر
وأبٍ لخارجـــة الـذي دانـت لـه قنـن المفاخـر فامتطاهـا وانتـبر
وبعبدربـه والطفيـــل وقيســـهم وكـذا بعقبـة للعـدا مـن قـد نحـر
وكـذا بضمـرة مـع أبي خـلادٍ والـ مطعـان قـرم هزبّـري ضـار زفـر
أيضـاً وبالنعـمان والنعـمان والـ نعـمان مـع سُـلمة ببـدر مـن ظفـر
وكـــــذا بعبـــدالله ثـم معاذهـم وبعمرهـم مـن كـر يـوم الكفـر فـر
وبعمرهـم وكـــذا بعبـدالله مـن أردى أبـا جهـل فصـار إلى سـقر
وكـــذا عبيـدة ثـم ثعلبـة الـذي بالعضـب بـدد جيشـهم فغـدا شـذر
وسـهيلهم وحرامهـم وبسـعدهم وكـذا بثعلبـة الهزبـر المشـتهر
وبعبدرحمـن كـــــذا وبعـــامرٍ وسراقـة البـدري قاصـم مـن فجـر
وأبـو حبيـب ثـم عقبـة والفتـى عتبان من صرعوا الأعادي في الحفر
وبنوفـلٍ وبراشـدٍ وكـذا أبـو صبـاحٍ الفتـاك فيهـم مـن أصر

وأب لصرمة ثم عبدالله مع سفيان مع عمروٍ ببدرٍ من ثأر
وكذاك بالأملاك من قد أُحضروا بدراً لنصر المصطفى هادي البشر

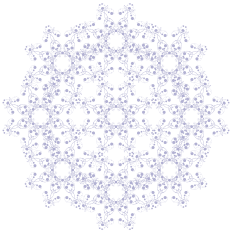

وأنت ترى هذه الأبيات اشتملت على أسمائهم ، مضاف إليها جملة من مناقبهم ، وإشارة إلى مواقفهم البطولية التي تدل على شجاعتهم وتضحيتهم رضي الله عنهم ، كقوله بالأبيات السابقة:

- أسد الظفر.
- من جرعوا الأعداء كأساً ما أمر.
- أبطال أرباب الأعنة والوتر.
- شهدت لهم ثم المشاهد والأثر.
- مع رافع العضب الذكر.
- الصيد الجحاجيح الغرر.
- كسب الشهادة وهي أربح ما تجر.
- يوم التقى الجمعان والكفر انزجر.
- قاصمي أهل الدعر.
- صحب الذي سبعين كالقتلى أسر.
- قنن المفاخر فامتطاها وانتبر.
- للعدا من قد نحر.
- ذي البأس الأمر.
- المردي إذا الحرب استعر.
- الشهم الذي ليلا جأر.
- ذمرٌ الصفوف إذا فطر.
- من أثخنوا الأعداء وخزاً ما أمر.
- من لظى الهيجا سجر.
- مردي من دحر.
- مصيرهم عبر.
- خدن الشهادة وهي أفضل ما ادخر
- من صيروا الباغي أذل من اليعر.
- من بالشهادة حل أحسن مستقر.
- الزحاف في يوم المفر.

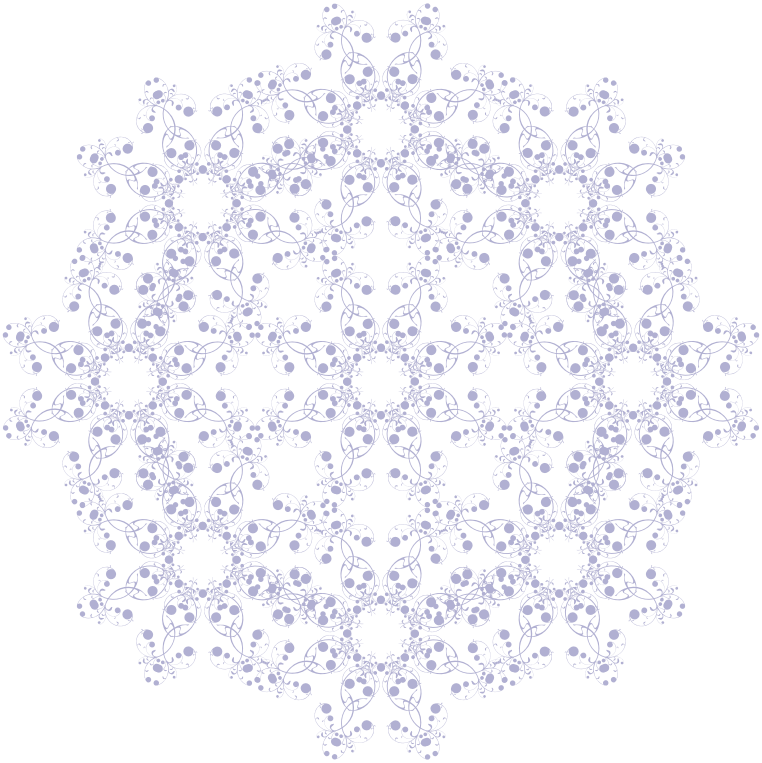

الفهرس

المقدمة ..وكانت بدر هي كلمة السر.. ..... ١١

لِمَـــاذا بَدْر ؟ ١٩

لـمَاذا سميت بدراً ؟ ٢١

موقع مدينة بدر اليـــوم..... ٢٥

سبب اختيار مكان الغزوة في بدر ٣١

القبائل التى كانت تسكن بدراً قَديماً..... ٣٣

القبائل التي تسكن بَدراً اليوم..... ٣٥

طبوغرافيّة وجغرافية مدينة بدر ٣٧

جيولوجيّة منطقة بدر..... ٤٥

التمعدن في بدر ٤٧

مقدمات وأسباب..... ٤٩

المرحلة السرية ٥١

الجهر بالدعوة..... ٥٣

قريش الكافرة تحاربُ رَسُولَ الإيمان ٥٥

الحرب الإعلامية والنفسية ٦١

وفد نجران..... ٦٢
ضماد الازدي ٦٢
الطفيل بن عمرو الدوسي ٦٣
الهجرة لأرض الحبشة ٦٤
الوشاية عند النجاشي ٦٤
الحرب الاقتصادية ٦٥
المقاطعة ٦٥
الهجرة ومرحلة بناء الأمة في المدينة المنورة..... ٦٧
المجتمّع الإسلامي الجديد في المدينة المنوّرة ٧٣
نص معَاهدَة الرسول ﷺ لأهل يثرب..... ٧٧
إرهاصات غزوة بدر ٨٥
أسباب معركة بدر الكبرى..... ٨٧
غزوة بدر الكبرى ٨٩
خروج المسلمين للقاء قافلة أبي سفيان ٩٠
طريق العودة..... ١٠٨
أبو سفيان والقافلة ١٠٨
جحافل الشرك تخرج إلى مصارعها..... ١١١
رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب..... ١١١

الاستفتاح..... ١١٧
ثأر بني كنانة ١١٧
المطعمون من قريش في الطريق إلى بدر ١١٨
والتقَى الجمعَان..... ١٢٧
خُطبَةُ رَسُولِ الله ﷺ قَبلَ المعرَكة..... ١٣٠
خطَّة الحَرب وإستراَتيجية القتال..... ١٣٥
استفتاح أبي جهل ١٣٧
المشركون يردون الحوض..... ١٣٧
مخاطرة المخزومي..... ١٣٨
المبـــارزة..... ١٣٨
وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ١٤٣
بطولات إيمانية..... ١٤٤
مصرع عدو الله أبي جهل ١٥٠
مصرع أمية بن خلف..... ١٥٢
علي رضي الله عنه يقتل نوفل بن خويلد ١٥٤
سيف سلمة بن أسلم رضي الله عنه..... ١٥٥
عين رفاعة بن مالك:..... ١٥٦
الملائكـة في بـدر ١٥٩

أين نزلت الملائكة ١٦٥
حياة الشهداء ١٦٧
حياة الشهداء عندربهم ١٦٨
تسمية شهداء معركة بدر الخالدة..... ١٦٨
إلقاء قتلى المشركين في القليب..... ١٧٥
البشرى بالنصر والعودة ١٧٩
الاسرى واختلاف رأي الصحابة فيهم..... ١٨١
الأسرى الذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهم..... ١٩٧
الغنائم في بدر والخلاف حولها ٢٠١
مكة تعلم بمصاب قريش..... ٢٠٥
فضل غزوة بدر وأصحابها ٢٠٧
فضل من شهد بدراً ٢٠٨
غزوة بدر الآخرة..... ٢١١
نتائج معركة بدر ٢١٥
نتائج معركة بدر بالنسبة لقريش والقبائل ٢١٥
نتائج معركة بدر بالنسبة للإسلام والمسلمين ٢١٧
الدروس المستفادة والأحكام الشرعية ٢١٩
بعض ما قيل من الشعر في بدر..... ٢٣٥

نماذج مما قيل من الشعر في بدر ٢٣٧
شعراء قريش في بدر ٢٤٥
ملحق يتضمن أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم ٢٥٧
إحتفاء أهل الحرمين بذكرى بدر ٢٧٦
تحليل وتصوير ٢٨١
الفهرس ٢٨٣